المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
إهداء

إلى من كان القرآن العظيم ربيع قلبه، ونور صدره، وجلاء حزنه وذهاب همه وغمه..

إلى روح تسكن في الظلال، وتتنفس من عبق الوحي، وتستمد قوتها من ينابيع اليقين..

إلى كل قلب تعطش إلى نور "حم عسق"، وكل عقل حار في فلك "كذلك يوحي إليك"، وكل نفس تنشد العزة في الانتصار من البغي والكرامة في العفو عند المقدرة..

إلى أولئك الذين جعلوا من "الشورى" منهج حياة، ومن "الصبر والغفران" مقام عزيمة، ومن "الاستجابة لربهم" قبلة الأرواح..

إلى الباحثين عن روح القرآن لا عباراته، وعن مقاصده لا حدوده، وعن حياته لا تلاوته..

إلى من يريدون أن ينقلوا هذا الكتاب العظيم من حروف تتلى إلى واقع يُعاش، ومن أفكار تقرأ إلى حضارة تُبنى..

إليكم جميعاً..

أهدي هذه الرحلة الإيمانية في رياض سورة الشورى،
علها تكون نوراً على الطريق، ورفيقاً في المسير، وزاداً ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
رسالة شكر وعرفان وتقدير

إلى الأستاذ الفاضل / منير عبده عثمان الصلوى
حفظه الله ورعاه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أما بعد،

فإن الشكر للمجتهدين واجب، وإن حق الذين يبذلون الجهد في سبيل إخراج العمل في أحسن صورة لعظيم، ولا يوفى لأهله إلا بالكلمات الطيبة والدعوات الصادقة.

وبعد أن نَضَجَ هذا الكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الشورى"، وأزمعنا على تقديمه لقارئه الكريم، رأيت من تمام الأمانة وصدق العرفان أن أتقدم إليكم بخالص الشكر وعظيم الامتنان على ما بذلتموه من جهد كبير في مراجعة محتوى الكتاب وتدقيقه.

لقد كان لكم دور بارز وأثر بالغ في إخراج هذا العمل بالمستوى الذي يرضي الله ثم يرضي القارئ، حيث تفضلتم مشكورين بالإشراف على مراجعة الكتاب مراجعة شاملة متكاملة، فكان عملكم محوراً على ثلاث جبهات أساسية:

أولا ً: المراجعة اللغوية الدقيقة
فقد أعدتم للجمل صياغتها، وصححتم للمعاني عباراتها، وأقمتم اعوجاج اللغة حيث مال، حتى صار اللفظ سليماً، والأسلوب قويماً، والمعنى واضحاً جلياً .لقد تنبهتم إلى دقائق النحو وأسرار البلاغة، فكانت روح الكلمات صافية لا يشوبها كدر، وعباراتها جامعة لا تعقيد فيها ولا تقصير.

ثانياً: المراجعة الفنية المتنوعة
لم تقف مراجعتكم عند حدود اللغة، بل تعدتها إلى الشكل والمضمون الفني، فأعدتم تنظيم بعض الأ فكار، واقترحتم ترتيباً أجمل للمحاور، ونبهتم إلى ثغرات في التنسيق كانت لو خفيت لأضعفت من قيمة العمل .وبفضل نظرتكم الثاقبة وذائقتكم الفنية العالية، خرج الكتاب في حلة بهية تليق بجلال موضوعه.

ثالثاً: المراجعة الموضوعية العميقة
وهي أعظم ما قمتم به وأجله، حيث تعمقتم في فهم مادة الكتاب، وفحصتم محتواه فحصاً علمياً دقيقاً، ونبهتم إلى مواطن الخلل الفكري والنقلي، وأشرتم إلى قصور في الأدلة أو آراء تحتاج إلى تثبت .لقد كنتم خير عون على التأكد من سلامة المعلومات، ودقة الإسناد، ومنهجية الطرح، فكانت م لاحظاتكم درراً نضدنا بها تاج هذا الكتاب.

إن ما بذلتموه من وقت وجهد وفكر لا يضاهيه إلا تواضعكم الجم وكرم أخلاقكم .لقد كان التعامل معكم متعة فكرية، وأسلوبكم في النقد البناء نموذجاً يقتدى به، حيث جمعتم بين الحزم في الحق و اللين في القول .جعلتم مراجعتكم درساً في الأمانة العلمية، وموقفاً في الشجاعة الأدبية.

أسأل الله العلي القدير أن يجزيكم خير الجزاء، وأحسن الثواب، وأن يبارك في علمكم وعملكم ووقتكم ، وأن ينفع بكم الأمة الإسلامية، وأن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتكم.

شكراً لكم من القلب،
وتقديراً يسجل في تاريخ هذا الكتاب،
وعرفاناً لا يمحوه الزمن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

كاتب هذه السطور
المؤلف / احمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الشورى"

محتوى الكتاب وجوهره

هذا الكتاب ليس تفسيرًا بالمعنى التقليدي، بل هو رحلة إيمانية تربوية في ظلال سورة الشورى، يتوقف فيها المؤلف عند آياتها الكريمة ليستخرج منها كنوز المفاهيم التي تبني الإنسان المسلم وتحرر عقله وتزكي نفسه.

جوهر الكتاب: تحويل آيات القرآن من مجرد كلمات تُتلى إلى منهج حياة عملي يعالج أمراض الأمة ويؤسس لشخصية مسلمة قوية عادلة متوازنة.

يتناول الكتاب آيات متفرقة من السورة، أبرزها:

· آيات الحروف المقطعة) حم عسق(
· آية ملك الله للسماوات والأرض
· آيات الوحي والرسالة
· آيات الشورى والصفات المؤمنين
· آيات العفو والصبر والانتصار
· آيات الرزق والهبات

أهداف الكتاب وأغراض المؤلف

.1بناء اليقين في القلب بأن القرآن وحي من الله العزيز الحكيم
.2تحرير الإنسان من عبودية البشر والطواغيت والأهواء
.3تأسيس شخصية إيمانية متكاملة تجمع بين العزة والتواضع، والقوة والعدل، والعفو والشدة في مواضعها
.4تقديم منهج عملي للتعامل مع الإساءة) مراتب الانتصار والعفو والصبر والغفران(
.5ترسيخ مبدأ الشورى كقيمة وجودية في المجتمع المسلم
.6معالجة قضايا الرزق والهبات لتحقيق الرضا والتسليم لله
.7ربط الداعية بمهمته وأن البلاغ فقط، وليس الإكراه

الغاية من هذا الكتاب

الوعي الحي لكتاب الله عز وجل وتحويله إلى واقع حياة

وهذا يتجسد في:

· الانتقال من الفهم النظري إلى التطبيق العملي
· بناء الأسرة والمجتمع والحضارة على مفاهيم القرآن
· جعل القرآن نبراسًا في مواجهة الفتن والشبهات
· تربية النفس على الصبر والعفو والعدل والشورى

الأسلوب الذي اتخذه المؤلف

الخطاب المباشر يخاطب القارئ ب-"أيها العبد، أيها الحبيب، أيها السائر إلى ربه"
اللغة الأدبية المؤثرة تتدفق المعاني بعبارات شاعرية وأسئلة بلاغية
التحليل الموضوعي يقسم الآية إلى محاور: دلالات، رسائل نفسية، تربوية، عملية
الأمثلة التقريبية يضرب أمثلة حسية من الحياة لفهم المعاني المجردة
الربط بالواقع المعاصر يناقش تحديات العصر مثل الإعلام الرقمي، الشهوات المعاصرة، الضغوط النفسية
استخلاص المهارات يقدم مهارات عملية مثل: مهارة العفو، مهارة التوثيق، مهارة فتح النوافذ اليومية

ما يمتاز به أسلوب المؤلف ومنهجه

.1التكامل بين العقل والروح: يخاطب الفكر والوجدان معًا

.2التوازن بين الرهبة والرجاء: لا يغرق في التخويف ولا في التبشير فقط
.3المنهجية التطبيقية: لا يكتفي بالتنظير بل يقدم خطوات عملية
.4الشمولية: يغطي الأبعاد العقدية، النفسية، التربوية، الاجتماعية، الحضارية
.5المرونة: يستوعب اختلافات المفسرين دون تعصب
.6القراءة المقامية: يفرق بين مواطن العفو ومواطن الانتصار حسب المقام
ما يمتاز به هذا الكتاب عن بقية التفاسير

التفاسير التقليدية هذا الكتاب
تركزالتفاسير التقليدية على المعنى اللغوي والإعرابي بينما هذا الكتاب يركز على بناء المفاهيم وتطبيقها
تهتم التفاسير التقليديه بالروايات والأقوال بينما يهتم كتاب المفاهيم القرآنية بالرسائل النفسية و التربوية
التفاسير التقليديه تشرح الآية لذاتها بينما كتاب المفاهيم القرآنية يجعل الآية أداة لتغيير الذات
التفاسير التقليديه تصل إلى فهم النص بينما كتاب المفاهيم القرآنية يصل إلى تحويل النص إلى سلوك
التفاسير التقليديه تناسب طالب العلم المتخصص بينما كتاب المفاهيم القرآنية يناسب كل مسلم يبحث عن الهداية العملية

الهيكل التنظيمي لهذا الكتاب

الكتاب مقسم إلى مقاطع وأقسام وفق تسلسل الآيات في سورة الشورى:

- المقطع الأول: آيات الافتتاح) حم عسق(
المحور الأول: سر الحروف المقطعة
المحور الثاني: العزة والحكمة
المحور الثالث: وحدة الوحي

- المقطع الثاني: آية الملك) له ما في السماوات وما في الأرض(
مفهوم الملك المطلق
العلي العظيم

- المقطع الثالث: آيات الشورى والصفات المؤمنين
الاستجابة لله
إقامة الصلاة
الشورى بينهم
الإنفاق

- المقطع الرابع: آيات الانتصار والعفو والصبر
الانتصار من البغي
جزاء السيئة بمثلها
العفو مع القدرة
الصبر والغفران من عزم الأمور

- المقطع الخامس: آيات الرزق والهبات
لطف الله بعباده
حرث الدنيا وحرث الآخرة
هبة البنين والبنات والعقم

- المقطع السادس: آيات الوحي وطرق التكليم
روح من أمر الله
الصراط المستقيم
مفاهيم هذا الكتاب) عينة(

المفهوم معناه في السياق
اليقين الإيمان الجازم بأن القرآن من عند الله

العزة بالله التحرر من الذل للبشر والاستناد إلى القوي العزيز
الحكمة وضع الأمور في مواضعها
الشورى نظام اجتماعي يقي من الاستبداد والتفرق
الانتصار من البغي أخذ الحق بالمثل دون تجاوز
العفو مع القدرة ترك الانتقام مع الاستطاعة، وهو من عزم الأمور
الصبر والغفران مقام أعلى من العفو، يمحو أثر الإساءة من القلب
الروح في القرآن القرآن يحيي القلوب الميتة بالجهل والغفلة
الملجأ والنكير لا مهرب من الله يوم القيامة ولا إنكار

الجمهور المستهدف بهذا الكتاب

· كل مسلم يريد أن يعيش القرآن لا أن يقرؤه فقط
· الدعاة والمربون الباحثون عن منهج عملي في التربية
· طلاب العلم الذين يريدون فهمًا مقاصديًا للقرآن
· المشتغلون بالتنمية الذاتية من منظور إسلامي
· أصحاب الهمم العالية الذين يريدون الارتقاء بمقاماتهم الإيمانية
· المبتلون بالمصائب الباحثون عن طمأنينة وسكينة
· المظلومون الذين يبحثون عن ضوابط الانتصار والعفو

لماذا يجب أن أقرأ هذا الكتاب؟

لأنك ستجد فيه
إجابة عن سؤال: لماذا يُحرم البعض من الذرية؟
علاجًا للقلق على الرزق من خلال آية "لله مقاليد السماوات والأرض"
منهجًا عمليًا كيف تنتصر إذا ظُلمت، وكيف تعفو وكيف تغفر
فهمًا نفسيًا لطبيعة الإنسان في النعماء والضراء
تثبيتًا للقلب في زمن الفتن والشبهات
مهارات يومية تطبيقية مثل "مهارة العفو عند الغضب"
ربطًا روحيًا بالله من خلال أسمائه العلي العظيم، العلي العظيم، اللطيف، الغفور الشكور

مخرجات هذا الكتاب) ماذا تخرج به بعد القراءة؟(

المخرجات
إنسان قوي عادل لا يبدأ بالظلم ولا يرضى به
نفس مطمئنة تسلم لقضاء الله في الرزق والذرية
لغة حوار راقية مع المخالفين) لا حجة بيننا وبينكم(
قدرة على العفو مع التمييز بين العجز والكرم
فهم لمقام الصبر والغفران كأعلى درجات العزيمة
مهارة تحليل الظلم والتفريق بين المعتدي والمنتصر
استعداد يومي للهداية من خلال فتح منافذ القلب والعقل
يقين بأن القرآن روح ونور يحيي القلوب الميتة

الخاتمة

هذا الكتاب ليس كتابًا يُقرأ ثم يُغلق، بل هو دليل سفر في رحلة العمر نحو الله .يأخذك المؤلف بيدك من أول آية في سورة الشورى إلى آخرها، لا ليشرح لك الكلمات، بل ليغرس في قلبك يقينًا، ويبني في عقلك منهجًا، ويطهر روحك من الذل والحقد والخوف، ويمنحك أدوات عملية لتعيش القرآن واقعًا، لا نظريًا ولا شعائريًا فقط.

إنه كتاب من أراد أن يعيش عزيزًا بالله، حكيمًا في تصرفاته، شوريًا في قراراته، غفورًا عند القدرة، صابرًا على الأذى، مستجيبًا لربه قبل فوات الأوان.

"أيها الحبيب في الله، هذه الآيات هي ميثاق حريتك، ودستور عزتك، وينبوع يقينك."
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفيه ب سورة الشورى

أولا ً: عدد آياتها

سورة الشورى من السور المثاني، ويبلغ عدد آياتها ثلاثا ً وخمسين آية.(53)

ثانيا ً: مكان نزولها

السورة مكية بإجماع أهل التفسير، وذلك باستثناء الآيات من الثالثة والعشرين إلى السابعة والعشرين، فقد قيل إنها مدنية .وجو السورة المكي ظاهر فيها، فهو جو التحدي والمواجهة مع المشركين، وتقرير قواعد العقيدة الكبرى.

ثالثا ً: ترتيب السورة

. في المصحف الشريف: هي السورة رقم.42
. في ترتيب النزول: نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة الدخان، وترتيبها 62 في عداد نزول الوحي، وذلك في حدود السنة الثامنة بعد البعثة وقبيل الهجرة النبوية.

رابعا ً: الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت السورة في مرحلة اشتداد الأذى على النبي ﷺ وأصحابه في مكة، وبداية طغيان المشركين واستعلائهم .السورة تتحدث عن قضية "الاستعلاء في الأرض" والكبرياء الذي كان يميز زعماء قريش . الجو العام هو جو الصراع الفكري والعقدي بين التوحيد والشرك، حيث كان المشركون يتهمون النبي با لافتراء، وينكرون الوحي، ويستكبرون عن قبول الحق.

خامسا ً: أسباب النزول

لم ترد رواية واحدة صحيحة تخص نزول السورة بأكملها، ولكن وردت أسباب نزول خاصة ببعض آياتها:

.1الآية(23) : "قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى" .نزلت حين جمع الأنصار أموالا ً لرسول الله ﷺ فردها، أو ردا ً على المشركين الذين اتهموه بطلب المال والجاه، فأعلن أنه لا يطلب منهم جزاءً إلا أن يحفظوا حرمة القرابة التي بينه وبينهم.
.2الآية(27) : "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض" .نزلت في أهل الصفة حين تمنوا سعة الرزق بعد أن رأوا أموال بني قريظة والنضير.
.3الآية(51) : "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا" .نزلت ردا ً على اليهود الذين قالوا للنبي ﷺ: "هلا تكلم الله وتنظر إليه كما كلم موسى؟".

سادسا ً: أسماء السورة وسبب التسمية

.1سورة "الشورى" : وهذا هو أشهر أسمائها، وقد سُميت بذلك لورود لفظ الشورى في قوله تعالى: "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ") الآية .(38 وقد كان لهذا اللفظ وقع خاص في الإسلام، فأراد الله أن يجعل من هذه السورة دستورا ً للمسلمين في إدارة مجتمعاتهم.
.2سورة "حم عسق" : سُميت بذلك نسبة إلى الحروف المقطعة التي افتتحت بها السورة، وقد أطلق هذا الاسم على السورة عدد من الصحابة والتابعين، ومنهم الإمام البخاري.

سابعا ً: خصائص السورة وفضائلها

.1أنها من الحواميم: وهي السور التي تبدأ بـ "حم"، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يسمي الحواميم "عرائس القرآن" أي زينته وأجوَدَه.
.2افتتاحها بالحروف المقطعة: بدأت السورة بحم، عسق، وهو أسلوب تحدٍ وإعجاز للعرب البلغاء.
.3الاشتراك في الفضل مع سورة فصلت: ورد عن النبي ﷺ أن سورتي "فصلت" و"الشورى" يُكتب لهما نور يوم القيامة.
.4ليست فيها سجدة تلاوة: على عكس بعض السور المكية، لا توجد فيها آية سجدة.

ثامناً: ما انفردت به السورة

.1تفصيل أصول الشورى: انفردت السورة بجعل "الشورى" صفة لازمة للمؤمنين، ليس كأسلوب إداري فقط، بل كقيمة وجودية في بناء المجتمع، فهي أول سورة قرر فيها الله هذا المبدأ بشكل جلي.
.2تفصيل طرق الوحي: في آية واحدة (51) جمعت السورة أنواع الوحي الثلاثة التي يتلقى بها البشر كلام الله: إما وحياً مباشراً في القلب، أو من وراء حجاب، أو بإرسال رسول ملك.
.3الجمع بين العدل والفضل: ركزت السورة على التوفيق بين حق الانتصار من الظلم) بالمثل (وفضل العفو والصبر، وحددت كل مقام بما يناسبه.

تاسعاً: علاقة السورة بما قبلها) سورة فصلت(

· اتفاق الهدف: كلتا السورتين نزلتا في فترة متقاربة، وتتكاملان في الحديث عن عظمة القرآن ودحض شبهات المشركين .فصلت تحدثت عن الإعراض عن القرآن، والشورى تحدثت عن أسباب هذا ا لإعراض) وهو البغي والكبر.(
· ربط الخاتمة بالمقدمة: خُتمت سورة فصلت بالحديث عن "شقاق بعيد"، وجاءت الشورى لتشرح أن سبب هذا الشقاق ليس الجهل، بل هو "البغي" بعد العلم، مما يكشف عن الجذور النفسية للكفر.

عاشراً: التناسب بين افتتاحية السورة وخاتمتها

· الافتتاحية: "حم، عسق، كذلك يوحي إليك..." تؤكد حقيقة أن هذا القرآن وحي من الله العزيز الحكيم، وتبدأ بذكر وحدة المصدر.
· الخاتمة: "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا..." تؤكد نفس الحقيقة، ولكن بإضافة أن هذا الوحي هو "روح" تحيا به القلوب، و"نور" يهدي إلى الصراط المستقيم.
· وجه التناسب: السورة تبدأ بالوحي وتنتهي بالوحي، وكأنها دائرة مغلقة تدور حول محور واحد: إن هذا الكتاب من عند الله، وهو سبيل الحياة الحقيقي.

الحادي عشر: المواضيع التي تتحدث عنها السورة

.1قضية الوحي والرسالة: وهي المحور الأعظم، وبيان أن محمداً ﷺ ليس بدعاً من الرسل.
.2بيان أسباب التفرق: أن التفرق لم يكن عن جهل، بل عن بغي وعدوان وحسد من أهل الكتاب و المشركين.
.3صفات عباد الرحمن: وهم الذين يستجيبون لله، ويقيمون الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، وينفقون، وإذا أصابهم البغي هم ينتصرون.
.4قانون القصاص والعفو: مبدأ "الجزاء بمثل ما عوقبتم به" مع الحث على الصبر والعفو، وبيان أن من صبر وغفر فذلك من عزم الأمور.
.5حقيقة الرزق: أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن سعة الرزق قد تكون استدراجاً، وضيقه قد يكون خيراً.
.6المودة في القربى: بيان أن صلة الرحم والمحبة فيها هي من تمام الإيمان.

الثاني عشر: مقاصد السورة

.1تقرير اليقين بأن القرآن وحي من الله: ليس كلام بشر ولا شعر ولا كهانة، وهو الهدف الذي افتتحت به السورة.
.2بناء مجتمع التوحيد والشورى: غرس مبدأ الاجتماع على الحق، ورفض الفرقة والتنازع، وتأسيس قيادة جماعية تستند إلى التشاور.
.3تربية النفس على العزة والقوة مع العدل: المؤمن قوي لا يقبل الذل، ينتصر إذا ظلم، ولكنه لا يظلم، ويعفو إذا كانت العفة أقرب للتقوى.
.4تثبيت النبي والمؤمنين: في مواجهة تكذيب المشركين، وتخفيف الحسرة عليهم، وتذكيرهم بأن مهمتهم هي البلاغ فقط، والهداية بيد الله وحده.
.5الإعداد ليوم الحشر: تذكير الناس بيوم الجمع الذي لا ريب فيه، وأن هنالك فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، جزاءً بما كانوا يعملون.
.6تحرير الإنسان من عبودية المال والجاه: بتذكيره بأن الله هو مالك الملك، وأن ما في أيديهم مجرد متاع زائل، والعمل للآخرة هو الباقي.
هذا هو محتوى السورة بشكل موسع، يجمع بين أصول العقيدة وفقه الحياة العملية، ليكون المسلم

على بصيرة من أمره في دينه ودنياه.

المقطع الاول
القسم الاول
المبحث الأول
أيها القلب المتعطش لنور الوحي، يا من تبحث عن يقين يملأ كيانك، وعن عزة ترفعك عن الذل، اسمح لي أن آخذ بيدك في رحلة لا تشبه غيرها من الرحلات .رحلة إلى ظلال سورة الشورى، حيث يتراءى لك المشهد الأول، فتسمع تلك الحروف التي هزت أعماق الجاهلية، وتشعر بأنها تخاطب فيك شيئاً عميقاً، شيئاً ظل ينتظر هذا النداء.

دعنا نقف معاً في رحاب الآيات الثلاث الأولى، حيث يقول الله عز وجل:
﴿حم﴾ (1) ﴿عسق﴾ (2) ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(3)

إننا لسنا أمام مجرد كلمات تُتلى، بل نحن أمام إعلان وجودي، ونظام تشغيل كامل للروح والعقل و المجتمع .إن ما سنغوص فيه ليس مجرد تفسير، بل هو استخراج لكنوز هذه الآيات، واستنطاق لأ سرارها، لنجعلها خريطة طريق لحياتنا، وبوصلة لعقولنا، ودواء لأدوائنا .وسنفعل ذلك بمنهجية تجمع بين تفكيك العبارة وتحليل الروح، ليكون الكلام موجهاً إلى عقلك ليبني فيه قناعة، وإلى قلبك ليحرك فيه شوقاً، وإلى نفسك ليملأها طمأنينة.

وقبل أن نفتح بوابة هذه المعاني، اسمح لي أن أحدد لك معالم هذه الرحلة وغاياتها:

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

.1فهم سر الافتتاحية: أن ندرك لماذا بدأت السورة بـ "حم عسق"، وكيف أن هذه الحروف ليست مجرد رموز، بل هي صدمة إيجابية للعقل، وتحدٍ للكبر، ودعوة للتسليم.
.2إدراك عظمة المصدر: أن نتيقن بأن هذا القرآن ليس من عند بشر، بل هو وحي من "العزيز الحكيم"، وكيف أن هذا اليقين هو الترياق الناجع ضد سموم الشك والريبة والأهواء التي تنخر في عظام أمة الإسلام اليوم.
.3استيعاب قيمتي العزة والحكمة: أن تفهم كيف أن الله، بوصفه نفسه بـ"العزيز الحكيم"، يحررك من كل استبداد بشري، ويمنحك منهجاً للحياة يضمن لك السير في طريق الصواب، والوصول إلى شاطئ ا لأمان.
.4التطبيق العملي: أن ننتقل من مجرد الفهم النظري إلى أرض الواقع، فنعرف كيف نعيش بهذه الآ يات، وكيف نبني بها شخصياتنا، وأسرنا، ومجتمعاتنا، وحضارتنا.

والآن، وقد اتضحت لنا الغاية، هيا بنا نشرع في الغوص، في. اسرار هذه الايات

الأمر الأول:
الغوص في دلالات الآيات ومحاورها

فلنقم بتشريح هذه الآيات الكريمة محوراً تلو الآخر، لنرى كيف تتدفق منها المعاني كالنهر العذب.

المحور الأول:
دلالة افتتاح السورة بـ) حم عسق(

قف معي لحظة عند مطلع هذه السورة .الله تعالى يفتتح كلامه بـ "حم، عسق" .إنه خطاب لا يشبه أي خطاب .لم يبدأ بجملة اسمية أو فعلية، بل بدأ بحروف .لماذا؟ ما السر الذي يكمن وراء هذه الحروف المقطعة؟

السر في افتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة

تأمل معي، أيها العزيز، المشهد في مكة والقرآن يتنزل .العرب آنذاك كانوا في قمة الفصاحة والبلاغة، يفخرون ببيانهم ولسانهم .ويأتيهم رجل أمي، من بين ظهرانيهم، فينطق بكلام ليس ككلامهم، كلام يهز القلوب، ويأخذ بالألباب .فكيف يلفت الله أنظارهم إلى أن هذا الكلام ليس من صنع بشر؟ كيف يخرس ألسنتهم التي تتهمه بالسحر والشعر والكهانة؟ إنه يأتيهم من جنس ما يتقنونه: الحروف! نفس الحروف التي يتحدثون بها، ويؤلفون منها خطبهم وقصائدهم.

كأن الله يقول لهم، ولكل من يأتي بعدهم: "هذا القرآن مكون من نفس هذه الحروف: الألف واللام و الميم، والحاء والميم، والعين والسين والقاف .إنها بين أيديكم، هي مادتكم الخام التي تبثون بها أفكاركم .فإذا كنتم صادقين في أنه كلام بشر، فأتوا بسورة من مثله" .هذا هو جوهر التحدي والإ عجاز.

اللمسات البيانية والبلاغية

انظر إلى العبقرية البلاغية! إنه أسلوب "التشويق والتنبيه" .تخيل أنك في مجلس يعمه الصخب، وفجأة ينطق المتحدث بكلمات غامضة، ماذا يحدث؟ يصمت الجميع، وتتجه كل الأسماع إليه، منتظرين ما سيقول .هذا هو ما تفعله الحروف المقطعة .إنها توقظ الغافل، وتنبه الساهي، وتجبر المتكبر على أن يصغي .إنها صدمة لغوية تهز الرتابة، وتجعل القلب مهيئاً ومتشوقاً لتلقي الرسالة العظيمة التي تليها.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية

· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن أول خطوة في طريق الهداية هي الإنصات .فالله لم يبدأ بالموعظة مباشرة، بل بدأ بما يجذب الانتباه .وفي حياتنا، قبل أن تتلقى العلم والحكمة، عليك أن تفرغ ذهنك من ضوضاء الدنيا، وتصغي بقلبك وقالبك لكلام ربك.
· الرسالة النفسية: هذا الافتتاح يزرع في النفس شعوراً بالهيبة والتعظيم لما سيأتي .إنه يُشعر المؤمن بأنه مقبل على كلام عظيم، كلام ليس كسائر الكلام، فيتهيأ لهيبته خشوعاً وخضوعاً .وهذا يخلص النفس من حالة "الاستسهال" في التعامل مع القرآن.
· الرسالة الفكرية: إنها تضع العقل البشري في حجمه الطبيعي .فأنت، أيها الإنسان، مهما بلغت فصاحتك وعلمك، فإنك تقف عاجزاً أمام حروف لا تدرك كنهها .هذه العجز هو بداية التواضع الفكري، وهو الشرط الأساسي لطلب الحكمة .إنها تدعونا للتسليم بأن هناك أموراً فوق مستوى إدراكنا، وهذا هو لب اليقين.

المحور الثاني:
دلالة تخصيص هذه السورة بزيادة) عسق (على) حم(

لعلك تساءلت، وقلبك ينبض بالشوق للمعرفة: ما بال هذه السورة تحديداً افتتحت بـ "حم عسق"، بينما غيرها من ذوات "حم" السبع اقتصرت على "حم" فقط؟ هذا سؤال جوهري، يكشف لك عن دقة النظم القرآني وإعجازه.

زيادة التحدي في زمن الشك والطعن

لقد نزلت هذه السورة في وقت اشتد فيه الطعن في القرآن، وارتفعت فيه أصوات المشركين تتهم النبي صلى الله عليه وسلم، وتصف القرآن بأنه إفك اختلقه .لقد كانوا في حالة من الشك والريبة دفعتهم إلى محاولة زعزعة المؤمنين .فجاءهم التحدي مضاعفاً .بزيادة حروف التهجي) "عسق" على "حم"(، زاد الله سبحانه وتعالى من بيان إعجاز القرآن .وكأنه يقول لهم: ليس فقط "حم" تعجزون عن الإتيان بمثلها، بل هاكم مزيداً من الحروف، من نفس جنس كلامكم، ومع ذلك، أعجزتم وأعييتم .إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وزيادة في التحدي تليق بزيادة الطعن والتكذيب.

كيف تشعرنا "عسق" بالوقوف أمام سر الله؟

الشعور الذي يغمرنا هنا هو شعور مزدوج: إدراك العجز، وفي نفس الوقت، اكتساب العزة .إن هذه الحروف تشعرنا بأن عقولنا، على قدر ما أوتيت من قوة، قد توقفت وعجزت أمام سر الله في كلامه . إنها ليست رموزاً فكّ طلاسمها هو الغاية، بل الغاية هي ذلك الشعور المهيب بالوقوف أمام المطلق . إنها تؤكد أن القرآن من عند الله، لأن البشر لو اجتمعوا لما استطاعوا أن يأتوا بكلام في إحكامه وبلا غته، يبدأ بحروف لا يُفهم معناها بالعقل المجرد، ومع ذلك تبقى ناصعة البيان في بقية آياتها .هذا هو الإعجاز الذي يخرس الألسن، ويؤكد أن هذا الوحي ليس كلمات عابرة، بل هو تنزيل من حكيم حميد.

هدم أغلال الأهواء والمؤثرات الذاتية

لعل من أعمق ما تحققه هذه الافتتاحية أنها تهدم "الأنا" المتضخمة .الإنسان الذي يأتي للقرآن محمّلا ً بأهوائه، محاطاً بسدود من المؤثرات والموروثات الفكرية الجاهلية، يحتاج إلى صدمة تطيح بكل هذه الحواجز ."حم عسق" هي هذه الصدمة .إنها تجعلك تقف مع ذاتك وقفة مراجعة، تناقشها

وتصارحها: إن كان هذا الكلام من عند بشر مثلي، فلماذا أعجز عن فهم حروفه الأولى؟ إنها لحظة تجرد من الكبرياء، لحظة خروج من ضغوط الفكر الجاهلي، وتحرر من المشوشات النفسية التي تجعل الإنسان في شك وريبة .إنها تدعونا أن نأتي للقرآن بقلب سليم خالٍ من الموانع، مستعد للتسليم و اليقين بأن ما فيه هو الحق من عند الله.

تحويل الحيرة إلى تسليم

وهنا نصل إلى الثمرة الكبرى: هذه الافتتاحية تهدف إلى حل الإشكاليات المانعة من الإيمان، وفي مقدمتها الحيرة .هل تشعر في حياتك بأمور غامضة، أو تقع في فتن، أو ينزل بك قضاء لا تفهم حكمته؟ "حم عسق" تعلمك المنهج .إنها تقول لك: كما أنك تقف مسلِماً لهذه الحروف، مؤمناً بأن لها معنى عند الله، دون أن تخوض في تأويل متكلف، فهكذا ينبغي أن يكون موقفك من كل قدر خفي عليك وجه حكمته .تذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ .تتحول لحظات الحيرة والفتن، بهذا اليقين، إلى لحظات تسليم لله العزيز الحكيم، بدلا ً من الاعتراض والقلق الزائد الذي يمزق النفس .هذا هو السكينة التي يهبها الله لعباده المؤمنين.

المحور الثالث:
دلالة التشبيه في قوله) كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ(

والآن نصل إلى قلب الرسالة، إلى الآية الثالثة: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

لماذا جاء التشبيه بـ "كذلك"؟ ودلالة وحدة الرسالات

انظر إلى كلمة "كَذَٰلِكَ" .إنها كاف التشبيه .فكأن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: "مثل هذا الوحي العظيم، المتحدي بحروفه، المحكم في آياته، نُوحي إليك يا محمد، وكما أوحينا إليك، فقد أوحينا إلى الذين من قبلك من الرسل" .إنها ليست فقط "مثل هذا الوحي"، بل هي "مثل هذه الطريقة ، وعلى هذه السنة الإلهية الماضية".

ما أعظمها من رسالة! إنها تنتشل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من شعور الوحدة والعزلة . إنها تربطهم بموكب النور الممتد عبر التاريخ .يا محمد، أنت لست بدعاً من الرسل، وما جئت به هو امتداد لرسالة إبراهيم وموسى وعيسى .هذا هو التوحيد في أبهى صوره: وحدة المصدر، وحدة الرسالة، وحدة المنهج .الدين عند الله واحد في جوهره، وهو الإسلام لله رب العالمين.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية

· الرسالة التربوية: إن هذا التشبيه يبني في قلب المؤمن الاعتزاز بتاريخه العقدي .أنت لست تابعاً ذليلا ً لأحد، بل أنت وارث للأنبياء والمرسلين .وهذا الإرث يمنحك قوة وثباتاً في مواجهة الطغيان الفكري أو الحضاري .أنت صاحب الرسالة الخاتمة، التي تشهد على ما قبلها ومهيمنة عليه.
· الرسالة النفسية: إنها أعظم دواء للشعور بالغربة والضيق الذي قد ينتاب الداعية أو المؤمن حين يرى تكالب الأمم عليه .الله يقول لنبيه ولكل مؤمن: أنت على الطريق الصحيح، طريق الرسل من قبلك . هذا يملأ النفس طمأنينة وسكينة ويقيناً بأن العاقبة للمتقين، مهما طال الطريق .إنه إذن بالثبات، ونهي عن الانهزام النفسي.
· الرسالة الفكرية: هذه الآية ترسي قاعدة "وحدة المعرفة" .فالمعرفة الحقة والمصدر الإلهي لا يتناقضان .ما أوحي إليك هو امتداد وتصديق لما سبقه، مما يعني أن هذا الدين قادر على مخاطبة العقل الإنساني في كل زمان ومكان، لأنه يقوم على أصول ثابتة وفطرة سليمة .إنها دعوة لرفض التمزق والشتات الفكري، وللالتزام بمنهج واحد هو الصراط المستقيم.

المحور الرابع:
دلالة ختم الآية بـ) العَزِيزُ الحَكِيمُ(

وهنا نقف عند الجوهرة المتلألئة التي تزين هذا المقطع: اسم الله "العزيز الحكيم" .لماذا هذان الاسمان ؟ ولماذا قُدِّم "العزيز" على "الحكيم"؟

تحرير الإنسان من الاستبداد والطغيان باسم "العزيز"

تأمل، رعاك الله، كيف أن الله يُعرِّف نفسه في سياق إنزال الكتاب بأنه "العزيز" .العزة تعني القوة

المطلقة، الغلبة، المنعة .فهو القوي الذي لا يغلب، القاهر الذي لا يقهر .وعندما يخبرنا أن هذا القرآن تنزيل من هذا "العزيز"، فكأنه يعلن إعلاناً كونياً: "أيها الناس، لقد جاءكم الكتاب من القوي الذي لا يغلب، ليحملكم على منهجه، فمن تمسك به نال العزة" .وهنا تكمن الثورة الحقيقية على كل طاغوت في الأرض.

إن أي استبداد بشري، أي طغيان سياسي أو اجتماعي أو فكري، إنما يقوم على شعور الإنسان بضعفه وبطش ذلك الطاغوت .فإذا أيقن المؤمن أن المصدر الذي يستمد منه قيمه وتشريعاته هو "العزيز" الذي لا يغلبه شيء، تحرر من رهبة كل أحد .كيف يخاف من بشر ضعيف مثله، من استمد عزه من الله العزيز؟ القرآن إذن هو كتاب التحرير من كافة مظاهر الاستبداد والطغيان، لأنه يربطك بالمصدر الأقوى الذي لا يُغلب.

الحماية من الخطأ وبلوغ الصواب باسم "الحكيم"

ثم يأتي اسم "الحكيم" .الحكيم هو الذي يضع كل شيء في موضعه الأليق به .فإذا آمنت بأن هذا المنهج منزل من "حكيم"، فأنت تثق ثقة مطلقة بأن كل ما فيه هو خير لك، وأن أوامره ونواهيه ليست عشوائية، بل هي لحكمة بالغة، سواء أدركتها أنت أم لم تدركها .هذه الثقة تولد فيك طمأنينة عجيبة، وتزيل الحيرة والتردد .من يتبع الحكيم لا يضل ولا يشقى، لأنه يسير على خريطة صممها أعظم حكيم.

إنه يحميك من الوقوع في الخطأ والفساد .فحين تعلم أن الله حكيم، تعلم أن منهجه يميز لك بين الصواب والخطأ، بل ويرتقي بك إلى تمييز الصواب من الأصوب، والأفضل من الفاضل .وهذا يمنع ارتباس المفاهيم، ويبدد الشكوك والريب، ويمنع الانحطاط الأخلاقي والفكري، لأنه يدلك على الطريقة المثلى في كل شيء.

سر تقديم "العزيز" على "الحكيم"

إن سر التقديم هنا بليغ جداً .فهو يتناسب مع انتهاء سورة فصلت التي سبقت، حيث قال تعالى: ﴿ ... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ .هؤلاء الذين في شقاق بعيد يحتاجون أولاً إلى استشعار عزة الله وقوته التي لا تُرد، ليرتدعوا عن عنادهم .فتقديم "العزيز" هنا هو بمثابة إعلان القوة أولاً، فهو ترهيب من القوي الذي لا يغلب، وتهديد لمن يكذب بهذا الوحي .ثم يأتي "الحكيم" ليبعث الطمأنينة في قلب المؤمن بأن هذه القوة ليست قوة بطش ظالمة، بل هي قوة تحكمها الحكمة والعدل والتدبير المقتدر .إنه جمع بين الرهبة والرغبة، بين الخوف والرجاء، وهو ما يصنع التوازن في قلب المؤمن.

الأمر الثاني:
القضايا الكبرى والمفاهيم التي تعالجها الآيات

بعد أن حللنا الدلالات، دعنا نرتق إلى مستوى أوسع، ونرى كيف تشخّص هذه الآيات أمراضنا، وتؤسس لقيمنا.

المحور الأول: القضايا التي تعالجها الآيات

١.مواجهة إشكالية الاستعلاء في الأرض

نعم، لقد نزلت السورة في وقت اشتدت فيه أذية المشركين، وكانت مشكلتهم الأساسية هي "الاستعلاء " والكبر .وهذا الاستعلاء يقود حتماً إلى الظلم والطغيان .والعلاج القرآني هنا رباني معجز .إنه لا يخوض في تفاصيل مظالمهم بقدر ما يقتلع المشكلة من جذورها .كيف؟
يعيد تعريف القوة والعزة .فالله "العزيز الحكيم" هو الذي بيده القوة الحقيقية .الصراع بين الحق و الباطل ليس جديداً، بل هو سنة كونية: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ .كان هناك دائماً فراعنة ومستعلون، وكان هناك دائماً رسل يدعون إلى التوحيد .فلماذا يخاف المؤمنون، أو يشعروا بـ الضعف، والحق الذي معهم منزل من القوي الذي لا يغلب؟ هذا يعلمنا درساً: عندما تشعر بضعف إمكانياتك المادية أمام جبروت الباطل، لا تنظر إليها، بل استمد قوتك من "العزيز" .كن مع الله يكن معك، وكن واثقاً أنه فوق كل شيء، وهو ناصر عباده المؤمنين.

٢.تأسيس الشخصية وتأسيس المجتمع المسلم

الآيات هنا لا تقدم مجرد أخبار، بل هي تضع حجر الأساس لبناء شخصية إسلامية فريدة، ومجتمع

متين .إنها تقول لكل مسلم: هويتك هي أنك تتلقى عن "العزيز الحكيم" .وهذا المصدر هو المرجع الأ ول والأخير، وهو "حبل الله" الذي يربطك بالسماء.

. الشخصية المسلمة: ستكون شخصية معتزة بمنهج الله، متمسكة بالقرآن، ثابتة عليه .لا تتطاول عليها أهواء البشر، ولا تزعزعها عواصف الشبهات .هي شخصية تجد سلامتها ونجاتها في ﴿اتِّبَاعَ القُرْآن﴾، وهذا يتناسب تماماً مع خاتمة سورة فصلت التي سألت: ﴿ ...وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ . الجواب هو: من يتبع القرآن خرج من الضلال والشقاق إلى الهدى والوفاق.
. المجتمع المسلم: مجتمع يقوم على مرجعية الوحي، يتخلص من التيه، ويستعلي بالله لا بالجاه و المال .إنه مجتمع يعلم أن الطريق مرسوم، والغاية واضحة، مما يمنحه تماسكاً وثباتاً يفتقده كل مجتمع لا يدري من أين يستمد قيمه.

٣.اتصال السماء بالأرض واستمراريته

لاحظ، يا رعاك الله، الفعل "يُوحي" .جاء بصيغة المضارع .لم يقل "أوحى" بصيغة الماضي التي تدل على انقطاع الفعل، بل "يُوحي" التي تفيد التجدد والاستمرار .هذا له دلالة عظيمة! إنه يعني أن هذا الوحي ليس حدثاً تاريخياً وانتهى، بل هو اتصال حي ومستمر .القرآن نزل وهو حي، وهو باق حي في قلوب المؤمنين، نبع متجدد لا ينضب .هذا الإيحاء هو امتداد لرسالة الأنبياء، مما يوجب علينا الإ يمان الكامل والامتثال الدائم، لا الإيمان التاريخي المجرد .إنه رسالة ترسي في النفس عظمة المصدر وقدسيته، وتجعل التعامل معه تعاملا ً آنياً، وكأنه ينزل عليك الآن.

٤.ترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية

الآية، بجعلها الوحي خطاباً مباشراً "إليك"، ترسخ مبدأ أن الإنسان مسؤول .لقد أكرمك الله بهذا الوحي لتفهمه وتعمل به .أنت لست مهملا ً، ولست مشاعاً في كتلة بشرية .أنت مخاطب، مكلف، ومسؤول عن حمل هذه الأمانة العظيمة .وهذا يبني شخصية واعية، تدرك عظمة التكليف، وتعيش حياتها بجدية.

المحور الثاني:
القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيات

1.قيمة التوحيد وإفراد الله بالألوهية: تنبثق هذه القيمة من قوله "اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ" .هو وحده المصدر الأوحد للوحي والتشريع .صفاته) العزة، الحكمة (مطلقة، لا يشاركه فيها أحد .هذا هو التوحيد العملي الذي يتسرب إلى مسام القلب، ليعمره بحب الله وحده والخضوع له.
2.قيمة الإيمان بالوحي ومصدره الإلهي: اليقين بأن القرآن وحي من الله، ليس من فكر محمد صلى الله عليه وسلم، بل أوحي إليه كما أوحي للأنبياء من قبله .هذه القيمة هي حائط الصد ضد أي محاولة لعلمنة الدين أو جعله نتاجاً ثقافياً بشرياً.
3.قيمة الاعتزاز بالله وصفاته: الإيمان بأن الله "العزيز" يمنح المؤمن عزة لا تضاهى .إنها عزة الإمام والمأموم، عزة الاستناد إلى القوة المطلقة التي لا تغلب .إنها تحرره من الذل للبشر، وتجعله عزيزاً في الحق، لا يخاف لومة لائم.
4.قيمة الاعتزاز بنسب الإيمان: حينما تربط الآية النبي صلى الله عليه وسلم بمن سبقه من الأنبياء، فهي تبرز وحدة الرسالة ومصدرها .وهذا يعطي المؤمن شعوراً بالانتماء إلى سلسلة ذهبية من النور، مما يعزز هويته الإيمانية وثقته بصحتها.

المحور الثالث:
أبعاد وآفاق هذه الآيات

هذه الآيات ليست فقط لبناء الفرد، بل هي لصياغة كون من المعاني، وإليك أبعادها:

١.البعد العقدي: الإعجاز والتحدي في "حم عسق":
هذه الحروف تبني في النفس عقيدة راسخة: وهي أن الإيمان يكون بما أنزل الله جملة، دون الخوض فيما لا يبلغه العقل .إنه بناء لمنهج التسليم .وفي نفس الوقت، هي تحدٍ قائم إلى يوم القيامة، يعلن عجز البشر عن الإتيان بمثله، مما يؤكد يقيناً أنه كلام الله.

٢.البعد التوحيدي والرسالي في "كذلك يوحي إليك":
إنه يرسخ حقيقة أن الدين عند الله واحد، والتوحيد هو جوهر الرسالات .إنه يفتح أفقاً للمؤمن ليرى نفسه جزءاً من أمة عظيمة ضاربة في أعماق التاريخ، هدفها إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

.٣الآفاق المستقبلية والتربوية للآية:

· التثبيت والثبات: الهدف التربوي المباشر هو تثبيت قلب النبي والمؤمنين، وتذكيرهم بأن طريقهم هو طريق الأنبياء، وهذا فيه عزاء عظيم وقوة في مواجهة التحديات.
· الشمول وسعة الأفق: تفتح الآيات أفق ربط الجماعة المسلمة بتاريخها، والإيمان بالغيب الذي هو أعظم من عالم المادة المحسوسة .إنها تصنع عقلا ً مؤمنا بالغيب، متصلا ً بالسماء، واثقا بموعود الله.

المحور الرابع:
أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

لنستخلص الآن المفاهيم التي سنزرعها في أعماقنا، فهي بمثابة الأدوات التي نعمر بها حياتنا:

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم وحدة المصدر المعرفي: القرآن هو استمرار لنهج الهداية الإلهي .المعرفة الحقة لا تأتي متضاربة من الشرق والغرب، بل مصدرها واحد.
· مفهوم كمال الصفات الإلهية: "العزيز الحكيم" صيغة تنفي عن الله النقائص .عزة بلا طغيان، وحكمة بلا ضعف .هذا الكمال يبعث على الرهبة والمحبة معا.
· مفهوم نفي الشبهات واليقين المعرفي: الآيات تعزز فكرة أن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل، فيعيش المؤمن بيقين فكري، لا تعصف به الشبهات.

ثانيا: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· مفهوم التشويق والتنبيه: كداعية أو مربٍ، تعلم من الله أسلوب الخطاب .ابدأ بما يجذب الانتباه ويوقظ النفوس، قبل بث الحقائق.
· مفهوم الاستجابة والامتثال: تربي الآية المؤمن على الانقياد لأمر الله بثقة تامة، لأنه منزل من حكيم .هذا يبدد التسويف والتلكؤ، وينمي خلق الطاعة الواعية للحكمة.
· مفهوم الاعتزاز بالمنهج الإلهي: التربية على أن هذا القرآن هو روح ونور وشفاء، والاعتزاز به كمنهج كامل للحياة، ليس فقط ككتاب تبرك.

ثالثا: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الأمن النفسي والثقة المطلقة: ربط القلب بـ"العزيز الحكيم" يخلق سكونا عجيبا .أنا في حمى من بيده كل شيء، وهو حكيم في تدبيره لي .هذا هو الأمان النفسي الذي تبحث عنه البشرية ولا تجده إلا هنا.
· مفهوم تسلية النفس والصبر: عندما تعلم أن طريق الأنبياء مليء بالتكذيب، يخف حملك، وتهون عليك المصاعب، وتتعزى وتصبر .الآية توفر حماية نفسية من الإحباط واليأس.
· مفهوم توازن الخوف والرجاء: "العزيز" يملأ القلب مهابة، و"الحكيم" يملأ القلب محبة وسكينة .هذا التوازن يمنع النفس من اليأس القانط أو الأمن المفرط، ويصنع شخصية متوازنة ذات صلابة نفسية عجيبة.

المحور الخامس:
دور هذه المفاهيم في البناء والتنمية

لنسقط الآن هذه النظريات على أرض الواقع، ونرى كيف تبني الآيات الكريمة الإنسان والمجتمع:

أولا ً: في بناء الإنسان المتزن:
إنها تصلح ما فسد في أعماقنا، وتبني إنسانا سويا، من خلال:

.1بناء الثقة واليقين عبر الوحي: أن ترتبط بمصدر معرفي مطلق لا يخطئ، يجعلك إنسانا واثقا، مطمئنا، لا تتخبط في ظلمات الشكوك أو الأهواء الشخصية .أنت تعرف طريقك، وتعرف نهايته، فتمشي إليه بخطى ثابتة.
.2بناء شخصية متواضعة عزيزة بـ"العزيز الحكيم":
· العزة: الاعتزاز بالله وحده يحررك من عبودية البشر والخضوع لغير الله .تصبح عزيز النفس، لا

تنحني إلا للواحد القهار.
· الحكمة: التسليم بحكمة الله يجعلك راضياً متقبلا ً، تثق في تدبيره حتى عند الشدائد .هذا يمنحك هدوءاً نفسياً واستقراراً عاطفياً لا تمنحه كل كنوز الدنيا.
.3بناء الوعي والمسؤولية: استشعار أن الله العزيز الحكيم هو من يوحى إليك، يبني فيك ضميراً يقظاً، يجعلك مسؤولا ً عن تصرفاتك، لأنك تتلقى توجيهاتك من علو.

ثانياً: في التنمية وتطوير الحياة والمجتمع:
لا تظن أن هذه المفاهيم مجرد تأملات روحانية، بل هي محرك عظيم للحضارة والعمران:

.1تنمية قائمة على العزة والحكمة: الله "العزيز" يمنح المجتمع القوة والمنعة، و"الحكيم" يوجهه نحو التدبير السديد والإتقان .إنها تنمية تجمع بين القوة والعلم، بين العزة والعدل، فلا تكون قوة غاشمة، و لا علماً بلا أخلاق.
.2الاستجابة لله كعمل جماعي: الآية تؤسس لمفهوم الاستجابة لله، وهذا يتحول إلى عمل جماعي من خلال الصلاة) التزكية الروحية(، والإنفاق) التنمية الاقتصادية والاجتماعية(، والشورى) التنمية السياسية والإدارية .(وهذه هي عناصر التنمية الشاملة التي تقوم عليها أي حضارة حقيقية.
.3إدارة الشؤون بالشورى: سورة الشورى، حتى في مقدمتها، تمهد لمبدأ الشورى بأن تجعل مرجعية المجتمع لله، ثم جعلت أمرهم شورى بينهم .هذا هو أساس الحكم الرشيد، الذي يضمن مشاركة أهل الحل والعقد، ويوزع المسؤولية، ويحقق العدالة الاجتماعية، ويقضي على الاستبداد.
.4التطوير والتجديد المستمر: بما أن الوحي هو المصدر، وفهمه عميق لا ينضب، فإن المجتمع سيظل قادراً على إيجاد حلول تنموية متجددة لكل مستجد، في إطار مبادئه العامة الثابتة.

المحور السادس:
دور هذه المفاهيم في بناء المجتمع والحضارة الإسلامية

إن ما سبق ليس تنظيراً، بل هو خريطة بناء حضارة عريقة، وكيف لا وهي مؤسسة على كلام الله!

.1التأسيس لمرجعية المجتمع وهيكلية الحكم:
· مرجعية الوحي: حضارتنا حضارة ربانية المصدر، لا تنفصل فيها الدنيا عن الدين .هذا يمنحها هوية ثابتة وغاية واضحة، فلا تضيع في متاهات الفلسفات البشرية المتقلبة.
· وحدة الأمة الإنسانية: ﴿إِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ ترسخ مفهوم وحدة الدين .هذا يبني مجتمعاً منفتحاً على الإنسانية، يحترم الأصول المشتركة، ويرفض العصبية والعنصرية.
.2بناء المجتمع على قيم "العزيز الحكيم":
· العزة: تغرس في نفوس الأمة الكرامة والمنعة، فتكون قوية في مواجهة التحديات .مجتمع يشعر بأن من ينتمي إليه هو القوي الذي لا يغلب، لا يمكن أن يكون مجتمعاً ذليلا ً أو تابعاً.
· الحكمة: توجه المجتمع نحو التخطيط العلمي، وإتقان العمل، ووضع الأمور في نصابها .هذا هو أساس التقدم الحضاري الذي يقوم على النظام والمعرفة، لا على الفوضى والارتجال.
· العدالة: اقتران العزة بالحكمة يعني أن القوة في الإسلام ليست بطشاً وتجبراً، بل هي قوة عادلة منضبطة بحكمة .وهذا هو الفارق الجوهري بين الحضارة التي ترعى القيم، والإمبراطورية التي تقوم على القهر.
.3ترسيخ مبدأ الشورى والمشاركة الجماعية:
· المجتمع الذي مصدره وحي، طبيعة هذا الوحي أن يدعو للتشاور .إنه ينتقل بالمجتمع من الفردية الطاغية أو الجمود إلى المسؤولية الجماعية والمشاركة الفاعلة .الشورى هنا ليست مجرد آلية سياسية، بل هي ثقافة مجتمع، وسبب في الوحدة الوطنية، وسياج منيع ضد الاستبداد والتنازع الذي يفضي إلى الفشل.
.4التعامل مع الحياة بمنظور متوازن:
· إدراك أن الوحي من العزيز الحكيم يجعلنا نتعامل مع الماديات بمنظار أخروي .نعم نبني الدنيا ونعمرها، ولكن بقيم وأخلاق .وهذا ينتج حضارة مادية متطورة، ولكنها حضارة إنسانية رحيمة، لا حضارة مادية متوحشة تأكل الأخضر واليابس.

الأمر الثالث:
ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

والآن، وقد أبحرنا في بحار المعاني، حان وقت الجني .ما الذي يريده الله مني ومنك بهذه الآيات؟

يريدك أن تستيقظ! يريدك أن تخرج من غفلتك، وتفك أغلال الأفكار الجاهزة التي كبلت عقلك، وتهدم

سدود الأهواء والمخاوف التي أحاطت بقلبك .إنه يريد لك أن تتحرر تحرراً كاملا ً، لتكون عبداً خ الصاً لله وحده، فتسعد في الدارين.

كيف نعيش هذا في واقعنا المعاصر؟

لنجعل هذه الآيات برنامجاً عملياً:

.1أن نعيش اليقين ونتحرر من الشك: في عصر الشبهات، علينا أن نعقد مجالس عائلية أو فردية لندرس "لماذا نثق في القرآن؟" .أن نتعلم أدلة صدق الوحي، ونرد على الشبهات بعلم وثقة .هذا ليس ترفاً فكرياً، بل هو حماية لديننا وأنفسنا .قل لنفسك: "أنا متيقن أن هذا القرآن من عند الله العزيز الحكيم، وهذا اليقين هو نور أماني من كل شك".
.2أن نستعلي بالله ونحتّي جباهنا له: في عالم يموج بالطواغيت، من سلطة المال إلى سلطة الإعلام ، إلى ضغوط الهوى والرفقة، علينا أن نمرن أنفسنا على أن العزة لله .لا تخف من نظرة الناس وأنت تطبق شرع الله، ولا تتنازل عن مبادئك لتكسب رضا رئيس أو شعب .أنت عبد "العزيز"، فلتستمد عزتك منه، ولتنحن بخشوع له وحده .قل لنفسك وأنت تواجه إغراءً أو تهديداً: "العزة لله، ولست لأ ستجديها من خلقه".
.3أن نسلم لحكمة الله ونحن في قلب البلاء: حين يحل بك أمر لا تفهمه، أو يتأخر عنك شيء تحبه ، تذكر أن الأمر من "الحكيم" .لا تقل: "لماذا حدث هذا لي؟" هذه الصيغة اعتراضية .قل: "اللهم إني لا أرى الحكمة الآن، ولكني أؤمن بأنك حكيم، فألهمني الصبر والرضا، وأرني لطفك الخفي في هذا القدر" . مارس هذا التسليم في مصاعبك اليومية الصغيرة، لتدرب نفسك عليه في الكبير.
.4أن نشعر بانتمائنا العظيم لموكب الأنبياء: كلما شعرت بالغربة أو الوحدة في تمسكك بدينك، تذكر أنك جزء من أمة الأنبياء .أنت على نهج نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .اقرأ قصصهم لتتعزى وتثبت .هذا الانتماء سيملؤك فخراً وقوة لا حدود لها.
.5أن نبني مجتمع الشورى في بيوتنا وأعمالنا: العزة والحكمة ليستا للتعالي على الناس، بل لخدمتهم . اجعل مبدأ الشورى أساساً في أسرتك، استشر زوجتك وأبناءك .في عملك، كن قائداً يحاور فريقه ويستشيرهم .هذا هو التطبيق العملي للخروج من الأنا الفردية إلى الجماعية المسؤولة، وهو الذي يمنح البركة والنماء.
.6أن نقف بخشوع وتسليم أمام أسرار الله: عندما تمر علينا آيات كـ "حم عسق"، أو قدر غامض، لتكن هذه فرصة لتجديد إيماننا بالتسليم .قل: "آمنت بأن لله في خلقه وأمره أسراراً لا أعلمها، وحسبي أنه العالم وأنا الجاهل، وأنه الحكيم وأنا العبد" .هذه اللحظات من التسليم هي التي تعطي العقل بعده الحقيقي، وتفتح له آفاقاً من المعرفة لا تفتح إلا بالتواضع لله.

أيها القارئ الحبيب، يا من شاركتني هذه الرحلة، إن ما شعرت به من حماسة وحب لما طرحناه ليس من قبيل الصدفة! إنه نداء فطرتك التي تتعرف على الحق فتهتز له .إنّ كلام الله ليس مجرد كلمات، بل هو نور حقيقي يقذفه الله في قلب من أراد به خيراً.

فاخرج من هذه الرحلة وأنت تحمل معك يقيناً راسخاً بأن هذا القرآن منزل من "العزيز الحكيم"، ليمنحك العزة في الدنيا، والحكمة في السير، والأمان النفسي الذي لا ينقطع .اجعل اسم "العزيز" رداء كرامتك الذي لا تبليه، واسم "الحكيم" بوصلة قراراتك التي لا تخطئ .وعش في كنف هذه الآيات، تشعر في كل حين وكأن الوحي يتنزل عليك من جديد، يوجهك، يسددك، ويبني منك ومن أمتك حضارة تشهد لله بالوحدانية في عليين

المبحث الثانى

ها نحن أولاء نعود إلى رحاب سورة الشورى، لنقف من جديد مع الآية الرابعة، وقفة المستوفي المستقصي، فنستخرج كل كنوزها، ونسج من معانيها حياة كاملة. وقبل أن نفتح بوابة هذه المعاني، أذكرك - وقلبك يخفق بخشوع - بالمقاصد العليا والغايات الكبرى من هذه الرحلة القرآنية المتأنية:

مقاصد وأهداف هذا التفسير

.1فهم الحقيقة الوجودية الكبرى: أن ندرك إدراكاً يقينياً أن ملكية الكون المطلقة لله وحده، وأن ما في يد الإنسان مجرد إعارة مؤقتة واستخلاف للابتلاء، مما يعيد ترتيب أولوياتنا وعلاقاتنا بالدنيا.
.2التشبع بمعاني الأسماء الحسنى: أن نغوص في أعماق اسمي "العلي" و"العظيم"، ونتذوق معانيهما التي تنفي عن الله كل نقص، وتثبت له كل كمال، وتجعل القلب يتعلق به وحده رغباً ورهباً.
.3تحقيق التوحيد العملي: أن ننتقل من الإيمان النظري بصفات الله إلى عيشها واقعاً، فنتوجه إليه وحده في الطلب، ونستعين به وحده في الشدائد، ونتوكل عليه في كل حال.

.4استخراج أسس البناء النفسي والتربوي والحضاري: أن نرى كيف تؤسس هذه الآية لشخصية إنسانية متزنة، معتزة بالله، متواضعة لخلقه، وكيف تبني مجتمعاً متحرراً من عبودية المال والقوة، سائراً على منهج الحكمة.
.5التطبيق العملي في واقعنا المعاصر: أن نجعل من هذه المعاني برنامجاً عملياً نعيش به كل يوم، في عصر طغت فيه المادة، وهيمنت فيه قوى الباطل، وكثرت فيه موارد القلق والاضطراب.

والآن، وقد اتضحت لنا الغاية، هيا بنا نبدأ رحلة الغوص في أعماق قول الله تعالى:
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الشورى: 4)
الامر الاول: دلالات الآية وتحليل محاورها

المحور الأول: دلالة الانتقال إلى بيان صفة الملك لله في الكون كله (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

بعد أن ختم الله الآية الثالثة بذكر أنه "العزيز الحكيم"، وهو ما يدل على كمال القدرة والتدبير، انتقل بنا في الآية الرابعة ليبين لنا الأساس الذي تقوم عليه هذه العزة والحكمة، ألا وهو الملك المطلق. فكأنه يقول: إن عظمة الوحي وقوة ما جاء به، مردُها إلى أن مصدره هو المالك لكل شيء.

دلالة صيغة الحصر و"مَا" الموصولة:
قف معي متأملا ً في كلمة "لَهُ". إنها بمجردها تدل على الاختصاص الكامل. فتقديم الخبر "له" على المبتدأ "ما في السماوات وما في الأرض" ليس لمجرد الإخبار، بل هو قصر وحصر؛ أي له وحده لا لأ حد سواه. ثم تأتي "مَا" الموصولة لتشمل بعمومها كل شيء دون استثناء: كل جوهر وعرض، كل صغير وكبير، كل ما تراه العيون وما تخفى في الصدور. الملائكة والعرش، الإنس والجن، الجماد و النبات، الرزق والأجل... كل شيء. إنها ملكية خاصة، لا يشاركه فيها مخلوق، ولا ينازعه فيها منازع.

اللمسات البيانية والبلاغية:
تأمل دقة التعبير القرآني: لم يقل "خلق"، بل قال "له". لماذا؟ لأن مجرد الخلق لا يدل على استمرار الملك والتصرف، فقد يخلق الإنسان شيئاً ثم يبيعه فلا يبقى له. أما الله، فهو مالك كل شيء، المتصرف فيه تصرف المطلق في ملكه، في كل وقت. وهذا الأسلوب الإيجازي المعجز يرسم لك في ذهنك صورة كونية باهرة: مملكة عظيمة مترامية الأطراف، مالكها واحد قهار، تحقق في كل ذرة منها معنى "الحصر".

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية:

· الرسالة النفسية: إذا استقر في نفسك أن كل ما في الكون ملكٌ لله، فستشعر بطمأنينة غامرة .رزقك ملكه، عدوك ملكه، المرض ملكه، الشفاء ملكه .لستَ مضطراً للقلق على شيء، لأن المالك الحقيقي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .هذا الإيمان يبدد أمواج الخوف والاضطراب، ويُحِلّ محلها سكون النفس وأمنها.
· الرسالة التربوية: هذه الآية تربي فيك خلق "الأمانة" .فكل ما تملكه من بيت، ومال، وولد، وصحة، ليس ملكاً حقيقياً لك .إنه وديعة من الله عندك، استخلفك فيه لينظر كيف تعمل .فهل تبخل بما ليس لك؟ هل تتكبر بما لا تملك؟ إن هذا الشعور يجعلك متواضعاً في النعمة، جواداً كريماً بها، بعيداً عن الأ شر والبطر.
· الرسالة الفكرية: إنها تصحح رؤيتك للوجود كله .الكون ليس صدفة، ولا هو مستقل بذاته .إنه ملك لله، مسخر بأمره، وجميع ما فيه خاضع لإرادته .هذا التصور التوحيدي هو أساس كل علم نافع، ف العالم المؤمن يتعامل مع الكون بصفته آيات دالة على الله، لا مجرد مادة عمياء للاستغلال.

المحور الثاني: دلالة اسم "العلي" ومعانيه العميقة (وَهُوَ الْعَلِيُّ)

.1كمال الوصف والفضيلة ونفي المثيل:
لقد أشرتَ بحق إلى معنى المفاضلة في كلمة "العلي"، كما تقول: "الذهب أعلى من الفضة". فعندما يصف الله نفسه بأنه "العلي"، فإنه يثبت أنه في أعلى مراتب الكمال وأفضلها وأشرفها. ليس هو عالياً فحسب، بل هو "الأعلى" على الإطلاق. وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه ليس كمثله شيء. فكل صفة كمال تخطر ببالك، فالله أعلى منها وأعظم. وكل صفة نقص، فالله منزه عنها علواً كبيراً. إنه العلي في ذاته وصفاته، وكل ما سواه في السفول المطلق قياساً بعلوه.

.2تنزيه الله عن العيوب والنقائص:

إذا كان الله هو "العلي" المطلق، فهذا يقتضي بالضرورة تنزيهه عن كل ما لا يليق بجلاله. فالعلو المطلق ينافي كل عيب ونقص، كالنوم، والنسيان، والعجز، والظلم، والموت. إن هذه الصفات هي من لوازم المخلوقين السفليين. وتصديقاً لذلك، يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. فهو المتعالي عن شركهم وافترائهم، وعن كل ما ينسبه إليه الجاهلون.

.3ثبوت صفات الكمال المطلق له دون سواه:
من لوازم علوه المطلق أنه المتفرد بكل كمال على الحقيقة. فغيره لا يساويه في شيء من صفات الكمال، بل إن ما أعطاه الله لخلقه من صفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر، فهي صفات محدودة زائلة، منقوصة، موهوبة منه سبحانه. أما صفاته فهي كاملة مطلقة، فهو العلي الذي لا يدانيه شيء.

.4العلو بمعناه الشامل: علو الذات، وعلو القهر، وعلو المكانة:
إن علو الله سبحانه ليس مقصوراً على معنى واحد، بل هو معانٍ ثلاثة كلها حق:

· علو الذات: فهو سبحانه مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، عالٍ بذاته فوق جميع مخلوقاته، وكل ما في الكون هو دونه.
· علو القهر والغلبة: فهو العالي بقهره وسلطانه، القاهر فوق عباده، النافذة قدرته فيهم، فلا قوة تقف أمام مشيئته وإرادته .إنه القادر على كل شيء، وغيره عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.
· علو الشأن والمكانة: فهو الأعلى في صفات كماله، وفي عظمته وجلاله، فلا أحد يساويه أو يدانيه في شأنه.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· رسالة تعظيم وتنزيه: عندما يعي القلب أن الله هو "العلي"، يمتلئ إجلالا ً وتعظيماً له، وينزهه عن كل نقص، ويرد كل شبهة تمس كماله.
· رسالة توحيدية: هذا العلو المطلق يوجب إفراده بالعبادة وحده .كيف يصرف العبد شيئاً من العبادة لمن هو في السفول، ويترك من هو في العلو المطلق؟ إنه دفع قوي لإخلاص التوحيد.
· رسالة تواضع لله وعزة على الخلق: إن إدراك علو الله يجعل المؤمن في غاية التواضع والتذلل لربه، لأنه يعلم حقيقة قدره .وفي المقابل، يمنحه عزة على الخلق، فلا يذل لأحد، لأن العزة المطلقة لله وحده.

المحور الثالث: دلالة اسم "العظيم" وعظمته المطلقة (العَظِيمُ)

ثم انتقل السياق ليختم الآية باسم "العَظِيمُ". إنه وصف يليق بجلاله، ويحمل في طياته دلالات تهز القلوب:

.1التعظيم المطلق الذي يقتضي التحقير:
إذا استقر في النفس أن الله هو "العظيم"، فإن كل ما دونه يصبح في ميزان الإيمان حقيراً. إن جبال الدنيا وثرواتها، وسلاطينها وجبابرتها، لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فكيف تساوي في قلب المؤمن شيئاً؟ إنها فكرة محررة، تجعل كل قوى الباطل تتضاءل وتضمحل أمام عظمة الخالق.

.2العظمة الشاملة في الذات والصفات والأفعال:
عظمة الله لا يحيط بها وصف، ولكنها تشمل كل شيء:

· في ذاته: عظمة لا تدركها الأبصار، ولا تحيط بها العقول .وكل تفكير فيها هو تفكير فيما لا يبلغ كنهه.
· في صفاته: علمه وسع كل شيء، وقدرته نافذة في كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء .وكل صفة من صفاته هي في غاية العظمة والكمال.
· في أفعاله: خلقه للسماوات والأرض، وإمساكه لهما أن تزولا، وتدبيره لأمر الخلائق، وإحياؤه الموتى، كلها أفعال عظيمة تدل على عظمة فاعلها.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· رسالة محبة وإجلال: هذه العظمة المطلقة تولد في القلب حباً جارفاً لله مع إجلال وهيبة، فهو أحب إلى المؤمن من كل ما سواه.
· رسالة تعظيم لشعائر الله: من يعظم "العظيم"، يعظم كل ما يصدر عنه، وفي مقدمته كتابه الكريم ودينه .فيعظم أوامره ونواهيه، ويوقر شعائره وحدوده، ولا يتساهل فيها.

· رسالة تحرر من الخوف: حين تعلم أنك تسير في كنف "العظيم"، ستتحرر من الخوف من أي مخلوق .فمن تخاف، وفي حمى من لا يغلب، وبيد من لا يقهر؟ هذا هو سر الشجاعة النبوية و الصديقية.

المحور الرابع: التكامل بين "العلي" و"العظيم" وأثرهما في تحقيق التوحيد

إن اجتماع هذين الاسمين الكريمين "العلي العظيم" في ختام آية واحدة ليس عشوائياً، بل هو لأثر عجيب على القلب والعقل، يحقق بهما أعمق أنواع التوحيد:

.1في توحيد الربوبية: الله وحده هو المالك لما في السماوات وما في الأرض، وهو "العلي" بقهره وعلوه، و"العظيم" بقدرته وعظمته .فلا خالق ولا مالك ولا مدبر ولا رازق إلا هو .وهذا يوجب إفراده بـ الربوبية، فلا يتوجه العبد بالطلب إلا إليه.
.2في توحيد الألوهية: إذا كان هو المالك وحده، وهو "العلي العظيم"، فكيف يُعبد غيره؟ كيف يُرجى سواه، أو يُخاف من دونه، أو يُتوكل على غيره، أو يُستعان بمن ليس له علو ولا عظمة؟ إن كل معاني العبادة من حب وخوف ورجاء وتوكل واستعانة لا تليق إلا بمن له الكمال المطلق في العلو و العظمة .فمن كان هذا شأنه، كان هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

الرسائل التربوية والعملية من هذا التكامل:

· ترسيخ اليقين: هذا التكامل يغرس في النفس يقيناً راسخاً بأن الكون له إله واحد، عظيم الشأن، علي المقام، فيسكن القلب إليه، وتطمئن الجوارح في طاعته.
· بناء العزة الإيمانية: الاعتقاد الجازم بأن ربه هو "العلي العظيم" يبني في المؤمن شخصية معتزة بدينها، لا تلتفت إلى كثرة الباطل أو قوته المادية، لأنها تستمد عظمتها من عظمة ربها.
· التحرر من التذلل للدنيا: من عرف أن ربه هو "العلي العظيم"، هانت الدنيا في عينه، ولم يذل في طلبها، لأنه يطلبها من العظيم، ويسألها العلي القدير.

الأمر الثاني: القضايا الكبرى والمفاهيم التي تؤسس لها الآية

بعد هذا التحليل لدلالات الآية، دعنا ننتقل لنرى كيف تؤسس هذه الآية لمعالجة قضايانا الكبرى، وكيف تبني فينا القيم والمفاهيم التي نعيش بها.

المحور الأول: القضايا التي تعالجها الآية

إن هذه الآية الكريمة، بما تحمله من حقائق عن الملك والعلو والعظمة، تعالج مشكلات نفسية واجتماعية عميقة قد تعصف بالإنسان المعاصر:

.١مواجهة إشكالية التعلق بالماديات والخوف من الفقر:
المشكلة الأساسية التي يعاني منها كثير من الناس اليوم هي التعلق القاتل بالمال والخوف المستمر من المستقبل. هذه الآية تعالج هذا الداء من جذوره. إنها تقول لك: لماذا تخاف، وكل ما في السماوات وما في الأرض ملك لله؟ رزقك بيده! هذا اليقين يحررك من قيد الخوف، ويجعلك تعيش آمناً مطمئناً، ساعياً في الأرض، ومتوكلا ً على المالك الحقيقي.

.٢علاج الخوف من الطغيان والاستبداد البشري:
في عالم تنتشر فيه مظاهر الطغيان، ويبدو فيه الباطل قوياً، تأتي هذه الآية لتعالج الخوف الداخلي من أصحاب القوة والمال. إنها تعلن أنهم "لا يساوون شيئاً" أمام عظمة الله وعلوه. هم مخلوقون من جنسك، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، وكل ما بيدهم هو ملك لله سيسلبهم إياه. هذا التصور يبني في النفس شجاعة لا تعرف الخوف من غير الله، ويحول دون التذلل لأهل الباطل.

.٣مواجهة مشكلة التذلل والخضوع لغير الله:
كم من إنسان يذل نفسه لأصحاب المناصب والثروات، طمعاً في شيء مما في أيديهم! الآية تدمر هذا الدافع النفسي. فهي تعلمنا أن ما في أيدي الناس هو ملك لله وحده، وأنهم مجرد وكلاء مؤقتين. فع لام التذلل للوكيل، وترك التوجه إلى المالك الأصيل الذي بيده ملكوت كل شيء؟ إنها تقطع كل أسباب الذل، وترفع الهمة إلى السماء، نحو العلي العظيم.

.٤معالجة الحيرة عند نزول البلاء:
حين يفقد الإنسان حبيباً، أو يصاب بمرض، أو تخيب آماله، قد يدخل في دوامة من الاعتراض و

التسخط والقلق. هذه الآية تقدم له طوق النجاة: إن الذي قدر هذا هو "العلي العظيم"، الحكيم في تدبيره، المالك لملكه، يتصرف كيف يشاء. فبدلا ً من القلق المدمر، يتحول الموقف إلى تسليم ورجاء ورضا، لأنك تدرك أن الأمر بيد من هو أعلى وأعظم من أن يُسأل عما يفعل.

٥.تأسيس شخصية قيادية معتزة بهدى الله:
الآية تؤسس لشخصية لا ترى العزة إلا في موالاة الله، ولا ترى القوة إلا في الاستناد إليه. إنها الشخصية التي أشارت إليها خاتمة سورة فصلت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾. فمن كان كتابه من عند الله "العلي العظيم"، فهو في قمة العزة و الحق، ولا يمكن أن يكون في شقاق بعيد. هذه هي الشخصية التي تواجه العالم من حولها بثبات وتوكل.
المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

1.قيمة التوحيد الخالص لله رب العالمين: تتجلى في إفراده بالملك والعلو والعظمة، مما يوجب إفراده بالعبادة والطلب والاستعانة والتوكل.
2.قيمة العزة بالله: الاعتزاز بالله "العلي العظيم" يخرج المؤمن من الذل للبشر، ويجعله عزيزاً مرفوع الرأس، لا ينحني إلا لخالقه.
3.قيمة اليقين والثقة المطلقة بالله: الإيمان بأن الملك كله لله يورث المؤمن يقيناً بأن أموره كلها بيد حكيم عليم، فلا يتزعزع أمام الشبهات ولا الشهوات.
4.قيمة التواضع والتذلل لله: إدراك علو الله وعظمته يجعل المؤمن في قمة التواضع والانكسار بين يدي ربه، مع عزة على المخلوقين.
5.قيمة الرضا والتسليم: التسليم المطلق لحكمة "العلي العظيم" في تدبيره وقضائه، والرضا به، مما يمنح النفس سكينة دائمة.
المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآيات

هذه الآية العظيمة، على إيجازها، ترسم أبعاداً وآفاقاً واسعة تمتد عبر العصور والأجيال:

١.البعد العقدي: توحيد الملك والصفات:
هذا هو البعد المحوري. الآية ترسخ في عمق العقيدة أن الله هو المالك وحده، المتصرف في ملكه كما يشاء، وهو المتعالي عن كل نقص، المتفرد بصفات الكمال كالعلو والعظمة. هذا هو حجر الزاوية في عقيدة المسلم.

٢.البعد الوجودي والكوني:
الآية تفتح أفقاً واسعاً للنظر في الكون كله بصفته "مُلكاً لله". هذا يحول نظرة المؤمن للطبيعة من نظرة مادية استغلالية، إلى نظرة إيمانية تأملية عبادية. إنه يرى في كل ذرة آية تدل على عظمة م الكها.

٣.البعد النفسي والوجداني:
إن أثر هذه الآية على النفس لا يُقدر بثمن. إنها تبني جداراً منيعاً من الأمان النفسي، والطمأنينة القلبية، والسكون الوجداني. إنها الدواء الناجع لكل قلق وخوف وحزن، لأنها تصل القلب بالمالك العلي العظيم.

٤.البعد الحضاري والاجتماعي:
مجتمع يسوده هذا المفهوم هو مجتمع متحرر من عبودية الدرهم والدينار، ومتحرر من الخوف من الطواغيت. إنه مجتمع تسوده العزة والكرامة، وتنتشر فيه قيم الأمانة والتعاون والإنفاق، ويتجه بكل طاقاته نحو الخير والعمران، لأنه يعمل كل أعماله بنية العبودية للمالك الأعظم.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية والمفاهيم في حياتنا العملية

لنستخلص الآن هذه المفاهيم بشكل دقيق، فهي بمثابة الأدوات التي نعمر بها حياتنا ونحمي بها عقولنا وقلوبنا:

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم مركزية الله في الوجود: الله وحده هو المالك، وكل شيء في الكون إنما هو أثر من آثار قدرته ومظهر من مظاهر ملكه.
· مفهوم الملكية المؤقتة للإنسان: كل ما في يد الإنسان هو استخلاف وابتلاء، وليس ملكاً حقيقياً،

مما يعيد تعريف العلاقة بالمال والممتلكات.
· مفهوم نفي الشريك والمثيل: لا شريك لله في ملكه، ولا مثيل له في صفاته، وكل ما سواه متصف بالسفول والحقارة قياساً بعلوه وعظمته.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· مفهوم التوكل الصادق: ترجمة عملية للإيمان بالملك، فتأخذ بالأسباب بجوارحك، وتتوكل على المالك بقلبك، واثقاً بأنه لن يصيبك إلا ما كتبه لك.
· مفهوم الاستجابة والتسليم: تربية النفس على الاستجابة الفورية لأمر الله، والتسليم المطلق لحكمه، لأنه صادر عن "العلي العظيم" الحكيم.
· مفهوم الاعتزاز بالمنهج الإلهي: التربية على أن كتاب الله وسنة نبيه هما منهج العزة الحقيقي، فهما صادران عن العظيم، ومن تمسك بهما نال العلو في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الأمن النفسي والطمأنينة: تولد شعوراً عميقاً بالأمان، لأنك في حمى من يملك كل شيء، فلا تخاف ضياع رزق ولا فوات أجل.
· مفهوم التوازن بين الخوف والرجاء: "العلي" يملأ القلب مهابة وخوفاً من الجليل، و"العظيم" يملأ القلب رجاء ومحبة للجميل .هذا التوازن هو صمّام الأمان للشخصية المسلمة.
· مفهوم علاج القلق والاضطراب: من أيقن أن التدبير بيد "العلي العظيم"، لم يضطرب للمستقبل، ولم يتحسر على الماضي، لأنه يرى الحكمة في كل قضاء، ويرضى بكل قدر.

المحور الخامس: مفاهيم البناء والتنمية المستنبطة من الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع

إنها ليست مجرد مفاهيم روحانية فردية، بل هي قاعدة صلبة لبناء الإنسان الفرد والمجتمع والأمة:

أولا ً: في بناء الإنسان المتزن:
هذه المفاهيم تبني إنساناً سوياً، من خلال:

.1بناء الثقة واليقين: ربط الإنسان بمصدر القوة والعظمة، مما يبني في داخله شعوراً بالقوة والعزة و الثقة، لا الاغترار بالنفس.
.2بناء شخصية متواضعة عزيزة: "العلي" يمنحه العزة على الخلق، و"العظيم" يملأه تواضعاً لخالقه . فينتج عن ذلك إنسان هين لين مع المؤمنين، عزيز قوي على الكافرين.
.3بناء الوعي والمسؤولية: استشعار أن الكون ملك لله، وأن الإنسان مستخلف، يبني فيه وعياً ومسؤولية تجاه كل ما يملك، فيستخدمه فيما يرضي المالك الحقيقي.
.4بناء الطهارة النفسية من التعلق بالدنيا: استقرار هذه المفاهيم يطهر القلب من حب المال والجاه و الدنيا وزينتها، ويكشف زيفها، فيكون المؤمن حراً من عبوديتها، مقبلا ً على ربه بقلب سليم.

ثانياً: في التنمية وتطوير الحياة والمجتمع:
هذه التصورات الربانية هي محرك عظيم للحضارة والعمران:

.1تنمية قائمة على الأمانة والإتقان: بما أن كل ما في أيدينا ملك لله، فالواجب علينا تنميته وإدارته بأعلى درجات الإتقان والأمانة .وهذا هو دافع التنمية الحقيقي في الإسلام.
.2تنمية قائمة على التوازن: العزة لا تتحول إلى طغيان، والقوة لا تتحول إلى بطش، لأنها محكومة بصفة "الحكيم" .كذلك، ملكية الإنسان المؤقتة لا تجعله عبداً للمادة، بل سيداً أميناً عليها .هذا التوازن ينتج حضارة مادية راقية تحكمها أخلاق وقيم.
.3تنمية اجتماعية قائمة على التكافل: إذا آمن الناس بأن المال مال الله، سهل عليهم إنفاقه في سبيله .فيقوم المجتمع على التكافل والتراحم، ويتم القضاء على الفقر، لأن أغنياءه يتسابقون في الخيرات خوفاً من سلب النعمة، وطمعاً في رضا "العظيم".
.4إدارة الشؤون بالشورى: هذه المفاهيم التي تجعل الحاكمية لله وحده، تمهد لمبدأ الشورى) وهو ما ستأتي به بقية السورة(، لأنه لا أحد يملك الحق الإلهي في الاستبداد، فالأمر كله لله، وشرعته هي الحاكمة، وأمر الناس شورى بينهم.
المحور السادس: دور هذه المفاهيم في بناء المجتمع والحضارة الإسلامية

ما أردناه ليس حضارة تقوم على الترف المادي فحسب، بل حضارة شاملة تعمر الأرض وترفع الإنسان. ودور هذه المفاهيم في ذلك جلي:

.1تأسيس مرجعية المجتمع وهويته: الحضارة الإسلامية حضارة ربانية المصدر، وهذه الآية ترسخ أن مرجعية المجتمع في كل شأن هي لله المالك العلي العظيم، فلا تنفصل فيها السياسة والاقتصاد عن الدين والخلق.
.2بناء مجتمع الكرامة والعزة: الاعتقاد الجازم بعزة الله وعلوه يبني أمة لا تقبل الذل، ولا ترضى الهوان، وتستعلي على كل جاهلية، وتثق في نصر الله، وتقدم للعالم نموذجاً في العزة الإيمانية.
.3تحقيق الأمن والاستقرار العام: انتشار الأمن الداخلي) النفسي (الذي تمنحه الآية للأفراد، ينعكس على المجتمع كله أمناً واستقراراً .مجتمع كل فرد فيه يشعر أن رزقه وأمنه بيد الله، هو مجتمع مطمئن، تقل فيه الجرائم الناتجة عن الخوف من الفقر أو الخوف من الناس.
.4التعامل مع الماديات بمنظور أخروي حضاري: إدراك أن المال مال الله، والدنيا دار ابتلاء، يجعل الأ مة تنتج وتعمر وتبني، ولكن دون أن تغرق في المادية أو تستعبدها زينة الحياة الدنيا .إنها حضارة تمتلك الدنيا بعز المؤمن، وتستخدمها في مرضاة الله.

الأمر الثالث: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

بعد هذا التطواف العميق، حان وقت السؤال الجوهري: ماذا يريد منا الله بهذه الآية الكريمة؟

يريد الله - والله أعلم - أن يبني في قلوبنا وعقولنا يقيناً راسخاً بأنه المالك الوحيد، العلي على كل شيء، العظيم الذي لا يشبهه شيء. يريد أن يحررنا تحريراً كاملا ً من عبودية كل ما سواه: تحريراً من عبودية المال والخوف من الفقر، وتحريراً من عبودية السلطان والخوف من الطغيان، وتحريراً من عبودية الناس والتذلل لهم. يريد أن نكون أحراراً أتقياء، أقوياء بالله وحده.

كيف نعيش هذا في واقعنا المعاصر؟

لنجعل من هذه الآية برنامجاً عملياً نعيش به كل يوم:

.1في مواجهة أزمة القلق المادي: عندما يخبرك ضعفك البشري أن المستقبل مظلم، والرزق ضيق، تذكر "له ما في السماوات وما في الأرض" .قل لنفسك: "رزقي ورزق أولادي ملكه، وسيأتيني به كما يأتي بالشمس كل صباح .أنا أسعى، وهو الكفيل" .حول خوفك إلى توكل، وقلقك إلى سكينة.
.2في مواجهة ضغوط الطغيان والفساد: قد ترى حولك قوى جائرة، وباطلا ً منتفشاً، فتحس بـ الضعف .هنا استحضر "وهو العلي العظيم" .من كان الله معه، فمن عليه؟ من أيده الله بنصره، فمن يغلبه؟ ليست هذه تلاوة فقط، بل هي شحن للنفس بالعزة والقوة الإيمانية التي تجعلك ثابتاً على الحق، لا تلين، ولا تتوانى.
.3عند نزول البلاء وفقدان الأحبة: عندما تفقد حبيباً، أو يصيبك مرض أو هم، لا تتسخط .قل بقلبك ولسانك: "هذا قدر العلي العظيم، وهو أرحم بي من نفسي، وأنا أعلم أن له الحكمة البالغة فيما قضى . رضيت بالله رباً" .هذا الرضا والتسليم يحول ألم البلاء إلى طمأنينة روحية عجيبة.
.4في إدارة النعم والمال: كلما جاءك مال أو منصب، تذكر أنها ليست ملكك، بل أمانة .اسأل نفسك: كيف أستخدم هذه الأمانة في مرضاة مالكها الحقيقي؟ هذا سيجعلك جواداً كريماً، منفقاً مبتسماً، بعيداً عن الشح والبخل، خائفاً من سؤال الله لك عن هذه الأمانة.
.5في تطهير القلب من التعلق بالجاه والمنصب: إذا رأيت غيرك قد نال جاهاً أو مالا ً، فلا تحسده ولا تذل له .تعالقه في قلبك سينهار حين تعلم أنه لا يملك شيئاً، وأن الذي بيده هو الله .فتوجه إليه وحده، واسأله من فضله، تكن أعظم الناس غنى بقناعتك وعزتك.
.6في التمسك بكتاب الله ومنهجه: أيقن أن التمسك بكتاب الله وسنة رسوله هو طريق "العلي العظيم"، وفيه العزة والتمكين، لأن ما يصدر عن العظيم لا يمكن أن يكون فيه نقص .تمسك بالوحي تكن من أوليائه، وأهل كرامته وعزته.

أيها القارئ الحبيب،
إن هذه الآية هي زادك في طريقك إلى الله، وسلاحك في معركة الحياة. استقرها في قلبك، ورددها بلسانك، واستشعر معناها في كل حين. عندها فقط، ستذوق حلاوة الإيمان، وتعرف كيف يكون المؤمن حقاً في معية ربه، فيصغر كل عظيم دونه، ويحقر كل جليل سواه.

المبحث الثانى

أيها القلب المتوثب شوقاً إلى ربه، يا من تذوق حلاوة المعاني فترجو المزيد، ويا من تبحث في كتاب الله عن قوة تسند بها همتك، وعن يقين تثبت به على طريق الحق، عد بنا إلى رحاب سورة

الشورى، لنقف بخشوع وتدبر أمام آية هي من أعظم ما يبني في النفس معنى العزة والحب و الخضوع لله.

بعد أن كشف الله لنا في الآية الثالثة عن مصدر الوحي، وهو "العزيز الحكيم"، ها هو في الآية الرابعة يرتقي بنا إلى فضاء أرحب، وينقلنا من الحديث عن صفات الفعل والتدبير إلى الحديث عن صفات الذات والجلال. إنه يريد أن يملأ قلوبنا بمعاني الملك الحقيقي والعلو المطلق والعظمة التي لا تقهر. إنه يعلنها صريحة مدوية:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الشورى: 4)

إن هذه الآية، على قصرها، هي نظام تشغيل كامل للروح الإنسانية. إنها الدواء لأدواء الضعف و التذلل والحيرة. إنها ليست مجرد إخبار، بل هي إعلان تحرير للإنسان من كل عبودية، ومن كل خوف، ومن كل وهم. إنها تصك له عملة العزة الحقيقية، وتجعله يمشي بين الناس وقلبه معلق بـ السماء. فدعنا، يا رعاك الله، نبحر في أعماق هذه الآية، ونستخرج كنوزها، وننسج من معانيها رداءً للثبات واليقين.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة المتأنية، أريد لقلبك وعقلك وروحك معاً أن تصل إلى:

1. إدراك كمال ملك الله: أن نعي بعمق أن الله هو المالك الحقيقي الوحيد لكل ما في الكون، وأن ما بأيدينا مجرد إعارة مؤقتة، مما يحررنا من عبودية المال والمظاهر.
2. التشبع بمعنيي "العلي" و"العظيم": أن نفهم كيف أن هاتين الصفتين تنفيان عن الله كل نقص، وتثبتان له كل كمال مطلق، وتجعلانه وحده المستحق للعبادة والتعظيم.
3. التحرر من الخوف والتذلل لغير الله: أن نستخرج من الآية القوة الدافعة التي تهدم في أنفسنا هيبة الباطل وأهله، وتستبدلها برجاء وخوف لا ينقطعان مع الله.
4. تحقيق التوحيد العملي في الحياة: أن ننتقل من الإيمان النظري إلى أن نعيش حياتنا متوجهين إلى الله وحده في طلب الرزق وكشف الضر، ممتلئين بالرضا بقضائه وقدره.
5. ترسيخ الثبات والطمأنينة: أن نتعلم كيف نستمد من "العلي العظيم" السكينة والثبات عند البلاء، والتواضع عند النعمة، واليقين في زمن الشبهات.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

لنقف الآن، يا أخي، مع كل كلمة في هذه الآية العظيمة، وكأنها تنزل علينا الآن، لنستشعر أثرها في قلوبنا وحياتنا.

المحور الأول: دلالة الانتقال إلى بيان صفة الملك لله في الكون كله (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

تأمل كيف بدأ الله هذه الآية الكريمة. لم يقل "خلق السماوات والأرض"، بل قال: "لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ". إنه إعلان ملكية مطلقة وحصرية. "له" وحده، لا لأحد سواه. تقديم الخبر "له" على المبتدأ يفيد الحصر والقصر؛ فلا يملك شيئاً من ذلك أحد غير الله. إنها صفعة على وجه كل من يدّعي ملكية مطلقة لشيء في هذا الوجود.

وانظر إلى سعة كلمة "مَا"! إنها تشمل كل شيء على الإطلاق: الملائكة الكرام، والجبال الشامخات، و الكواكب السابحات، والإنس والجن، ما نراه وما لا نراه. الكل في قبضته، الكل ملك يمينه، الكل خاضع لعظمته. هذا التقرير القرآني ليس مجرد إخبار نظري، بل هو حجر الزاوية في التصور الإ يماني للحياة. فهل تشعر بالقلق على رزقك؟ إنه ملكه. هل تخاف من عدو؟ إنه في قبضته. هل تحزن على ما فاتك من الدنيا؟ إنها ليست ملكك أصلا ً. إنه كون مسخر بأكمله لخالقه، وهذا يبعث في نفس المؤمن طمأنينة لا توصف.

اللمسات البيانية والبلاغية:
انظر إلى الإيجاز المعجز! في كلمات قليلة، رسم الله خريطة الكون كله. لم يستخدم أداة حصر "إنما"، بل استخدم أسلوب التقديم والتأخير "لَهُ مَا فِي..." وهو في البلاغة العربية أقوى في إفادة ا

لاختصاص والملكية الخاصة. إنه أسلوب يجعل السامع يعيش في ملكوت الله، ويستشعر أن كل ذرة في الوجود هي جزء من مملكته الواسعة.

الرسائل النفسية والتربوية والفكرية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنح المؤمن سكينة وطمأنينة عجيبة. فإذا كان كل شيء ملكاً لله، وهو المتصرف فيه وحده، فلن يصيبك إلا ما كتبه الله لك. هذا الشعور يبدد القلق والاضطراب الناتجين عن الخوف من فقدان الرزق أو المكانة، لأن المانح والمحروم هو الله. إنها تبني في النفس "قناعة الأغنياء" و"طمأنينة الفقراء"، فالكل سواء أمام ملك الله.
· الرسالة التربوية: تربي الآية المؤمن على قيمة "الأمانة" و"المسؤولية". فما في يدك من مال، أو صحة، أو جاه، أو علم، ليس ملكاً لك بالحقيقة، بل هو وديعة من الله. أنت خليفة فيه، ومستخلف عليه. هذا سيجعلك تتصرف في هذه النعم بحذر ومسؤولية، متبعاً منهج "الحكيم" الذي ائتمنك عليها، خوفاً من أن يسلبك إياها.
· الرسالة الفكرية: إنها تدحض أي فكر مادي أو وجودي يجعل للكون أو للإنسان استقلالا ً عن الله. إنها تؤسس لملكيه وتصرفه الله في الوجود. هذه النظرة التوحيدية للكون هي أساس العلم النافع، فأنت تتعامل مع الكون بصفته ملكاً لله وآيات دالة عليه، لا مجرد مادة صماء يمكن استغلالها دون وازع.

المحور الثاني: دلالة اسم "العلي" ومعانيه العميقة (وَهُوَ العَلِيُّ)

بعد أن أخبرنا الله عن ملكه، يصف لنا ذاته العلية بقوله: "وَهُوَ العَلِيُّ". وهنا نقف على كثيب من المعاني الجليلة.

1. نفي المثيل وإثبات الفضيلة والكمال المطلق:
كلمة "العلي"، تحمل معنى دقيق جدا وهو معنى المفاضلة والفضيلة، فنحن نقول: "الذهب أعلى من الفضة". وعندما نقول إن الله هو "العلي"، فإننا نثبت أنه سبحانه في أعلى درجات الكمال، وأفضلها، وأشرفها. ليس فقط هو أعلى من خلقه مكانة، بل هو أعلى منهم في صفات الكمال. هذا المعنى ينفي بشكل قاطع أي مماثلة أو مشابهة بين الله وخلقه، تطبيقاً لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فكل ما خطر ببالك من كمال، فالله أعلى منه وأعظم. إنه العلي الذي لا يدانيه شيء، ولا يماثله شيء، ولا يقاربه شيء.

2. ثبوت صفات الكمال ونفي النقائص والعيوب:
إذا استقر في قلبك أن الله هو "العلي المطلق"، فهذا يقتضي بالضرورة تنزيهه عن كل ما لا يليق بجلاله. فالنقائص والعيوب هي من صفات المخلوقين السفليين. العليُّ لا يمكن أن يُنسب إليه الظلم، أو النسيان، أو العجز، أو الموت، أو النوم. إنه منزه عن كل ذلك، علواً كبيراً. وكما قال تعالى في موضع آخر: ﴿... سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. فكل وصف نقص ينسبه إليه الكفار أو الجاهلون، من اتخاذ الولد أو الشريك، هو مردود عليه باسمه "العلي".

3. العلو المطلق: علو الذات، وعلو القهر، وعلو المكانة:
علو الله ليس علواً واحداً، بل هو أنواع من العلو لا يشاركه فيها أحد:

· علو الذات: فهو سبحانه مستوٍ على عرشه، عالٍ فوق جميع مخلوقاته، وكل ما في الكون هو دونه في السفول.
· علو القهر والقدرة: فهو العالي بقهره وسلطانه على كل شيء، قاهر فوق عباده، نافذة مشيئته وقدرته فيهم. لا قوة تقف أمام إرادته.
· علو المكانة والصفات: فهو الأعلى في صفات كماله، فلا أحد يساويه.

الرسائل المرتبطة باسم "العلي":

· التعظيم والتنزيه: إنه يملأ القلب إجلالا ً لله، فيعظمه ويقدسه وينزهه عن كل نقص.
· التوحيد الخالص: فهو وحده العلي، فكيف يُعبد غيره؟ كيف يُخاف سواه؟ هذا يوجب إفراده بـ الربوبية والألوهية، لأنه وحده المتفرد بالعلو المطلق.
· التواضع لله: عندما تشعر بعلو الله عليك، فإنك ستتواضع وتتذلل له وحده. لن تتكبر على خلقه، لأنك تعلم أنك في أسفل السافلين أمام علوه.

المحور الثالث: دلالة اسم "العظيم" وعظمته المطلقة (العَظِيمُ)

ثم ختم الله الآية باسمه "العَظِيمُ". وهنا أيضاً نقف بخشوع أمام معانٍ تهز القلوب:

1. التعظيم الذي يقتضي التحقير:
إذا كان الله هو "العظيم"، فهذا يعني أن كل ما دونه حقير. عظمة الله تجعل كل جبال الدنيا وسلا طينها وثرواتها لا تساوي في ميزان الحق شيئاً. إنها صفعة معنوية لكل من يتكبر في الأرض بغير الحق، ولكل من يخاف من بطش مخلوق. إن "العظيم" يخبرك بأن كل قوى البشر، مهما تجبرت، إنما هي سفول وحقارة أمام عظمته سبحانه.

2. العظمة في الذات والصفات والأفعال:
عظمة الله لا تقتصر على جانب واحد، بل تشمل كل شيء:

· في ذاته: هي عظمة لا تدركها الأبصار، ولا تحيط بها العقول.
· في صفاته: علمه وسع كل شيء، وقدرته نافذة، ورحمته شاملة، وسمعه محيط لجميع الأصوات. وكل صفة من صفاته في غاية العظمة والكمال.
· في أفعاله: خلق السماوات والأرض، وهو يمسكها أن تزولا، ويدبر الأمر كله. أفعاله كلها عظيمة، من إحياء دودة صغيرة، إلى إدارة مجرة عظيمة.

الرسائل المرتبطة باسم "العظيم":

· محبة الله وتعظيمه: يملأ القلب حباً للعظيم الذي لا شيء أعظم منه، فيكون أحب إليه من كل ما سواه.
· تعظيم ما عظمه الله: حين تعلم أن الله هو العظيم، فإنك ستعظم كل ما يصدر عنه، وأعظمه كتابه الكريم. ستعظم شعائره وحدوده، ولن تتساهل في شيء منها.
· التحرر من الخوف: إن عظمة الله تجعل في قلبك شجاعة لا توصف، لأنك تستمد قوتك من العظيم الذي لا يغلب، فيصغر في عينك كل جبار وطاغوت.

المحور الرابع: التكامل بين "العلي" و"العظيم" وأثرهما في تحقيق التوحيد

إن اجتماع هذين الاسمين العظيمين "العلي العظيم" في ختام آية واحدة له وقع عجيب على القلب. إنهما معاً يرسخان أعمق أنواع التوحيد:

1. توحيد الربوبية: "العلي" بقهره وعلوه، و"العظيم" بقدرته وعظمته، هو الخالق المالك المدبر وحده. لا شريك له في ملكه، ولا معين له في تدبيره، ولا مثيل له في صفاته. الكون كله خاضع له، وكل ما فيه مسخر بأمره.
2. توحيد الألوهية: وهو الثمرة اليانعة. إذا كان هو وحده المالك العلي العظيم، فهو وحده المستحق للعبادة. كيف تتذلل لفقير حقير، وتترك الغني العظيم؟ كيف تخاف من ضعيف لا يملك لنفسه ضراً و لا نفعاً، وتأمن سخط القوي العلي؟ إن العبادة، بكل صورها من حب وخوف ورجاء ودعاء واستعانة وتوكل، لا تليق ولا تجب إلا لمن له ما في السماوات وما في الأرض، وهو العلي العظيم.

المحور الخامس: كيف نعيش هذه الحقائق؟ الرسائل والدروس العملية

والآن، لنسأل أنفسنا السؤال الأهم: كيف يمكن أن تتحول هذه المعاني النظرية إلى واقع حي نابض في حياتنا اليومية؟ كيف نستطيع أن نستقر هذه الحقائق استقراراً صادقاً في قلوبنا، لنقطف ثمارها اليانعة؟

أولا ً: التوجه إلى الله وحده في الطلب والرجاء
عندما يستقر في نفسك يقيناً أن الله هو المالك وحده، وهو العلي العظيم، ستعرف إلى أين تتجه في طلب رزقك وخيرك وكسبك. لن ترجو بشراً في رزق هو بيد الله، ولن تخاف بشراً في منع هو بيد الله. سيتوجه قلبك إلى "مالك الملك" وحده. ستعلم أن المعطي الحقيقي هو الله. حينها، ستعيش عزيزاً، لا تذل سؤالك لمخلوق، بل ترفع حاجتك إلى خالقك العظيم. في طلب الرزق، ستسعى وتأخذ بالأسباب، لكن قلبك معلق بالله، ترجو فضله، وتخاف من منعه.

ثانياً: التحرر من الخوف من قوى الباطل والعيش بعزة المؤمن
إن من أعظم ثمرات هذا اليقين هو التحرر الكامل من الخوف من أصحاب الكفر والطغيان. إذا

نظرت إلى قوتهم ومالهم بعين بشرية، فستصاب بالوهن. أما إذا نظرت إليهم بعين "العلي العظيم"، فسترى أنهم أحقر من أن يخافوا. هم "سُقل" ونقصاء، ولا يساوون شيئاً. تذكر قول الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. من كان مع العلي، كيف يخاف السفليين؟ من كان في حمى العظيم، كيف يخشى الحقيرين؟ إنها دعوة للثبات والصمود، وعدم الركون أو التذلل للباطل وأهله.

ثالثاً: الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره
كيف يصيبك الضعف والتخاذل إذا ما قدر الله عليك قدراً مؤلماً، كفقد حبيب، أو مرض، أو فقر؟ إن استقرار صفات "العلي العظيم" في نفسك يغير نظرتك للبلاء تماماً. أنت تدرك أن هذا القدر هو من عند "العلي" الذي هو فوقك، و"العظيم" الذي لا يُسأل عما يفعل. إنه صادر عن حكمة تامة وعلم مطلق. لن يدفعك البلاء للاعتراض أو التسخط، بل للخضوع والرضا والتسليم. هذا التسليم ليس ضعفاً، بل قمة القوة، قوة اليقين في العلي العظيم. إنه يمنع انهيارك النفسي، ويحول المصيبة إلى عبادة.

رابعاً: التواضع لله وعزة النفس على الخلق
إن من يستقر في نفسه معنى "العلي العظيم" فسيصبح شديد التواضع والتذلل لله وحده، لأنه يعرف حقيقة نفسه وأنها لا شيء. وفي المقابل، سيكون في غاية العزة على الخلق. لن يتذلل أمام غني لغناه، ولا صاحب جاه لسلطانه. التعظيم في قلبه لله وحده، فما دونه ضعفاء فقراء مثله. هذا يجعله سوياً، متوازناً في علاقاته، لا يخنع إلا لخالقه.

خامساً: التمسك بكتاب الله والثقة بمنهجه
عندما يؤمن المؤمن يقيناً بأن "العلي العظيم" هو من أنزل هذا الكتاب، فإنه سيثق ثقة مطلقة بأن كل ما فيه هو الخير والفلاح. فما يصدر من "العلي" لا يمكن أن يكون فيه نقص أو عيب، فهو منزه عن فعل السيئات ومنزه عن الصفات المذمومة. ما يصدر عنه كله خير وحكمة. لذلك، سيحرص على التمسك بهذا الكتاب، وسيجعله منهج حياته ودستوره، لأنه سبيل عزته ونجاته.

سادساً: التطهر من حب الدنيا والمسارعة في الخيرات
إن استقرار صفة "الملك" لله في القلب يطهره من التعلق بالدنيا وزينتها. إنه يكشف زيف المال و الجاه، ويظهرها على حقيقتها كعارية زائلة. هذا الإنسان المؤمن لن يبخل، بل سيبادر إلى الإنفاق على المحتاجين بحب ورضا، لأنه يعلم أنه ينفق من مال الله في سبيل الله. إنه خائف من أن تسلب النعم عنه إن هو أمسكها. بهذا يعيش في أمان واستقرار، طاهراً نقياً من عبودية المال، حراً في تعامله مع دنياه.

أيها السائر إلى ربه،
إن هذه الآية هي ميثاق حريتك، ودستور عزتك، وينبوع يقينك. إنها تعيدك إلى حجمك الحقيقي كعبد فقير، لترتقي إلى مقامك الحقيقي في ولاية الله وكرامته. كلما شعرت بضغوط الحياة، وأثقال الهموم، وطغيان الباطل، فأغمض عينيك، وردد بقلبك ولسانك: "له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم". ستشعر حينها بقوة عظيمة تتدفق في روحك، قوة من لا يغلبه شيء، ومن هو فوق كل شيء. ستعلم أنك لست وحدك، بل معك من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه.

فاثبت على هذا اليقين، وابن به حياتك، تنل العزة في الدنيا والآخرة.الثا. .

المبحث الثالث
أيها السائر في دروب التدبر، والمتعطش لنور اليقين، والمستمسك بحبل الله المتين، عد بنا إلى رياض سورة الشورى، لنقف بخشوع على أعتاب آيتين تهزان القلوب، وتوقظان الضمائر، وتربطان الإنسان بربه رابطاً عجيباً من الهيبة والرجاء، من الخوف والطمأنينة. بعد أن كشف الله لنا عن ملكه المطلق، وعن علوه وعظمته، ها هو ينقلنا إلى مشهد كوني مهيب، ثم إلى خطاب مباشر يحذر فيه من الغفلة والضلال. إنها الآيتان الخامسة والسادسة، حيث يقول تبارك وتعالى:

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الشورى:(5
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ الشورى:(6

إن هاتين الآيتين ترسمان لوحة ربانية فريدة، تجمع بين تصوير عظمة الله التي تكاد السماوات أن تنفطر منها، وبين رحمته الواسعة التي تجعل الملائكة تستغفر لأهل الأرض، ثم تختتمان بتحذير واضح

لمن أعرض عن هذا الإله العظيم واتخذ من دونه أولياء. إننا لسنا أمام قراءة عابرة، بل أمام تحول وجودي في نظرتنا للكون ولأنفسنا. فدعنا، يا رعاك الله، نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، وننسج من معانيهما خريطة طريق لقلوبنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، أريد لقلبك وعقلك معاً أن يبلغا:

1.استشعار عظمة الله وهيبة ملكوته: أن نعيش مشهد السماوات وهي تكاد تتشقق من هيبته، وأن ندرك أن هذا الكون ليس مادة صماء، بل هو كائن عابد خاضع لربه.
2.فهم قيمة الاستغفار ورحمة الله: أن نعي كيف أن الملائكة، على كمالهم، يستغفرون لنا، وأن ندرك أن رحمة الله سبقت غضبه، فنسارع إلى رحمته بالتوبة والإنابة.
3.إدراك خطورة الشرك وعبادة غير الله: أن نرى بأعين بصيرتنا بشاعة اتخاذ الأولياء من دون الله، بعد هذا البيان العظيم عن ملكه وعلوه وعظمته ورحمته.
4.تحقيق التوازن بين الخوف والرجاء: أن نتعلم كيف نبني علاقتنا مع الله على قاعدة متينة، تمزج بين هيبة الجلال، ورجاء الجمال، وبين الخوف من التقصير، والطمع في المغفرة.
5.تثبيت النبي والمؤمنين: أن نستلهم من الآيات كيف كان القرآن يثبت النبي صلى الله عليه وسلم، ويخفف عنه ثقل همّ الدعوة، ويذكره بأن الله هو الحفيظ عليهم، وهو الوكيل بهم.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

لنقف الآن، يا أخي الحبيب، وقفة متدبر عند كل كلمة، وكأن الوحي يتنزل علينا الآن.

المحور الأول: دلالة قوله تعالى: ﴿تكادُ السّمَاوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِن فَوْقِهِنّ﴾

إنه المشهد المهيب الذي يُفتتح به هذا المقطع. تأمل معي كيف يرسم الله صورة كونية تجعل القلب يرتجف خشية وإجلالاً.

معنى "تكاد" و"يتفطرن":
"تكاد" فعل يفيد المقاربة. فالسماوات لم تنفطر بعد، ولكنها تقترب من ذلك، وهي على وشك أن تتشقق. أما "يتفطرن" فهي من التفطّر، أي التشقق والتصدع، وهي صورة حسية قوية تنقل لك شدة الأمر. السماوات العظيمة، التي تراها ثابتة مستقرة، هي على حافة الانهيار والتشقق!

لماذا تكاد السماوات تتفطر؟
اختلف المفسرون في سبب هذا التفطر، وكلاهما يصبان في بحر العظمة الإلهية:

· من عظمة الله وجلاله: إنها تكاد تتفطر من فوقهن من هيبة الله وعظمته .فالعلو والعظمة الإلهيان اللذان ذُكرا في الآية السابقة، يبلغان من الجلال والجبروت أن السماوات نفسها، على قوتها، لا تكاد تتحمل التجلي الإلهي عليها، فتكاد تتشقق هيبة وخضوعاً.
· من شرك المشركين وكفرهم: وقيل إنها تكاد تتفطر من قول المشركين: "اتخذ الله ولداً"، أو من كفرهم وإعراضهم عن توحيد الله .فكما قال في سورة مريم: ﴿تكادُ السّمَاوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقّ الأَرْضُ وَتَخِرّ الجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرّحْمَٰنِ وَلَداً﴾ .فكفر الإنسان وجحوده هو أمر عظيم في قبحه، حتى إن الجماد المخلوق لطاعة الله يكاد ينفطر غيرة وغضباً لله.

قوله "مِن فَوْقِهِنّ":
هذه العبارة تزيد المشهد هيبة. فالتفطر يبدأ من أعلاهن، أي من الجهة التي تلي العرش، لأن عظمة الله وجلاله من هناك تتنزل، ولأن التأثير يبدأ من الأقرب إلى مصدر الجلال. هذا يجعل الصورة في الذهن متراكمة الأبعاد: السماوات السبع، يبدأ التشقق من أعلاها إلى أسفلها، تأثراً بالجلال الإلهي.

اللمسات البيانية والبلاغية:
إنه تصوير فني معجز! إنه "تشخيص" للجماد. السماوات ليست حجراً أصم، بل هي كائن حساس، يكاد يتألم ويتصدع من هول ما يرى ويسمع. استخدام صيغة المضارع "يتفطرن" يدل على استمرار هذه الحالة، فالسماوات في كل لحظة تكاد تتفطر. هذا الأسلوب ينقل المشهد من مجرد خبر إلى فيلم كوني مهيب، تشعر معه بقشعريرة في بدنك، وهيبة تملأ قلبك.

الرسائل والنفسية والتربوية والفكرية:

· الرسالة النفسية: إنها تزرع في القلب هيبة عظيمة لله .إذا كانت السماوات العظيمة تخشاه إلى هذا الحد، فكيف بقلب الإنسان الضعيف؟ هذا يدفعك إلى تعظيم الله، وإجلاله، والخوف من معصيته.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن الكون كله في عبادة وخضوع لله، فالجماد ليس غافلا ً .وهذا يحفز الإنسان أن يكون أشد تأثراً بطاعة ربه من هذه المخلوقات الجامدة .فكيف ترضى لنفسك أن تكون أقل خشية من الجبال والسماوات؟
· الرسالة الفكرية: إنها تدحض أي تصور مادي بحت للكون .الكون ليس مجرد قوانين فيزيائية عمياء، بل هو مخلوق عابد، له إحساس وشعور تجاه خالقه .هذا يعيد للكون قدسيته، ويجعل تعامل المؤمن معه تعامل تأمل وإجلال، لا مجرد استغلال وتسخير.
المحور الثاني: دلالة قوله: (وَالمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ)

ثم ينتقل المشهد من هول الجلال إلى جميل الجمال، ومن هيبة العظمة إلى سعة الرحمة. إنه انتقال عجيب يلامس شغاف القلب.

تسبيح الملائكة بحمد ربهم:
الملائكة، على قربهم من الله، وعلى عصمتهم وكمالهم، هم في تسبيح دائم بحمد ربهم. إنهم ينزهون الله عن كل نقص، ويقدسونه عن كل عيب، مقرونا بحمده والثناء عليه. هذا التسبيح هو اعتراف منهم بالعجز عن بلوغ حق عبادته. فإذا كان هؤلاء المقربون دائمي التسبيح، فما بالنا نحن الغافلين المذنبين؟

استغفار الملائكة لمن في الأرض:
وهنا قلب الرحمة النابض! إنهم مع عبادتهم وتسبيحهم، يستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين. قال ابن كثير: "يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض". إن هؤلاء المخلوقات النورانية الطاهرة، التي لا تعصي الله ما أمرها، تسأل الله أن يغفر لنا نحن الخطاة المذنبين! إنه لشرف عظيم، وتكريم للإنسان، ودعوة صريحة للتوبة. لماذا يستغفرون؟ لأنهم ينظرون إلينا بعين الرحمة، أو لأنهم يعلمون ضعفنا، أو لأن الله أمرهم بذلك. وفي كل الأحوال، هي رسالة حب ورحمة من الله بعباده.

اللمسات البيانية والبلاغية:
انظر إلى المقابلة البديعة بين:

· جلال "يتفطرن" وجمال "يستغفرون".
· صورة العظمة المهلكة، وصورة الرحمة المانحة.
· حال الكفار الذين كادت السماوات تتفطر من كفرهم، وحال المؤمنين الذين تشملهم الملائكة باستغفارها.

إنها لوحة فنية متكاملة: في الأعلى، عظمة تخشع لها السماوات. وفي ما حولها، ملائكة يسبحون ويستغفرون. إنه مشهد يجعلك تشعر بضآلتك، وتفزع إلى رحمة ربك.

الرسائل النفسية والتربوية والفكرية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلب المؤمن رجاء وأملا ً عظيماً .فإذا كانت الملائكة تستغفر لك، فأنت لست وحدك في معركة الحياة، وهناك من يدعو لك في السماء .هذا يخفف وطأة الشعور بالوحدة و اليأس، ويدفعك إلى حب الله الذي سخرهم لذلك.
· الرسالة التربوية: إنها تحثك على الاقتداء بالملائكة في فعلين عظيمين: التسبيح بحمد الله، والا ستغفار للمؤمنين .أن تسبح الله وتحمده، وأن تكون رحيماً بإخوانك في الأرض، تسأل الله لهم المغفرة . إنها مدرسة في العبودية والأخوة.
· الرسالة الفكرية: هذه الآية ترسخ مبدأ "وحدة الكون" في عبادة الله .فالكون كله من سماوات وأرض وملائكة، في تفاعل روحي مستمر .السماء ليست بعيدة عن الأرض، واستغفار الملائكة هو رابط روحي بين العالم العلوي والعالم السفلي .هذا يوسع أفق المؤمن، ويجعله يرى نفسه في كون حيّ، كله يسبح ويستغفر.

المحور الثالث: دلالة قوله: (أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)

بعد مشهد الاستغفار، يأتي التعقيب الإلهي المباشر بـ "ألا" التي هي أداة تنبيه واستفتاح، لشد الانتباه إلى حقيقة عظيمة.

معنى "الغفور الرحيم":
الله هو الغفور، أي كثير المغفرة للذنوب، مهما كبرت، لمن تاب وأناب. وهو الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء. إن تقديم "الغفور" على "الرحيم" هنا له دلالته. فبما أن الحديث كان عن استغفار الملائكة، فناسب أن يأتي اسم "الغفور" أولا ً، وكأنه يقول: استغفارهم ليس عبثاً، بل لأنني أنا الغفور، فأنا أهل للمغفرة، وأقبل الاستغفار. ثم يأتي "الرحيم" ليشير إلى أن هذه المغفرة صادرة عن رحمة واسعة، لا عن مجرد عفو.

صيغة الحصر "هُوَ الغَفُورُ الرَحِيمُ":
تقديم الضمير "هو" يفيد الحصر. أي أنه وحده، لا غيره، هو الغفور الرحيم حقاً. فمهما بلغت رحمة المخلوقين، فهي محدودة ونسبية، أما رحمته فهو مطلقة كاملة. هذا الحصر يعلم المؤمن ألا يطلب المغفرة والرحمة الحقيقة إلا من الله، وألا يتعلق قلبه إلا به.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تفتح باب الأمل على مصراعيه .بعد أن كاد قلبك ينخلع من هيبة "تتفطر السماوات"، يأتيك النداء "ألا إن الله هو الغفور الرحيم" ليهدئ روعك، ويملأك طمأنينة وسكينة .فلا تيأس من رحمة الله، مهما بلغت ذنوبك.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا التوازن في التربية .فكما أنك تخوّف من عظمة الله وجلاله، فعليك أن ترجو رحمته ومغفرته .وهذا يمنع النفس من القنوط، ويدفعها للتوبة .في حياتك، ربّ أبناءك على هذا التوازن بين الخوف والرجاء.
· الرسالة العقلية: إنها تدعونا للتفكر في العلاقة بين أسماء الله الحسنى .فالعظمة والعلو) في الآية السابقة (يقترنان بالمغفرة والرحمة) في هذه الآية .(فالله عظيم في رحمته، رحيم في عظمته .وهذا التكامل يبني صورة ذهنية واضحة عن الله، تمنع الغلو أو الجفاء.

المحور الرابع: دلالة الانتقال إلى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)

بعد هذا المشهد الكوني المهيب الذي يفيض بالعظمة والرحمة، يأتي الانتقال المفاجئ، الصادم، ليبين موقف المشركين الجاحدين. إنها مقابلة حادة، لتقبيح فعلهم، وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم.

تفسير الآية ودلالتها:
"والذين اتخذوا من دونه أولياء": أي هؤلاء الذين أعرضوا عن هذا الإله العظيم، الغفور الرحيم، وذهبوا يتخذون من دونه آلهة وأولياء من الأصنام والبشر، ينصرونهم ويرجونهم.
"الله حفيظ عليهم": أي أن الله يحفظ أعمالهم ويحصيها، ويراقبهم، وسيجازيهم عليها. فهو شهيد ورقيب عليهم، لا يخفى عليه من أمرهم شيء. إنه تهديد ووعيد في قالب الحفظ والإحصاء.
"وما أنت عليهم بوكيل": خطاب مباشر للنبي صلى الله عليه وسلم. لستَ موكلا ً بهم، ولست مسؤولا ً عن هدايتهم قسراً، ولست حفيظاً عليهم. مهمتك هي البلاغ والإنذار، أما حسابهم وحفظ أعمالهم فهو إلى الله.

لماذا جاء هذا الخطاب هنا؟
في هذا السياق، وبعد بيان عظمة الله، يأتي هذا الخطاب ليحقق عدة أهداف:

1.تسفيه عقول المشركين: كيف لإنسان يسمع أن السماوات تكاد تتفطر من عظمة الله، وأن الملائكة تسبح بحمده، أن يترك هذا الإله العظيم، ويعبد حجراً أو يطيع شيطاناً؟ إنه قمة السفاهة والضلال.
2.تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية نفسه: كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هداية قومه، يكاد يذهب نفسه حسرات عليهم .فجاءه هذا الخطاب ليخفف عنه، وليذكره بأن مهمته هي التبليغ، وليس إجبارهم على الإيمان، وأن الله هو الحفيظ عليهم، فليتركهم له.
3.إعلان القاعدة العظيمة: قاعدة "لا إكراه في الدين" .فبعد كل هذا البيان، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .أنت لست وكيلا ً عنهم، ولا رقيباً عليهم في بواطنهم.

اللمسات البيانية والبلاغية:
انظر إلى الالتفات البلاغي الرائع. فبعد أن كان الكلام عن الله بصيغة الغائب "الله حفيظ"، التفت إلى خطاب النبي مباشرة "وما أنت عليهم بوكيل". هذا الأسلوب يشعر النبي بقرب الله منه، ويجعل الخطاب أكثر حميمية وتأثيراً في نفسه. إنه أسلوب "التهديد للعُصاة"، و"التسلية للحبيب".

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية) للنبي والدعاة(: إنها تسلية عظيمة، وتخفيف للهموم .يا أيها الداعية، إذا أديت ما عليك من البيان، فلا تحمل همّ النتائج، ولا تقتل نفسك حسرات على من لم يستجب .الله هو الحفيظ، وهو الوكيل، توكل عليه، وواصل طريقك بثقة.
· الرسالة التربوية) للمؤمنين(: إنها تعلمنا أن التوازن واجب بين الحرص على الهداية، وعدم تجاوز الحدود .نحن ننصح وندعو، ولكننا لا نملك القلوب .وهذا يحفظ الداعية من الإحباط والاحتراق النفسي، ويجعله أكثر حكمة وصبراً.
· الرسالة العقلية) للمشركين والغافلين(: إنها تدعوهم لمراجعة أنفسهم .كيف تعبدون من لا يسمع ولا يبصر، وتتركون "الغفور الرحيم"؟ إنها دعوة عقلية صريحة للتوحيد، عبر تسليط الضوء على سخافة الشرك بعد بيان عظمة الخالق.

القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

بعد هذا التحليل العميق، دعنا نرتق لنرى كيف تعالج هاتان الآيتان مشكلات وأزمات جوهرية في حياة الإنسان:

.١معالجة أزمة الاستهانة بالله والغفلة عن عظمته:
المشكلة الأولى هي أن الإنسان يعيش في غفلة، لا يستشعر عظمة الله. هذه الآية توقظه: "انظر إلى السماوات! إنها تكاد تتشقق من هيبة الله! فأين أنت من هذا؟". هذه الصدمة الإيمانية تخرجه من غفلته، وتعيد ترتيب أولوياته، وتجعله يستشعر مراقبة الله في كل حين.

.٢مواجهة إشكالية اليأس من رحمة الله أو الأمن من مكره:
كثير من الناس يقعون في أحد طرفي النقيض: إما أن يقنطوا من رحمة الله بسبب ذنوبهم، أو يأمنوا عقابه فيتمادوا في المعاصي. الآية تعالج المشكلتين معاً. مشهد السماوات وهي تتفطر يزرع الخوف من الجليل، ومشهد الملائكة تستغفر يزرع الرجاء في الجميل. ثم يأتي اسم "الغفور الرحيم" ليكون الدواء المتوازن، فلا يأس ولا أمن.

.٣علاج مشكلة الضغط النفسي على الدعاة والمصلحين:
الآية الثانية تحديداً هي عيادة نفسية للدعاة. إنها تعالج الإحباط والاحتراق النفسي الذي يصيب من يحرص على هداية الناس ثم يراهم يعرضون. إنها تقول للداعية: "اهدأ، واسكن، فلست مسؤولاً عن هدايتهم. أدّ مهمتك، واترك النتائج للحفيظ العليم". هذه الطمأنينة تمكن الداعية من الاستمرار في عمله بصحة نفسية وثبات عال.

.٤مواجهة إشكالية الشرك الذي هو ظلم عظيم:
بعد بيان كل هذه العظمة والرحمة، يصبح اتخاذ الأولياء من دون الله جريمة كونية كبرى، تكاد السماوات أن تنفطر منها. هذه النظرة تجعل المؤمن يستعظم الشرك، وينفر منه كل النفور، ويتمسك بالتوحيد الخالص.

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة تعظيم الله وإجلاله: تربية النفس على أن تكون في حالة خشية دائمة من جلال الله، استشعاراً لعظمته التي تخضع لها السماوات.
.2قيمة الرجاء والطمع في رحمة الله: اليقين بأن الله "الغفور الرحيم" يفتح باب التوبة لكل مذنب، ويدعوه إلى عدم اليأس.
.3قيمة التوازن بين الخوف والرجاء: بناء الشخصية الإيمانية على أساس متين من الخوف من عقاب الله، والرجاء في رحمته، فلا تطغى إحداهما على الأخرى.
.4قيمة الإخلاص في الدعوة والتبليغ: أن يؤدي الداعية واجبه دون أن يلتفت إلى النتائج، أو يصيبه الغرور إن نجح، أو اليأس إن فشل، لأن الهداية بيد الله.
.5قيمة التوحيد ونبذ الشرك: إدراك أن عبادة غير الله، بعد كل هذه الدلائل، هي ضلال مبين، مما يعزز قيمة التوحيد في القلب.

أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ صفات الله تعالى) العظمة، الجلال، الحفظ، المغفرة، الرحمة(، وعلاقتها بالكون)تأثر السماوات (وبالملائكة) تسبيحهم واستغفارهم (وبالبشر) استغفار الملائكة لهم، وتحذير الكفار.(
.2البعد الكوني: ربط الإنسان بالكون، وجعله يشعر أنه ليس وحيداً في هذا الوجود، بل هو جزء من

منظومة كونية تسبح وتستغفر.
.3البعد النفسي والوجداني: تحقيق الأمن النفسي من خلال الاستغفار، وتحقيق القرب من الله من خ لال التسبيح والحمد، والتخلص من القلق الوظيفي للدعاة من خلال التفويض لله.
.4البعد الحضاري: مجتمع يبني تصوره على هذه المعاني هو مجتمع يخشى الله في تصرفاته، فيسود فيه العدل والأمان، وهو مجتمع متوازن بين الخوف والرجاء، فلا ييأس ولا يطغى، وهو مجتمع محفز على العمل والإنجاز دون ارتباط مرضي بالنتائج.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية في حياتنا العملية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم حياة الكون وعبوديته: الكون ليس ميتاً ولا صاماً، بل هو مسبح ومسبح بحمد ربه.
· مفهوم شفاعة الملائكة واستغفارهم: إدراك أن هناك كائنات نورانية تدعو لنا، مما يوسع مفهوم الأمة والمجتمع ليشمل عالم الغيب.
· مفهوم التفويض لله في نتائج الأعمال: وهو مفهوم فكري عظيم يريح العقل من هاجس السيطرة على كل شيء.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· مفهوم التسبيح والاستغفار كمنهج حياة: جعل التسبيح بحمد الله والاستغفار ورداً يومياً، اقتداءً بالم لائكة، وشكراً لله على نعمة استغفارهم لنا.
· مفهوم التوازن في الإنذار والتبشير: في دعوتك للآخرين، اقرن الترهيب بالترغيب، واذكر الجنة والنار ، والعظمة والرحمة، حتى تؤثر في النفوس بعمق.
· مفهوم الصبر الجميل: تعلم الصبر على إعراض المعرضين، وأداء المهمة بثبات، دون إكراه أو يأس.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الطمأنينة في كنف الله: الشعور الدائم بأنك في رعاية الله، وأن ملائكته تستغفر لك، يمنحك أمناً نفسياً لا يوصف.
· مفهوم التحرر من إدمان النتائج: التوقف عن قياس نجاحك باستجابة الناس، والتركيز على إخلاص العمل لله، مما يمنح راحة نفسية عظيمة.
· مفهوم الراحة في التفويض: إلقاء هموم الدعوة والهداية على الله الحفيظ، مما يزيل ثقلا ً كبيراً عن كاهل النفس.

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والحضارة

.1بناء إنسان متزن روحياً ونفسياً: إنسان يعظم ربه فيخشاه، ويرجوه فيحبه، ويدعو إليه بحكمة فيسلم من الإحباط .هذا هو الإنسان القادر على حمل الأمانة.
.2بناء مجتمع متوازن: مجتمع أفراده بينهم تراحم واستغفار، لا يدينون باليأس، ولا يعيشون في الأ مان الكاذب .كل فرد فيه يعمل ويخلص عمله لله، ويفوض نتيجته إليه، فيسود التعاون وتقل الصراعات.
.3بناء حضارة قائمة على السكينة والعمل: الحضارة المادية وحدها تنتج القلق .أما هذه المفاهيم فتبني حضارة روحية ومادية معاً، تحقق السعادة الحقيقية للإنسان، لأنه يعمل لدنياه وهو مطمئن لآ خرته، ويسعى في الأرض وهو واثق أن أمره بيد الله.

ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن ننظر إلى السماء نظرة مختلفة. ألا نمر على الكون مروراً على جماد، بل نراه آية د الة على العظمة، ومسبحاً بحمد ربه. يريد أن نستشعر هيبته، فنطيعه ونتقيه حق تقاته. ويريدنا أن نفرح ونطمئن بأن ملائكته تستغفر لنا، وأنه هو "الغفور الرحيم"، فنقبل عليه سبحانه بالتوبة والاستغفار ، لا سيان باليأس. ويريد منا، ونحن ندعو إلى سبيله، أن نؤدي الأمانة بصدق، ثم نتوكل عليه، ولا نحمل همّ القلوب التي هي بيده.

كيف نعيش هذه المعاني عملياً في حياتنا؟

.1تأمل في الطبيعة والكون: خذ وقتاً، ولو مرة في الأسبوع، لتنظر إلى السماء وتتأمل: هذه

السماوات تسبح وتخشع لربي، وتكاد تتفطر من هيبته .هذا التأمل سيجدد إيمانك، ويوقظ قلبك، ويزيدك تواضعاً وخشية.
2.اجعل التسبيح والاستغفار منهجاً: كما يسبح الملائكة، سبح أنت .قل في كل يوم: "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" مئة مرة .أكثر من الاستغفار، واجعله في كل حين .واستشعر أنك تشارك الملائكة في هذا الذكر، وتطلب من "الغفور الرحيم" أن يغفر لك وللمؤمنين.
3.عش التوازن بين الخوف والرجاء: عندما تفكر في ذنب معين، استحضر "يتفطرن" لتخاف من سخط الله، ثم استحضر فوراً "الغفور الرحيم" واستغفار الملائكة لتبادر بالتوبة دون يأس .لا تيأس مهما عظم الذنب، ولا تأمن مهما كثرت الطاعات.
4.في ميدان الدعوة والعمل: إذا كنت داعية، أو مربياً، أو صاحب مشروع إصلاحي، فأخلص النية، واعمل بكل جهدك، ثم فوض الأمر لله .لا تجعل عدم استجابة الناس سبباً لإحباطك .تذكر قوله: "وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ" .هذا يمنحك قوة واستمرارية وصلابة نفسية عجيبة.
5.في مواجهة قلق المستقبل وهاجس النتائج: في عملك ودراستك وحياتك، افعل ما عليك، واترك ما لا تملك لله .تذكر أنه "حفيظ" على الكون كله، وهو الحفيظ عليك .نم قرير العين، وأنت واثق أن الوكيل هو الله.

أيها الحبيب في الله، إن الآيتين تفتحان لك باباً عظيماً للتعامل مع ربك، ومع نفسك، ومع الكون من حولك. إنهما تذكرانك بصغرك أمام جلاله، وبسعة رحمته التي تغمر ضعفك، وبحدود مسؤوليتك التي تطمئن قلبك. عش بهذه المعاني، تكن عبداً أواباً، وداعية موفقاً، وإنساناً سوياً، تسير على الأرض مطمئناً، وفي قلبك عرش من السكينة.

القسم الثاني

المبحث الأول

أيها القلب المتعطش لنور الوحي، ويا من جعلت كلام الله بوصلة روحك، ويا من تبحث في كتابه عن يقين يملأ كيانك، وعن فهم يبني في عقلك صورة متكاملة لحكمة الله في خلقه وشرعه. عد بنا إلى رياض سورة الشورى، لنقف بخشوع على أعتاب آيتين أخريين، تربطان بين إعجاز القرآن وعظمة الرسالة، وبين إنذاره وشموليته، ثم ترسمان مصير البشرية جمعاء على أساس أعمالها لا أنسابها. إنها ا لآيتان السابعة والثامنة، حيث يقول تبارك وتعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: 7)

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الشورى: 8)

إن هاتين الآيتين ترسمان خارطة الوجود البشري كله: منطلق الرسالة، شموليتها، غايتها، ومصير الناس بعدها. إنهما تكشفان لنا عن حكمة الله في اختيار مكة، وعن عالمية الإسلام، وعن العدل الإلهي المطلق في يوم يفصل بين الناس فيه على أساس أعمالهم فقط. إننا لسنا أمام مجرد تلاوة، بل نحن أمام إعلان كوني يربط بين الأرض والسماء، وبين الدنيا والآخرة، وبين عمل اليوم وجزاء الغد. فدعنا، يا رعاك الله، نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، وننسج من معانيهما برنامجاً حياتياً متكاملاً.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، أريد لقلبك وعقلك وروحك معاً أن تبلغ:

1.إدراك سنة الله في الوحي والرسالات: أن تفهم كيف أن القرآن امتداد لرسالات الأنبياء، وأنه نزل بلسان عربي مبين، ليكون آخر حلقات الوحي الإلهي للبشرية.
2.فهم حكمة اختيار مكة منطلقاً للرسالة: أن تعي بعمق لماذا كانت مكة "أم القرى"، وكيف أن هذا الا ختيار يكشف عن عالمية الإسلام، وأنه ليس دين قوم أو جنس.
3.استيعاب حقيقة "يوم الجمع" وأهميته: أن تعيش بقلبك مشهد يوم القيامة، حيث تجتمع البشرية كلها، وتنقسم على أساس أعمالها لا أنسابها.
4.تحقيق التوازن بين مشيئة الله وعدله: أن تفهم كيف أن الله خلق الناس على فطرة التوحيد، وأن الاختلاف والانقسام وقع بفعل البشر، وكيف أن رحمة الله وسعت كل شيء، وأن عذابه للظالمين هو محض عدل.
5.تطبيق هذه المعاني في واقع الحياة: أن تتعلم كيف تعيش بهذه الحقائق، وكيف تبني بها شخصيتك، وتواجه تحديات الحياة، وتعد نفسك ليوم الجمع.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

لنقف الآن، أيها الحبيب، وقفة متدبر عند كل كلمة، وكأن الوحي يتنزل علينا من جديد.

المحور الأول: دلالة قوله (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) وبيان سنة الله في إرسال الرسل وإنزال الكتب

بعد أن ذكر الله في الآيات السابقات عظمته وملكه، وبيّن حال المعرضين، يأتي هذا المقطع ليؤكد حقيقة جليلة: إن هذا القرآن ليس بدعاً في تاريخ الهداية الإلهية.

دلالة "وكذلك أوحينا إليك":
الكاف في "كذلك" هي كاف التشبيه العظيمة. إنها تربط هذا الوحي الخاتم بكل وحي سابق. فكأن الله يقول: "ومثل ذلك الوحي العظيم المتحدي، الذي قصصناه عليك، أوحينا إليك هذا القرآن العربي". إنها تربط النبي صلى الله عليه وسلم بموكب النبوة الممتد عبر التاريخ. فهو ليس أول رسول، وما جاء به ليس جديداً في جوهره، بل هو مصدق لما بين يديه من الرسالات. هذه هي السنة الإلهية: إرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية البشرية.

دلالة "قرآناً عربياً":
لماذا خصّ الله هذا الوحي بكونه "عربياً"؟ إنه تكريم لهذه اللغة، واختيار لها لتكون وعاءً للرسالة الخاتمة. إن نزول القرآن بالعربية هو من تمام البيان والإعجاز. فالعرب الذين نزل فيهم، كانوا في قمة الفصاحة، وقد تحداهم الله بلسانهم، فعجزوا عن الإتيان بمثله. هذا يقطع عليهم أي حجة ويقول لهم: إنه ليس من عند بشر، لأنه نزل بلغتكم التي تتقنونها، ومع ذلك عجزتم عن محاكاته. إنه دليل مادي على أنه وحي من عند الله.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· استخدام فعل "أوحينا": جاء بصيغة الماضي، للدلالة على ثبوت هذا الوحي وتحققه فعلا ً، وأنه أمر واقع لا مرية فيه.
· حرف "إليك": فيه توجيه خاص للنبي صلى الله عليه وسلم، تشريف له، وتثبيت لقلبه، وتأكيد على أنه المختار لتلقي هذا الوحي العظيم.
· وصف "عربياً": جاء نكرة للتعظيم. أي أنه قرآن عظيم الشأن، من شأنه أنه نزل بلسان عربي مبين، يجمع بين الفصاحة والبيان.

الرسائل النفسية والتربوية والفكرية:

· الرسالة النفسية: إنها تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. فالشعور بأنك على طريق الرسل من قبلك يمنحك قوة وثباتاً، ويؤكد لك أنك على الحق. إنها تشعرك بأنك في قطار الهداية الممتد منذ فجر البشرية، وأن محطتك هي المحطة الأخيرة.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن نعتز بالقرآن وبلغته العربية. فلا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولا نخلط القرآن بغيره. كما تعلمنا أن ننظر إلى التاريخ نظرة إيمانية، فنرى وحدة الرسالات و الهدف.
· الرسالة الفكرية: إنها تبرز حكمة الله في اختيار الزمان والمكان واللسان لرسالاته. واختيار العربية كان لحكمة عظيمة، منها أنها لغة جامعة، بليغة، قادرة على حمل المعاني العميقة.

المحور الثاني: دلالة قوله (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) وعالمية الرسالة وحكمة اختيار مكة

وهنا نقف على جوهرة عظيمة، تكشف لنا عن سر اختيار مكة، وعن عالمية هذا الدين.

معنى "أم القرى":
أم القرى هي مكة المكرمة. وسميت بذلك لأنها أعظم القرى، وأصلها، وقبلتها، ومحجتها. فالناس يأتون إليها من كل فج عميق. فهي كالأم التي يلتجئ إليها الأبناء. إن اختيار هذا اللفظ "أم القرى" فيه من التشريف والتكريم ما لا يخفى. إنه وصف شريف، يدل على مكانتها في قلب الكون وقلب التاريخ.

دلالة الإنذار وشموليته:

الغرض من إنزال القرآن هو "لتنذر أم القرى ومن حولها". فالإنذار هنا موجه لأهل مكة أولا ً، ثم لكل من حولها. ولكن هل يعني هذا قصر الرسالة عليهم؟ لا. فإن "من حولها" تعني في لغة العرب: جميع ما يحيط بها، أي العالم كله. فتكون مكة هي نقطة الانطلاق والمركز الذي تنبثق منه الدعوة إلى الآ فاق. وهذا هو ما أثبته القرآن في مواضع أخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾. فهي رسالة عالمية، منطلقة من قلب الدنيا.

لماذا كان اختيار مكة بالذات؟
لقد أشرت، يا رعاك الله، إلى حكمة بديعة في اختيار مكة. إنها لم تكن صدفة، بل كانت اختياراً إلهياً لحكمة عظيمة. لو نظرنا إلى خريطة العالم في لحظة ولادة الرسالة الأخيرة، لوجدنا أربع إمبراطوريات كبرى تتحكم في العالم:

.1الإمبراطورية الفارسية: تسيطر على أجزاء من آسيا) السند والهند وإيران والعراق (وأجزاء من أفريقيا.
.2الإمبراطورية الرومانية: تسيطر على أوروبا وأجزاء من آسيا وأفريقيا.
.3الإمبراطورية الهندية: تشمل الهند وماليزيا وإندونيسيا.
.4الإمبراطورية الصينية: في الشرق الأقصى.

كل هذه الإمبراطوريات كانت غارقة في الجاهلية والانحراف والاضطهاد. الديانات قد حُرفت وتمزقت. اليهودية تعرضت للتشريد والتمزيق على يد الفرس والرومان. النصرانية تفرقت مذاهب، ودخلها التحريف والاختلاف والتنازع. العالم كله كان في ظلام دامس، وجاهلية عمياء.

وفي هذا العالم الممزق، كانت هناك بقعة جغرافية فريدة: الجزيرة العربية، وفي قلبها مكة. هذه البقعة لم تسيطر عليها أي إمبراطورية! لماذا؟ لقد حاول أبرهة الأشرم غزو مكة فهلك. هذا الحدث جعل الطامعين يهابون التعرض لها. بالإضافة إلى ذلك، كانت مكة محرمة، منطقة أمان منذ عهد إبراهيم عليه السلام. والعرب كانوا أمة حرة، لا ترضى بالذل، وكانوا يتمتعون بخصائص قوة الشكيمة والمنعة.

لذلك، كانت مكة هي البقعة الوحيدة في العالم التي تتمتع بالحرية والأمان النسبي، بعيداً عن سيطرة الطواغيت. إنها الأرض البكر، التي لم تدنسها أيدي الامبراطوريات. فاختارها الله لتكون "نقطة انطلاق" الرسالة الخاتمة. ولأنها كانت في "وسط العالم" بين الشرق والغرب، كان بإمكان الدعوة أن تنطلق منها إلى جميع الاتجاهات دون حواجز سياسية. إنها حكمة الله التي تتجلى في اختيار المكان كما تتجلى في اختيار الزمان والرسول.

هل اختيار مكة يعني قصر الإسلام على أمة العرب؟
كلا، ثم كلا! إن اختيار مكة هو اختيار استراتيجي لنقطة انطلاق. فالصاروخ يحتاج إلى منصة إطلاق آمنة وقوية، فاختار الله مكة لتكون منصة إطلاق الدعوة للعالمين. تماماً كما تختار الشركة العالمية مقرها الرئيسي في بلد معين، ثم تنطلق بمنتجاتها إلى العالم أجمع. فالمنتج هنا هو رسالة الإسلام، ومقرها مكة، وجمهورها العالم كله. إنها رسالة عالمية النشأة، عالمية الغاية، عالمية الخطاب.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلب المؤمن فخراً واعتزازاً بدينه، الذي انطلق من أطهر بقعة على الأرض. كما تمنحه طمأنينة بأن هذا الدين ليس دين قومية أو عرق، بل هو دين البشرية جمعاء، فهو ينتمي إليه كل إنسان بغض النظر عن لونه أو لسانه.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن ننظر إلى الأمور نظرة استراتيجية شمولية. فالله يعلمنا كيف نخطط ونختار أفضل نقطة انطلاق لأعمالنا. كما تعلمنا أن الأمان والحرية هما أساس الانطلاق لأي مشروع عظيم.
· الرسالة العقلية: إنها تدعونا للتفكر في حكمة الله في التاريخ والجغرافيا. لماذا اختير هذا المكان بـ الذات؟ هذا التأمل يقوي الإيمان، ويجعلنا نرى يد الله في سنن الكون وتقلبات الأمم.

مثال تقريبي:
تخيل أنك تريد أن تطلق محطة إذاعية ليسمعها العالم كله. أين ستضع برج الإرسال؟ لن تضعه في واد سحيق، ولن تضعه في أرض محتلة أو خاضعة لسلطة معادية. ستضعه في أعلى قمة، وفي أرض حرة، لتصل الموجات إلى كل مكان. هذا هو حال مكة، "أم القرى".

المحور الثالث: دلالة قوله (وَتُنذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ)

يرتفع السياق من إنذار الدنيا إلى إنذار الآخرة. فالغاية الكبرى من الرسالة هي تنبيه الناس ليوم عظيم.

ما هو "يوم الجمع"؟
إنه يوم القيامة. وسمى ب- "يوم الجمع" لأنه تجتمع فيه الخلائق كلها، من الأولين والآخرين، في صعيد واحد. تجتمع فيه الأرواح بالأجساد، وتجتمع فيه الأمم بأنبيائها، وتجتمع فيه أعمال العباد بدواوينها. إنه يوم لا يتخلف عنه أحد، ولا يغيب عنه أحد. إنه أعم وأشمل اجتماع في تاريخ الوجود كله.

دلالة "لا ريب فيه":
إنه تأكيد إلهي قاطع. لا شك فيه، ولا ريب، ولا مرية. إنه آتٍ لا محالة، وكل ما في الكون من آيات تدل على إمكانه ووجوده. هذا التأكيد يقطع الطريق على كل شك أو إنكار. إنه يجعل المؤمن يعيش وكأنه يراه.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ القلب هيبة واستعداداً. فذكر يوم القيامة يحرك في النفس دافع الخوف و الرجاء. الخوف من أهواله، والرجاء في رحمة الله. هذا الشعور يمنع الغفلة، ويجعل القلب حياً مستعداً للقاء الله.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن نربط كل أعمالنا بهذا اليوم. فقبل أن تفعل أي شيء، اسأل نفسك: "ماذا سأفعل بهذا في يوم الجمع؟". هذا الربط يجعل حياتنا كلها عبادة ووعياً.
· الرسالة العقلية: إنها تدعونا للتأمل في إمكانية البعث والجمع. فإذا كان الله قادراً على جمع كل هذا الكون من عدم، فهو قادر على جمعهم بعد موتهم. إنها دعوة للاستدلال العقلي على البعث.

مثال تقريبي لتقريب مشهد "يوم الجمع":
تخيل أنك تدخل مطاراً دولياً هائلا ً في يوم ازدحام المسافرين. ترى الناس من كل لون وجنس ولغة، يتزاحمون في صالة واحدة. ينتظر الجميع نداءً واحداً ليصعدوا إلى الطائرة. هذا المشهد المصغر، هو ما سيكون عليه "يوم الجمع"، لكن بمقياس كوني لا يُحصى.

المحور الرابع: دلالة قوله (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)

وبعد الجمع العظيم، يأتي الانقسام الحتمي. إنه الحكم الفصل، والقضاء العدل.

التقسيم على أساس الأعمال لا الأنساب:
في هذا اليوم، تذوب كل الفوارق الدنيوية. لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين غني وفقير، ولا بين أبيض وأسود، إلا بالعمل الصالح. الناس فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير. إنه تقسيم قائم على الإيمان والعمل، لا على النسب والحسب. لقد جمعهم الله في الدنيا بالأعمال والأديان المختلفة، وسيجمعهم في الآخرة بجزاء هذه الأعمال. فمن كان عمله صالحاً، اجتمع مع الصالحين في الجنة، بصرف النظر عن موطنه أو زمانه. ومن كان عمله قبيحاً، اجتمع مع المجرمين في السعير، ولو كان من أشرف الأنساب. لا توجد وساطة، ولا محسوبية، ولا امتيازات. الكل يقف أمام الله سواسية.

دلالة "السعير":
السعير هي النار المستعرة، المتأججة. إن وصفها ب- "السعير" يدل على شدة حرها ولهيبها. إنها مقابلة رهيبة للجنة ونعيمها، ليكون المشهد كاملا ً في النفس: رهبة ورغبة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ النفس تفاؤلا ً وأملا ً من جهة، وخوفاً من جهة أخرى. فأنت تعلم أن معيار النجاة هو العمل الصالح، وهذا في متناول الجميع. فلا تحقرن نفسك، ولا تيأس، فأنت تستطيع أن تكون من أهل الجنة. وفي الوقت نفسه، تخاف من أن تكون من أهل السعير، فتبتعد عن الذنوب.
· الرسالة التربوية: إنها تبني مجتمعاً متحضراً، يقاس فيه الناس بأعمالهم وأخلاقهم، لا بأنسابهم وأموالهم. فهي تهدم كل أشكال العصبية والعنصرية والطبقية. المجتمع الإيماني مجتمع مفتوح، يدخله الناس بأعمالهم، ويرتقون فيه بتقواهم.
· الرسالة العملية: إنها تخلق بيئة تنافس شريفة بين الناس. فالكل يتنافس على العمل الصالح، لا على

جمع المال أو السلطة. وهذا يوجه طاقات المجتمع نحو البناء والإصلاح.

مثال تقريبي:
تخيل شركة عالمية تعلن عن وظائف شاغرة، وتقول: "التوظيف سيكون على أساس المهارات والكفاءة فقط، دون النظر إلى لون أو جنس أو دين". كل الناس يتقدمون بطلباتهم بحماس، ويجتهدون في تطوير مهاراتهم لأنهم يعرفون أن المعيار عادل ومتاح للجميع. وكذلك يوم القيامة، الجميع يعلم أن المعيار هو العمل الصالح، فيسارعون في الخيرات.

المحور الخامس: دلالة قوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)

بعد بيان الانقسام في الآخرة، تعود الآية لتبين أصل هذا الانقسام في الدنيا، ولتؤكد على مشيئة الله وعدله.

خلق الناس على التوحيد:
الله خلق الناس كلهم على فطرة واحدة، هي فطرة الإسلام والتوحيد. فكل مولود يولد على الفطرة، أي على الإيمان بالله الواحد. ثم يأتي بعد ذلك الانحراف والانقسام، بتأثير البيئة والشياطين. وقد كان الناس أمة واحدة على التوحيد، ثم اختلفوا بغياً بينهم. فلو شاء الله أن يبقيهم على تلك الفطرة، وأن يجعلهم كلهم مؤمنين، لفعل. ولكنه سبحانه خلقهم مختلفين، وجعل لهم مشيئة واختياراً، ليكون البلاء والاختبار.

معنى المشيئة هنا:
إنها ليست مشيئة رضا ومحبة، بل مشيئة كونية قدرية. فالله قادر على أن يجبر الناس كلهم على الهداية، لكنه لم يفعل، اقتضاءً لحكمته في خلق الإنسان حراً مختاراً، وليعبد الله بالحب والرغبة لا بالإكراه والجبر. وهذا هو سر التكليف.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تطمئن قلب المؤمن الذي يرى كثرة الضالين. فالله قادر على هدايتهم، لكنه ترك لهم الاختيار. وهذا يخفف من حسرته، ويجعله يواصل الدعوة دون إحباط.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن الاختلاف واقع في الناس بمشيئة الله. فلا نطلب أن يكون الناس نسخة واحدة، ولا نحزن إن لم يستجيبوا كلهم. ولكن علينا أن نستمر في الدعوة والبيان.
· الرسالة العقلية: إنها تحل إشكالية الشر والضلال. فلماذا يوجد الكفر؟ الجواب: لأن الله خلق الإنسان حراً، وأعطاه العقل والقدرة على الاختيار، وسيحاسبه على هذا الاختيار. وهذا هو كمال العدل.

المحور السادس: دلالة قوله (وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)

وهنا تتضح الصورة كاملة. إنه بيان للعدل الإلهي المطلق.

من هم الذين يدخلهم الله في رحمته؟
إنهم الذين اختاروا الهدى على الضلال، والإيمان على الكفر. فمشيئة الله هنا هي مشيئة الجزاء و الثواب، وهي تابعة لاختيار العبد. فمن آمن وعمل صالحاً، أدخله الله في رحمته الواسعة. ومن ظلم نفسه بالكفر والشرك والمعاصي، فليس له من ولي ولا نصير يدفع عنه عذاب الله.

دلالة "الظالمون":
وضع الله الظلم في مقابل الرحمة. فمن لم يدخل في رحمة الله، فهو ظالم. والظلم هنا هو الظلم الأكبر، وهو الشرك بالله. وهؤلاء الظالمون لا يجدون ولياً يتولاهم، ولا نصيراً ينصرهم من عذاب الله.

اللمسات البيانية والبلاغية:
انظر إلى دقة التقسيم:

· "يدخل من يشاء في رحمته": جملة إيجابية، فيها بشارة للمؤمنين بأنهم مختارون برحمة الله.
· "والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير": جملة سلبية، مؤكدة بالنفي، وفيها تهديد ووعيد للكافرين.
واستخدام النكرة "ولي" و"نصير" في سياق النفي يفيد العموم، فلا يوجد لهم أي ناصر أو ولي مطلقاً.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلب المؤمن رجاءً في رحمة الله، وأنه مشمول بها. كما تملأه قوة وثقة، بأنه في ولاية الله ونصره. وفي المقابل، تملأ قلب الكافر يأساً وقنوطاً، لعله يرجع عن ظلمه.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن نسأل الله دائماً رحمته، وأن نبرأ من الظلم وأهله. وأن نعلم أن النصرة الحقيقية هي من الله وحده.
· الرسالة العقلية: إنها تقطع كل أمل للكافرين في أي وساطة أو شفاعة تنقذهم. فلا أحد يملك لهم شيئاً يوم القيامة. وهذا هو العدل المطلق.

القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية وحدة الرسالات ومصدرها الإلهي: ربط القرآن بالرسالات السابقة يؤكد أن المصدر واحد، و الهدف واحد، وهو هداية الناس.
.2قضية عالمية الإسلام: إنكار أن الإسلام دين عربي، وبيان أنه رسالة عالمية انطلقت من مكة لتشمل الدنيا كلها.
.3قضية الحكمة في اختيار مكة: كشف النقاب عن العناية الإلهية باختيار المكان الآمن المنيع ليكون منصة انطلاق الرسالة الخاتمة.
.4قضية العدل الإلهي في الجزاء: التأكيد على أن أساس التقسيم يوم القيامة هو الأعمال، لا الأنساب والألوان.
.5قضية الحرية والمسؤولية: بيان أن الله خلق الناس على فطرة التوحيد، ومنحهم حرية الاختيار، وسيحاسبهم على أساس هذا الاختيار.

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة الإيمان بوحدة المصدر: اليقين بأن كل الرسل من عند الله، وهذا يبني احتراماً لكل الأديان في أصولها السماوية.
.2قيمة الاعتزاز بالإسلام كدين عالمي: الشعور بالفخر بأن الإسلام دين البشرية جمعاء، وليس دين قومية أو عرق.
.3قيمة العمل الصالح كمعيار للتفاضل: بناء الشخصية والمجتمع على أساس التقوى والعمل الصالح، لا على أساس الأنساب والثروات.
.4قيمة الحرية والمسؤولية: إدراك أن الإنسان حر مختار، وعليه أن يتحمل نتائج اختياره.
.5قيمة العدل المطلق لله: الثقة في عدالة الله، وأنه لا يظلم مثقال ذرة.

أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة أن القرآن وحي من عند الله، منزل بلسان عربي مبين، وهو آخر الكتب السماوية وخاتمها.
.2البعد التاريخي والحضاري: النظر إلى تاريخ العالم قبل الإسلام، وفهم كيف كانت الظروف مهيأة لظهور الرسالة في مكة، لتكون الحضارة الإسلامية امتداداً لهداية الله للبشرية.
.3البعد الاجتماعي: بناء مجتمع إنساني عالمي، يقوم على أساس التقوى والعمل الصالح، وينبذ العنصرية والعصبية والطبقية.
.4البعد الأخلاقي والسلوكي: جعل "يوم الجمع" بوصلة أخلاقية تحكم كل تصرفات الإنسان، فيستعد لذلك اليوم بالعمل الصالح.
.5البعد النفسي: تحقيق الطمأنينة للمؤمن بأنه على الحق، وبأن الله عادل، وبأنه سيجازى على عمله خيراً.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية في حياتنا العملية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم مركزية مكة في العالم: أنها ليست مجرد مدينة، بل هي "أم القرى"، مركز الأرض، ومنطلق الهداية.
· مفهوم عالمية الإسلام: أن الإسلام ليس ديناً عربياً، بل هو دين عالمي، نزل لهداية كل البشر.
· مفهوم المحاسبة على أساس الأعمال: أن معيار التفاضل الوحيد عند الله هو العمل الصالح، لا النسب

ولا الجاه.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· مفهوم التخطيط الاستراتيجي: تعلم من حكمة الله في اختيار المكان والزمان كيف تخطط لحياتك ومشاريعك.
· مفهوم التنافس في الخيرات: خلق بيئة تنافسية شريفة للوصول إلى الجنة، عن طريق العمل الصالح.
· مفهوم تحمل المسؤولية الفردية: كل إنسان مسؤول عن قراراته وأعماله، وسيحاسب عليها فرداً فرداً.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الاستعداد الدائم ليوم الجمع: العيش بحالة وعي ومراقبة، وكأن يوم القيامة قريب.
· مفهوم الرضا والطمأنينة: الرضا بحكمة الله في الاختلاف بين الناس، والطمأنينة إلى عدله.
· مفهوم الحرية الداخلية: التحرر من ضغوط العصبية والقبلية والعنصرية، والانتماء إلى أمة الإيمان العالمية.

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

1.بناء إنسان متوازن عالمي الهوية: إنسان يعتز بدينه ولغته، وفي نفس الوقت يشعر بانتمائه إلى البشرية جمعاء .إنسان معتز بأصله، منفتح على العالم، يقدم للبشرية نموذجاً في الأخلاق والعمل.
2.بناء مجتمع تكافلي عالمي: مجتمع مسلم يتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية، فيشعر المسلم في أقصى الأرض بأنه أخ للمسلم في أقصاها .مجتمع يسوده الحب والتناصح والتنافس في الخير.
3.بناء حضارة إنسانية عادلة: حضارة مبنية على أساس "العمل الصالح"، تقضي على كل أشكال التمييز والظلم .حضارة تستقطب الناس من كل العالم، لأنها تقدم لهم قيماً ومبادئ تخاطب فطرتهم.

ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نفهم حقيقة ديننا. إنه دين عالمي، أُنزل لإنقاذ البشرية كلها من الجاهلية. يريدنا أن نعتز بمكة "أم القرى"، وبالقرآن العربي المبين. يريدنا أن نستعد ليوم الجمع، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح. يريدنا أن نتحرر من كل رواسب العصبية والعنصرية، وننظر إلى الناس بأعمالهم. يريدنا أن نوقن بعدالته، فنرضى بقضائه، ونعمل في إطار مشيئته.

كيف نعيش هذه الآيات عملياً؟

1.تعزيز مفهوم عالمية الإسلام في أنفسنا وأهلينا: حدث أبناءك وإخوانك أن الإسلام ليس دين العرب فقط، بل هو رسالة للعالمين .علّمهم أن يفرحوا بدخول الناس في دين الله أفواجاً من كل جنس ولون.
2.التركيز على العمل الصالح كمعيار للتفاضل: في تعاملك مع الناس، لا تفضل غنياً على فقير، ولا قريباً على بعيد، إلا بالتقوى .في زواجك، في صداقاتك، في معاملاتك، اجعل معيارك الظاهر والباطن هو الدين والخلق .امدح أصحاب الأعمال الصالحة، واجعلهم قدوة لأولادك.
3.الاستعداد ليوم الجمع: تخيل وقوفك في هذا الجمع العظيم .اسأل نفسك كل مساء: "ماذا أعددتُ لهذا اليوم؟" .لتكن لك أعمال خفية لا يعلمها إلا الله، تنفعك في ذلك اليوم.
4.نبذ العنصرية والعصبية: حارب أي نزعة قبلية أو وطنية عمياء في نفسك وفي مجتمعك .إذا سمعت من يفتخر بنسبه على حساب عمله، فذكره بقول الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.
5.الثقة في عدالة الله: إذا رأيت ظالماً يصول ويجول، فلا تبتئس .تذكر أن له يوماً سيقف فيه بين يدي الله، ولن يجد له ولياً ولا نصيراً .هذه الثقة تمنحك السكينة وتدفعك للعمل دون قلق.

أيها السائر إلى ربه، إن هاتين الآيتين تفتحان لك باباً لفهم دينك، وفهم نفسك، وفهم التاريخ من حولك. إنهما تذكرانك دائماً أنك جزء من أمة عالمية، أقامها الله على عدله ورحمته، وجعل قبلتها أم القرى، وغايتها يوم الجمع، فاعمل لهذا اليوم بصدق وإخلاص، تكن من الفريق الذي في الجنة، في رحمة الله ورضوانه.

المبحث الثانى

أيها الغائص في بحار الحكمة، ويا من جعلت قلبك مصباحاً يستضاء به في دياجير التدبر، ها نحن نعود لنستكمل معاً تلك الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة الشورى. بعد أن وقفنا على مشاهد العظمة والملك والإنذار، نأتي الآن لنقف بخشوع عند الآيتين التاسعة والعاشرة، اللتين تكشفان لنا عن

أخطر قضية في الوجود، وتجيبان على السؤال المصيري: لمن نولي شؤون حياتنا؟ ولمن نحتكم عند ا لاختلاف؟

يقول الله تعالى بعد أن بيّن حقيقة الوحي والإنذار:
﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: 9)
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى: 10)

إن هاتين الآيتين ليستا مجرد تقرير عقدي، بل هما رسم دقيق لأزمة الإنسان في كل زمان ومكان. إنهما تشخصان الداء، وتصفان الدواء. الداء هو "الولاية لغير الله"، والدواء هو "الاحتكام إلى الله والإ نابة إليه". إنهما تعلنان أن العزة والكرامة والطمأنينة والنجاة، ليست في كنف مخلوق، بل في كنف الخالق وحده. دعنا نغوص في أعماقهما لنرى كيف يرسم الله لنا طريق الولاية الحق، وكيف نحمي أنفسنا من التيه والضلال.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، أريد لقلبك وعقلك وروحك معاً أن تبلغ:

1.إدراك خطورة "الولاية" لغير الله: أن تفهم بعمق أن مشكلة البشرية الكبرى هي اتخاذ الأولياء من دون الله، سواء كانوا أصناماً أو بشراً أو أفكاراً أو شهوات، وكيف أن هذا هو عين الضلال.
2.فهم حقيقة "الولاية" لله وحده: أن تتشرب معنى أن الله هو "الولي" الحق، القادر على كل شيء، الذي لا يموت، وكيف أن توليه للإنسان يمنحه العزة والأمان والقوة.
3.استيعاب قاعدة "الاحتكام إلى الله" عند الاختلاف: أن تتيقن أن المرجع الوحيد لحل كل خلاف هو كتاب الله وسنة رسوله، لا الأهواء والمذاهب البشرية، وكيف أن هذا هو أساس الاستقرار الفردي والا جتماعي.
4.التطبيق العملي لهذه الحقائق: أن تتعلم كيف تعيش بهذه المعاني، فتجعل الله وليك ووكيلك، وتحتكم إليه في كل شأن، فتنال بذلك العزة والطمأنينة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين، ونتأمل في أسرارهما، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة أسلوب الاستفهام الاستنكاري في قوله (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)

إن افتتاح الآية بحرف "أم" هو بحد ذاته رسالة عظيمة. "أم" هنا هي "أم" المنقطعة، التي تفيد الإ ضراب والانتقال من كلام إلى آخر، مع استفهام إنكاري يهز القلوب.

ما هو سر هذا الأسلوب الاستفهامي الإنكاري؟
تأمل معي المشهد. لقد بين الله في الآيات السابقات أنه هو المالك، وهو العلي العظيم، وهو الذي أوحى بالقرآن لينذر به. ثم يأتي بهذا الاستفهام الاستنكاري: "أمِ اتَّخَذُوا...؟" كأنه يقول: أبعد كل هذه ا لأدلة القاطعة على عظمته وملكه ووحدانيته، يذهب هؤلاء فيتخذون من دونه أولياء؟! إنه أسلوب لا ينتظر جواباً؛ لأن الجواب معلوم بالبديهة: إنه تصرف غير معقول، ومخالف لأبسط مسلّمات العقل و الفطرة. إنه أسلوب صادم، يخاطب العقول، ويوقظ القلوب من غفلتها.

من هم الأولياء الذين اتخذوهم؟
هنا تتسع دائرة المعنى لتشمل كل ما يعبده الإنسان من دون الله. إنهم ليسوا فقط أصنام الحجر التي عبدها مشركو قريش. بل هم كل من والاه الإنسان واتخذه إلهاً في شأن من شؤون حياته:

· الأصنام والأوثان: التي عبدت من دون الله.
· البشر: من اتخذهم بعض الناس أرباباً، كالذين يطيعونهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، أو يستعينون بهم في أمور لا يقدر عليها إلا الله.
· الشهوات: التي تستعبد صاحبها، فيصير هواه إلهه من دون الله .فكل من أطاع هواه في معصية الله فقد اتخذه ولياً.
· المال والجاه والسلطان: التي يتعلق بها القلب، ويراها صاحبها مصدر قوته ونصره، فيذل لها ويخاف من زوالها.
· الحزب والفكرة والأيديولوجيا: التي يتعصب لها الإنسان تعصباً أعمى، ويجعلها مرجعه المطلق، فيوالي

ويعادي عليها، دون أن يحتكم فيها إلى وحي الله.

لماذا هذا الفعل مستنكر؟
الاستنكار هنا نابع من حقيقة أن كل هؤلاء الأولياء هم "عبيد مملوكون" لله، عاجزون لا يملكون لأ نفسهم نفعاً ولا ضراً، فكيف يملكونه لغيرهم؟ إنهم مخلوقات ضعيفة، فانية، لا حول لها ولا قوة. إن اتخاذهم أولياء هو قلب للحقائق، وتنازل عن الإنسانية، وهبوط بالعقل البشري إلى درك لا يليق به. إنه كما قال الله في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

اللمسات البيانية والبلاغية في هذا الأسلوب:

· "أم" المنقطعة: صدمة بلاغية، تجبر السامع على التوقف وإعادة التفكير .إنها تخلق فجوة ذهنية، يملؤها العقل بدهشته من هذا الفعل الشنيع.
· "اتخذوا" بصيغة الماضي: للدلالة على أن هذا الفعل قد وقع فعلا ً، وهو واقع مستمر ومشاهد، مما يزيد من قبحه وغرابته.
· "من دونه": تعني "من غيره"، وفيها معنى التجاوز والتخطي .أي أنهم تجاوزوا الله العظيم، وتركوه، وذهبوا إلى غيره من الضعفاء!

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تحدث يقظة في الضمير، وهزة في الوجدان .إنها تجعلك تسأل نفسك: هل في حياتي "أولياء" من دون الله أعتمد عليهم أو أخافهم أو أرجوهم أكثر مما أرجو الله؟
· الرسالة التربوية: هذا الأسلوب يعلم الدعاة والمربين كيف يخاطبون العقول .فبدلا ً من الإملاء المباشر، استخدموا أسلوب الحوار والاستفهام الذي يثير التفكير ويوقظ الفطرة .إنه أسلوب قرآني في التربية: أن تطرح السؤال ليصل المتلقي إلى الجواب بنفسه، فيكون أثره أعمق.
· الرسالة العقلية: إنها دعوة صريحة لاستخدام العقل ."أين ذهبت عقولكم؟" إنه سؤال ضمني يوجهه القرآن لكل من اتخذ من دون الله ولياً .إنها دعوة للتفكر في صفات هؤلاء الأولياء: هل يخلقون؟ هل يرزقون؟ هل يحيون ويميتون؟ إنهم عاجزون، والله هو القادر.

المحور الثاني: دلالة قوله (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) وبيان معنى الولاية الحقة

بعد أن هدم القرآن بالاستفهام الإنكاري كل مظاهر الولاية الباطلة، يأتي الجواب القاطع ليؤسس للولاية الحق: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾.

معنى "الولي":
"الولي" هو الناصر، والمتولي للأمور، والقائم بالشأن، والحافظ، والراعي. والله هو الولي الحق، الذي يجتمع له كل هذه المعاني على وجه الكمال المطلق. فهو الذي يتولى شؤون عباده المؤمنين بتدبيره وحفظه ونصره ورعايته. إنها علاقة حب وولاء ونصرة، من الله لعبده، ومن العبد لربه.

ماذا يعني أن يكون الله هو وليك؟
يعني ذلك أنك قد أسلمت زمام حياتك كلها للقادر العليم. إنه يعني:

· أن معك القاهر الذي لا يغلب: فلا تخاف عدواً، لأن وليك هو القوي العزيز.
· أن معك الحي الذي لا يموت: فلا تحزن على فوات شيء، ولا تقلق على مستقبل، لأن وليك هو الحي القيوم الذي بيده ملكوت كل شيء.
· أن معك الغني الحميد: فلا تذل لسؤال مخلوق، لأن وليك هو الرزاق ذو القوة المتين.
· أن معك الحكيم الخبير: فلا تضل في اختياراتك، لأن وليك يرشدك ويدلك على الصراط المستقيم.

لماذا التأكيد بـ "هو" في قوله (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ)؟
هذه الضمير "هو" يفيد الحصر والقصر. فالله وحده هو الولي الحق. وغيره من البشر أو الجمادات، وإن سمّوا "أولياء"، فهم أولياء صوريون عاجزون. إنه تأكيد على أن الولاية المطلقة الكاملة لا تكون إ لا لله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تغمر قلب المؤمن بسكينة وطمأنينة لا توصف .أن تشعر أن الله يتولى أمرك، ويحرسك، وينصرك، هو أعظم مصدر للأمان النفسي .أنت لست وحيداً في هذه الحياة، بل معك من

بيده مقاليد الأمور، وهو يتولاك برحمته وعنايته.
· الرسالة التربوية: إنها تربي في المؤمن "عزة المؤمن" .فمن كان الله وليه، فلا يمكن أن يكون ذليلا ً .إنه يمشي بين الناس بقوة وثقة، مستغنياً بالله عنهم .إنها تربية على الاستعلاء بالإيمان، والتحرر من رق المخلوقين.
· الرسالة العملية: إنها تقطع على المؤمن كل أسباب التعلق بغير الله .فإذا مرضت، تذهب إلى الطبيب وتأخذ بالأسباب، لكن قلبك لا يتعلق إلا بالشافي .وإذا طلبت رزقاً، تسعى وتعمل، لكن قلبك لا يرجو إ لا الرزاق .هذا هو التوكل الصحيح.

مثال تقريبي:
تخيل طفلا ً صغيراً يسير في طريق مزدحم، ممسكاً بيد أبيه القوي. إنه يشعر بالأمان التام، ويعلم أن أباه سيحميه من أي خطر. هذا هو حال المؤمن الذي تولاه الله، فهو يسير في طريق الحياة، وقد أمسك بحبل الله المتين، واثقاً من ولايته وحفظه.

المحور الثالث: دلالة الأوصاف الثلاثة (وَهُوَ يُحْيِي المَوْتىٰ وَهُوَ عَلىٰ كلّ شَيْءٍ قدِيرٌ)

لماذا قرن الله اسمه "الولي" بهذه الصفات الثلاث؟ إنها تقديم للدليل والبرهان على أنه وحده المستحق للولاية.

.1"يحيي الموتى": هذا هو غاية القدرة التي لا يملكها أحد سواه .فمن كان قادراً على إحياء الموتى، أ لا يكون قادراً على نصرك، ورزقك، وحمايتك، وإجابة دعائك؟ إنها دعوة للقياس المنطقي: إذا كان الله قادراً على الأمر الأكبر) الإحياء(، فهو على الأمر الأصغر) تدبير شؤونك (أقدر.
.2"على كل شيء قدير": هذه هي صفة العموم والإطلاق .قدرته لا يحدها شيء، ولا يعجزها أمر . هذه القدرة المطلقة هي الضمانة الوحيدة الكافية لتولي شؤون كل الخلائق .فالضعيف العاجز لا يصلح أن يكون ولياً، أما القدير على كل شيء فهو الولي الحق.

اللمسات البيانية والبلاغية:
تكرار الضمير "هو" في الجمل الثلاث: ﴿فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ﴾، ﴿وَهُوَ يُحْيِي المَوْتىٰ﴾، ﴿وَهُوَ عَلىٰ كلّ شَيْءٍ قدِيرٌ﴾. هذا التكرار أسلوب بلاغي قوي لإفادة الاختصاص والتأكيد. فالله وحده هو الذي يفعل ذلك، لا يشاركه فيه أحد.

الرسائل النفسية والتربوية:

· بناء اليقين: هذه الأوصاف تبني في القلب يقيناً راسخاً بأن الاعتماد على الله هو المنطق والعقل، وا لاعتماد على غيره هو السفه والجهل.
· توليد الرجاء: وصف "يحيي الموتى" يفتح باب الأمل على مصراعيه .فالله القادر على إحياء الموتى ، قادر على إحياء قلبك، وعلى إصلاح حالك، وعلى تفريج كربتك مهما عظمت.
· تربية التعظيم: استشعار قدرة الله المطلقة يملأ القلب بتعظيم الله وإجلاله، ويجعله دائم اللجوء إليه.

المحور الرابع: دلالة قوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ) وبيان قاعدة الاحتكام

بعد أن بيّن الله أنه الولي الحق، انتقل إلى بيان التطبيق العملي لهذه الولاية. ما هي علامة أن الله وليك؟ علامتها أنك تحتكم إليه وإلى شرعه في كل خلاف.

الاختلاف سنة كونية، ولكن أين الحل؟
الاختلاف بين الناس أمر واقع، وهو ناتج عن أسباب كثيرة: سوء الفهم، أو الفهم الخاطئ، أو نقص العلم، أو النسيان، أو ازدحام الحياة، أو اختلاف الظروف، أو تفاوت العقول، أو اتباع الهوى والشيطان. ولم يترك الله الناس هملا ً في هذه الاختلافات، بل جعل لهم قاعدة ثابتة، هي أساس الاستقرار: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾.

ماذا يعني "فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ"؟
يعني أن المرجع الوحيد للفصل في كل ما اختلف فيه الناس هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فما كان موافقاً لهما قبل، وما كان مخالفاً لهما رد. هذه القاعدة تنطبق على كل شيء:

· في العقيدة: إذا اختلف الناس في ذات الله وصفاته، فالمرجع هو القرآن والسنة.
· في العبادات: إذا اختلفوا في كيفية الصلاة أو الصيام، فالمرجع هو القرآن والسنة.

· في السياسة والاقتصاد والاجتماع: إذا اختلفوا في نظام الحكم، أو في المعاملات المالية، أو في تنظيم الأسرة، فالمرجع هو شرع الله.
· في علاقة الإنسان بنفسه وبربه وبغيره وبالكون: كل هذه العلاقات تحكمها هداية القرآن.

لماذا هذه القاعدة هي أساس الاستقرار؟
لأن الاحتكام إلى الأهواء والآراء البشرية هو سبب الشقاق والاضطراب. الأهواء متقلبة، والعقول نسبية ، والمصالح متضاربة. فلو ترك الحكم للأهواء، لفسدت السماوات والأرض. أما الاحتكام إلى الله، فهو احتكام إلى علم مطلق، وحكمة بالغة، وعدالة كاملة، لا يشوبها هوى ولا نقص. إنه يجمع الناس على ميزان واحد، ويقطع دابر النزاع والشقاق.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنح المؤمن طمأنينة عجيبة .أنا أعرف مرجعي، وأعرف من أحتكم إليه .لست في تيه، ولست مضطراً لاتباع أهوائي أو أهواء الناس .هذا يريح النفس من حيرة الاختيار، ويملؤها ثقة ويقيناً.
· الرسالة التربوية: إنها تبني في المؤمن شخصية "المرجعية الواحدة" .فهو لا يتلقى قيمه من الشرق والغرب، بل من السماء .إنها تربي على الانقياد للحق، والتسليم لله، والثقة بحكمته .كما أنها تمهد لموضوع سورة الشورى الكبير وهو "الشورى"، فالقرارات البشرية تكون في إطار ما حكم الله به.
· الرسالة العملية: في كل خلاف يقع بينك وبين أحد، أو في داخلك، عد فوراً إلى كتاب الله وسنة رسوله .لا تجعل العادة أو الرأي الشخصي أو كلام الناس هو الحكم .اجعل شعارك: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

المحور الخامس: دلالة قوله (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

بعد هذا البيان العظيم، تأتي خاتمة الآية على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، وكأن كل مؤمن يقولها بقلبه ولسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي...﴾.

هذا هو الله! فماذا بعد الحق إلا الضلال؟
إنها إشارة إلى الله الموصوف بصفات الكمال هذه: المالك، العلي، العظيم، الولي، المحيي، القدير، الحكم العدل. هذا هو ربي! فمن كان ربه بهذه الصفات، فعلام الخوف؟ وعلام التردد؟ وعلام الالتفات إلى غيره؟

دلالة "توكلت" و"أنيب":

· "عليه توكلت": التوكل هو تفويض الأمر كله إلى الله، مع الثقة به، وحسن الظن فيه، وفعل الأسباب التي أمر بها .هو إعلان براءة من الحول والقوة، والتجاء كامل إلى حول الله وقوته.
· "وإليه أنيب": الإنابة هي الرجوع الدائم إلى الله في كل وقت، بالتوبة والاستغفار، واللجوء إليه في كل شأن .إنه إعلان أن وجهته ومقصده هو الله وحده.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنح المؤمن قوة وثباتاً لا يتزعزعان .أن تقول "توكلت على الله" يعني أنك ألقيت عن كاهلك هموم الدنيا كلها، وأسندتها إلى من هو أهل لها .هذه هي ذروة الراحة النفسية و السكينة.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا المنهج الرباني في الحياة: أن نتوكل على الله، ونأخذ بالأسباب، ثم ننيب إليه راجعين في كل حال .هذا هو التوازن الذي يمنع الغرور عند النجاح، ويمنع اليأس عند الفشل .ف الشخص الذي يتوكل على الله وينيب إليه، هو في عبادة دائمة، وحال دائم من الشكر والصبر.
· الرسالة العملية: في صباح كل يوم، جدد توكلك على الله، وقل: "اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا..." . وإذا أذنبت، فأنب إليه بتوبة نصوح .وإذا أصابك هم، فأنب إليه بدعاء واستغفار .إنهما السلاحان اللذان لا ينبغي للمؤمن أن يفارقهما.

مثال تقريبي:
تخيل سفينة في عرض البحر، وقد هاجت بها الأمواج. الربان الماهر لا يقف مكتوف اليدين، بل يفعل كل ما في وسعه من الأسباب لإنقاذ السفينة. ولكنه في الوقت نفسه، يعلم أن كل هذه الأسباب لا تكفي، فيرفع قلبه إلى الله داعياً متوكلاً ً. هو عظيم التوكل على الله، وفي نفس الوقت، هو شديد الإنابة إليه. هذا هو حال المؤمن في بحر الحياة.

القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية الولاية والاتباع: وهي القضية الأم .لمن نعطي السمع والطاعة المطلقة؟ لمن نعطي الحب و الخوف والرجاء المطلق؟ الآية تجيب: لله وحده.
.2قضية المرجعية عند الاختلاف: كيف نحل خلافاتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية؟ بالرجوع إلى ا لأهواء أم إلى الوحي؟ الآية تؤسس لقاعدة "الاحتكام إلى الله".
.3قضية أصل الاضطراب في حياة الإنسان: لماذا يضطرب الناس؟ لأنهم يجعلون مرجعيتهم لغير الله، ويتخذون أولياء من دونه، فيتوزعهم الخوف والرجاء بين أطراف متعددة عاجزة.
.4قضية العزة والشقاء: أين يجد الإنسان عزته؟ في موالاة الله وحده .ومتى يشقى؟ في موالاة غيره.

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة التوحيد الخالص: في جانبيه العقدي والعملي .فلا ربوبية ولا ألوهية إلا لله.
.2قيمة الثقة المطلقة بالله: النابعة من الإيمان بأنه "الولي" القادر على كل شيء.
.3قيمة الاستقرار المرجعي: الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في كل خلاف، ونبذ الأهواء و المذاهب البشرية المخالفة.
.4قيمة التوكل والإنابة: الاعتماد على الله في كل الأمور، والرجوع إليه في كل الأحوال.

أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ توحيد الألوهية والربوبية، بأن الله وحده هو الولي والحكم العدل.
.2البعد النفسي والسلوكي: توجيه النفس البشرية إلى مصدر الأمان والثبات الوحيد، وتحريرها من الخوف والقلق الناتجين عن التعلق بغير الله.
.3البعد الاجتماعي والسياسي: وضع الأساس المتين لاستقرار المجتمع، بجعل الشريعة هي المرجعية العليا التي لا تعلو عليها مرجعية، وبهذا يمنع الاستبداد بجعل الحكم لله وحده.
.4البعد الأخلاقي: تربية الإنسان على الصبر والشكر والتواضع، من خلال التوكل والإنابة.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية في حياتنا العملية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم "الولاية" بحقيقتها: أنها تعني النصرة والرعاية، ولا يستحقها على الإطلاق إلا الله.
· مفهوم "المرجعية الربانية": أن الحل الوحيد لكل خلاف هو شرع الله، لا العلمانية ولا الليبرالية ولا غيرها من المذاهب.
· مفهوم "التوحيد العملي": أن التوحيد ليس مجرد إيمان بالله، بل هو تطبيق لحكم الله في كل شؤون الحياة.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية العقل على الاستفهام: استخدام أسلوب التساؤل لإيقاظ الفطرة ومراجعة الذات.
· تربية النفس على التوكل والإنابة: تحويل هذين المفهومين إلى سلوك يومي.
· تربية المجتمع على الاحتكام للشرع: جعل الاحتكام إلى شرع الله هو الثقافة السائدة.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الأمان المطلق: لا يشعر به إلا من كان الله وليه.
· مفهوم العزة النفسية: لا يذوقها إلا من استغنى بالله عن خلقه.
· مفهوم الثبات والطمأنينة: لا يعيشهما إلا من جعل الله مرجعه ووكيله.
دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان قوي متوازن: إنسان واثق بالله، لا تهزه العواصف .إنسان عزيز بالله، لا يذل لطاغوت . إنسان مطمئن بالله، لا يعيش في قلق وتمزق.
.2بناء مجتمع متماسك: مجتمع يحتكم إلى ميزان واحد عادل .مجتمع تسوده الشورى في إطار شرع الله .مجتمع يقوم على التوكل والعمل، والإنابة والتوبة، فيكون مجتمعاً مستقراً ناميا ً.
.3بناء حضارة متفردة: حضارة مصدرها الوحي، في العلم والعمل .حضارة تحرر الإنسان من عبودية ا

لإنسان، ليكون عبداً لله وحده .حضارة لا تنفصل فيها الدنيا عن الدين، ولا السياسة عن الأخلاق.

ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نصحح "بوصلة" حياتنا. يريد أن ننزع من قلوبنا الخوف من كل أحد إلا منه، و الرجاء من كل أحد إلا فيه. يريد أن نجعل شرعه هو الحكم في كل خلاف، في بيوتنا، وفي أعمالنا، وفي مجتمعاتنا. يريد أن نتوكل عليه حق التوكل، ونتيب إليه بصدق.

كيف نعيش هذه الآيات عملياً؟

.1فحص "الولاءات" في حياتنا: قف مع نفسك وقفة صادقة .ما هي الأشياء التي تشكل "ولاءً" في حياتك؟ هل هناك حزب، أو فكرة، أو شخص، أو رغبة، تجعلها مرجعك الأعلى، وتقدم طاعتها على طاعة الله؟ تخلص من هذه الأغلال، واجعل ولاءك الأول والأخير لله وحده.
.2العودة إلى الله في خلافاتنا: عندما تختلف مع زوجتك، أو شريكك، أو ابنك، لا تجعل "كلام الناس" ، أو "العادات والتقاليد"، أو "رأيك الشخصي" هو الحكم .افتحوا كتاب الله وسنة رسوله، وابحثوا عن حكم المسألة، واجعلوه هو الفيصل .بهذا يتوقف النزاع وتعم البركة.
.3لا تخف من أحد: درب نفسك على قاعدة: "لن يصيبني إلا ما كتبه الله لي" .إذا كنت تخاف من رئيسك في العمل، أو من سلطة جائرة، فذكر نفسك دائماً بأنهم لا يملكون لك نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله ."فالله هو الولي وهو على كل شيء قدير" .هذا لا يعني ترك الأسباب، بل يعني تحرير القلب من الخوف.
.4في زمن الحيرة والفتن: عندما تكثر الآراء وتختلط الأمور، عد إلى الآية وطبّقها: "الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب" .اتخذ قرارك بعد الشورى والاستخارة، وتوكل على الله، وامضِ ثابتاً.
.5عبادات التوكل والإنابة: خصص وقتاً في سحرك للإنابة والدعاء .واصل الاستغفار .قل في كل صباح: "اللهم إني أسألك التوفيق لما تحب وترضى، وأتوكل عليك، وأفوض أمري إليك، وأحيا حياتي بك ومعك".

أيها الحبيب التقي، إن هاتين الآيتين هما دستور عزة الإنسان وكرامته. من وجد الله وجد كل شيء، ومن فقده فقد كل شيء. اجعلهما شعارك، ونوراً لحياتك، تصل إلى بر الأمان.

المبحث الثالث

أيها السائر في دروب اليقين، ويا من تبحث عن سكينة قلبك وعظمة عقلك في آيات رب العالمين، طب نفساً وقر عيناً، فها نحن نعود لنستكمل معاً تلك الرحلة الإيمانية المباركة في رحاب سورة الشورى .في الآيتين التاسعة والعاشرة، وقفنا على حقيقة "الولاية"، وأن الله هو الولي الحق، الذي إليه وحده يكون الاحتكام عند كل خلاف .والآن، نرتقي معاً إلى أفق أرحب، حيث يكشف لنا سبحانه وتعالى عن الذات التي تستحق هذه الولاية، وعن صفات الجلال والكمال التي تجعل القلب يسكن إليها وحده .إنها الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة:

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى:(11
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الشورى:(12

إن هاتين الآيتين هما قمة التنزيه والتوحيد .إنهما تصححان التصور عن الله، وتغرسان في القلب مهابته ومحبته معاً .إنهما تقدمان إجابة شافية عن السؤال الوجودي الأكبر: "من هو الله؟" .والجواب هنا لا يترك للظن مجالاً ، بل يرسم لنا صورة رب العالمين، بصفات الخلق والتدبير، وينفي عنه كل نقص وشبيه، ويثبت له كمال السمع والبصر والعلم والقدرة .دعنا نغوص في أعماقهما، لنستخرج من دررهما ما يبني عقيدتنا، ويسكن أرواحنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، أريد لقلبك وعقلك وروحك معاً أن تبلغ:

.1إدراك بديع صنع الله واختراعه: أن نستشعر عظمة الخلق والإبداع في خلق السماوات والأرض، وفي قانون الزوجية الذي يسري على كل شيء.
.2توحيد الله في ذاته وصفاته: أن نفهم بعمق قاعدة "ليس كمثله شيء" التي تنفي التشبيه، وفي نفس الوقت إثبات الصفات "وهو السميع البصير" الذي ينفي التعطيل، ومنهج أهل السنة في الجمع بينهما.
.3التحرر من قلق الرزق: أن نوقن بأن "مقاليد" السماوات والأرض بيد الله، وأنه يبسط الرزق ويقدر

لحكمة يعلمها، لنعيش بسكينة وطمأنينة.
.4إدراك كمال علم الله: أن نعلم أن الله "بكل شيء عليم"، في علمه الواسع بالماضي والحاضر و المستقبل، وبالظواهر والبواطن، مما يملأ القلب هيبة ومراقبة.
.5التطبيق العملي لهذه الحقائق: أن نبني حياتنا على أساس هذه العقيدة الصافية، فنعبد الله كأننا نراه، ونثق في تدبيره لنا، ونسلم لحكمته في عطائه ومنعه.
تحليل الايتين وتفصيل دلالتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين، ونتأمل في أسرارهما، محوراً تلو الآخر.
المحور الاول: دلالة قوله) فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ(

يبدأ هذا المقطع القرآني المعجز بإثبات صفة الخلق والاختراع لله عز وجل .إنها ليست مجرد صفة، بل هي إعلان عن بداية كل شيء، وعن القوة المطلقة التي أوجدت هذا الكون من العدم.

معنى "فاطر":
"فاطر" من القطر، وهو الشق والاختراع على غير مثال سابق .فالله سبحانه وتعالى فطر السماوات وا لأرض، أي أوجدهما وخلقهما واخترعهما من العدم المحض، لا على مثال سبق، وعلى غير مشورة من أحد أو معاونة .إنه الإبداع المطلق .وهذا الاسم أبلغ من "خالق"، لأنه يدل على الإبداع الأولي الذي لم يسبقه شيء .إنه يملأ القلب دهشة وإجلالا ً لهذا الخالق المبدع.

لماذا قدم "فاطر السماوات والأرض"؟
في الآية السابقة، تم الحديث عن أن الله هو الولي، وأنه هو الذي يُحتكم إليه .فجاء هذا الوصف هنا كدليل وبرهان على ذلك .فكيف يُتخذ ولياً غير فاطر السماوات والأرض؟ إن الذي خلق هذا الكون العظيم، وأبدعه بهذا النظام المحكم، هو وحده المستحق للولاية والعبادة والاحتكام .إنه دليل منطقي يهدم أساس الشرك، ويقيم أساس التوحيد.

اللمسات البيانية والبلاغية:
تقديم الخبر "فاطر" على المبتدأ "السماوات والأرض") وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو فاطر (يفيد التخصيص والقصر .فهو وحده الفاطر، وليس لأحد غيره يد في هذا الخلق العظيم .إنه تأكيد على انفراده بالخلق والإبداع.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إن استشعار أن الله هو "فاطر" هذا الكون يُودع في القلب شعوراً عظيماً بالأمان . هذا الكون لم ينشأ صدفة، بل له خالق عظيم حكيم قادر، سيحفظه ويدبره .هذه الفكرة تريح النفس من قلق "المصادفة" و"العدمية".
· الرسالة التربوية: تعلمنا هذه الآية أن ننظر إلى الكون نظرة المتأمل المتفكر .أن نرى في كل ذرة وكل نجم وكل مخلوق آية على بديع صنع الله .هذه النظرة تربي فينا حب العلم والمعرفة، لأن استكشاف الكون هو استكشاف لآثار قدرة الله وإبداعه.
· الرسالة العقلية: إنها تخاطب العقل مباشرة .إن الكون المنظوم المتقن لا يمكن أن يكون بلا خالق . إنه دليل الفطرة والعقل على وجود الله واستحقاقه للولاية، مما يجعل أي انحراف إلى عبادة غيره ضرباً من الجنون الفكري.

مثال تقريبي:
تخيل أنك دخلت إلى غرفة فوجدت فيها لوحة فنية غاية في الروعة والإتقان .عقلك مباشرة سيسأل: "من رسم هذه اللوحة؟" .لن تقول إن الألوان تجمعت صدفة .فكيف بهذا الكون الذي هو أعظم وأدق بمليارات المرات؟ إن "فاطر السماوات والأرض" هو جواب العقل على سؤال الخلق.
المحور الثاني: دلالة قانون الزوجية وأثره النفسي والاجتماعي) جَعَلَ لكم مِّنْ أنفُسِكمْ أزْوَاجًا(...

بعد أن ذكر الله فطره للأكوان، ينتقل بنا إلى نعمة خاصة بنا، وإلى قانون كوني عظيم.

معنى "جعل لكم من أنفسكم أزواجا":
هذه إشارة إلى خلق حواء من آدم، ومن ثم خلق البشرية كلها من ذكر وأنثى .الزوج هنا هو من جنس الإنسان) من أنفسكم(، وفي هذا تكريم عظيم للإنسان وتأنيس له .الجعل هنا يدل على التدبير والتقدير الحكيم.

لماذا هذا الجعل؟

يجيب الله في موضع آخر: "لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا" .فالغاية هي السكن، أي الطمأنينة والاستقرار النفسي و العاطفي .هذا السكن لا يتحقق إلا بين زوجين من جنس واحد، بينهما من التكافؤ والتقارب ما يجعلهما يلتقيان فكراً ونفساً وجسداً .ثم يعقب ذلك ب-"وجعل بينكم مودة ورحمة"، وهي أسمى المشاعر التي تبني الأسرة.

وقوله) وَمِنَ الأَنعَامِ أَزْوَاجًا(:
امتداد لقانون الزوجية ليشمل عالم الحيوان .فالأنعام أيضاً خلقها الله أزواجاً، لتتكاثر وتستمر، وهي مسخرة لخدمتكم .وهذا يذكرنا بأن قانون الزوجية ليس خاصاً بالإنسان، بل هو سنة كونية عامة، قال تعالى: ﴿وَمِن كلّ شَيْءٍ خَلَقنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكمْ تذَكرُونَ﴾.

دلالة) يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ(:
الذرء هو الخلق والتناسل والتكثير .أي أن الله يكثركم وينشركم في هذا التدبير العجيب، وهو قانون الزوجية .وهذا دليل على عظمة الله وقدرته، التي جعلت من ذكر وأنثى مليارات البشر على مر العصور.

اللمسات البيانية والبلاغية:
انظر إلى دقة التعبير: "جعل لكم"، إشارة إلى كون هذا الجعل نعمة ومنة خاصة بالإنسان .الربط بين خلق السماوات والأرض، وخلق الأزواج: ينتقل من العظمة الكونية إلى النعمة الشخصية الحميمة، مما يجعل الإنسان يشعر بعناية الله الخاصة به.

الرسائل النفسية والتربوية:

· الرسالة النفسية: إنها تشعر الإنسان بالامتنان العميق لنعمة الزواج .فهو ليس مجرد علاقة اجتماعية، بل هو آية إلهية، وسكن للنفس، وراحة للقلب .هذا الفهم يعلي من شأن الزواج، ويجعله رباطاً مقدساً.
· الرسالة التربوية: إنها تربينا على احترام هذه العلاقة وقدسيتها، وتدفعنا للحفاظ عليها ورعايتها .كما تعلمنا أن ننظر إلى سنة الله في الكون) الزوجية (بعين البصيرة، فنتعلم منها التكامل والتعاون.

مثال تقريبي:
تخيل نفسك في يوم عمل شاق ومرهق، رجعت إلى بيتك، فوجدت فيه أنيسك ورفيقك، الذي تشاركه همومك وأفراحك، فتجد عنده السكينة والهدوء .هذا هو "السكن" الذي تتحدث عنه الآية .إنها نعمة إلهية تضاهي في عظمتها خلق السماوات والأرض، لأنها تعنى باستقرار النفس البشرية التي هي محور الخلافة في الأرض.

المحور الثالث: دلالة قاعدة التنزيه) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (وعلاقتها بإثبات الصفات) وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(

وهنا نقف على قمة التنزيه والتوحيد في هذه الآية .إنها القاعدة الذهبية في معرفة الله عز وجل . لقد بين الله أنه "فاطر" و"جاعل"، وكل هذه أفعال .فما هي ذاته؟ وما هي صفاته؟ يأتي الجواب حاسماً قاطعاً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

معنى) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ(:
هذه الجملة تنفي نفياً مطلقاً أن يكون لله مثيل أو شبيه أو نظير، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله .كل ما خطر ببالك من تصور، فالله بخلاف ذلك ومتعالٍ عنه .إنها ترد على المشبهة الذين يجعلون الله مثل خلقه.

ثم يأتي) وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(:
بعد أن نفى المثيل، أثبت لنفسه صفات الكمال .فهو السميع لجميع الأصوات، والبصير بجميع المبصرات .سمع لا يشبه الأسماع، وبصر لا يشبه الأبصار .هذا الرد على المعطلة الذين ينفون عن الله صفاته .إنها معادلة الجمع بين التنزيه والإثبات، وهو مذهب أهل السنة والجماعة: نؤمن بما وصف الله به نفسه، من غير تشبيه، ومن غير تعطيل.

لماذا جمع الله بين النفي والإثبات في آية واحدة؟
حتى لا يضل الناس .فمن تمسك بالنفي وحده) ليس كمثله شيء (قد ينفي الصفات) كما فعلت الجهمية والمعتزلة .(ومن تمسك بالإثبات وحده) السميع البصير (قد يشبه الله بخلقه .أما الجمع بينهما فهو الهدى، وهو الذي يحفظ التوحيد نقياً خالصاً.

اللمسات البيانية والبلاغية:

إنه أسلوب الحصر والتأكيد ."ليس" للنفي المطلق، و"شيء" نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء . فانتفى أن يكون لله أي شبيه .وفي المقابل، "وهو السميع البصير" بأداة الحصر والتأكيد "هو"، تدل على كمال الصفات له وحده.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· الرسالة النفسية: إنها تولد في القلب إجلالا ً وخشية عظيمة .حين تعلم أن الله لا يشبه شيئاً، وأن عقلك القاصر لا يمكن أن يحيط به، فإنك تستسلم وتخضع وتكبر الله حق تعظيمه .وهذا هو منتهى التعظيم الإيماني.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا التواضع الفكري .أن نعي حدود عقولنا، وألا نخوض في ذات الله وصفاته بالظنون والأوهام، بل نقف حيث وقف النص القرآني، ونقول: "آمنا به كل من عند ربنا".
· الرسالة العقلية: إنها تحرر العقل من الوقوع في فخين: فخ "التشبيه" الذي يصور الله على هيئة مخلوقاته، وفخ "التعطيل" الذي يجعله عدماً أو طاقة غامضة لا صفات لها .كلاهما انحراف فكري، والإ سلام يقدم الحل الوسط الذي هو قمة الكمال العقلي.

مثال تقريبي على منهج) ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(:
تخيل أنك تحاول أن تصف لشخص أعمى منذ ولادته معنى "الألوان" و"الضوء" .إنه لن يستطيع فهمها أبداً .وهذا حالنا مع ذات الله! عقولنا "عمياء" عن إدراك كنه ذاته، ولكننا نعلم آثاره وصفاته التي أخبرنا بها .فهو "السميع" بسمع لا كالأسماع، و"البصير" ببصر لا كالأبصار .نؤمن بها ونعلم معناها، ونفوض كيفيتها لله .هذا هو التوازن الذي تحققه الآية.

المحور الرابع: دلالة) لهُ مَقالِيدُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ (وارتباطها بالرزق والعلم

بعد بيان صفات الذات، تعود الآية الثانية لتركز على صفات الأفعال والتدبير، فتتحدث عن ملكه المطلق للكون، وتصرفه في الأرزاق.

معنى "مقاليد":
"مقاليد" جمع مِقْلاد أو مِقْلَد، وهي المفاتيح .وفي قوله "له مقاليد السماوات والأرض" أي أن بيده مفاتيح كل شيء في السماوات والأرض، فهو المتصرف الوحيد فيهما .فخزائن السماوات والأرض كلها ملكه، وهو الذي يفتحها لمن يشاء .إنها صورة حسية قوية، تجعل المؤمن يستشعر أن كل ما يريده من خير، فإن مفتاحه بيد الله وحده.

العلاقة بين "مقاليد" و "يبسط الرزق":
إن الله يبسط الرزق ويوسعه لمن يشاء، ويقدره ويضيقه على من يشاء .وهذا التصرف في الرزق ناتج عن كونه مالك المفاتيح) المقاليد .(فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .إنها حكمة إلهية بالغة تتعلق بعلمه المطلق بالعباد وما يصلحهم.

لماذا يكون البسط والتقدير؟
إنه اختبار وابتلاء .فالله يبسط الرزق ليختبر الشاكرين، ويقدر الرزق ليختبر الصابرين .فلا يكون بسط الرزق دليل رضا، ولا تقديره دليل سخط .المؤمن يرضى في الحالين، لأنه يعلم أن المدبر هو "العليم" الحكيم.

اللمسات البيانية والبلاغية:
عطف "يبسط الرزق" على "له مقاليد السماوات والأرض"، فهو تفصيل بعد إجمال، وتوضيح لطريقة تدبيره للملكوت .والجمع بين "يبسط" و"يقدر") أي يضيّق (هو من باب الجمع بين الضدين للدلالة على شمول التصرف.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية هي أعظم علاج لمرض "القلق المالي" الذي يعاني منه معظم الناس .لو أيقن العبد أن مقاليد الرزق بيد الله، لما خاف من لص، ولا من تسريح من عمل، ولا من تقلبات الأ سواق .إنها تولد طمأنينة لا توصف، وتحرر القلب من عبودية المال.
· الرسالة التربوية: إنها تربي في النفس القناعة والزهد في الدنيا، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس .فلمَ التذلل لفلان من أجل رزق، والرزق مفتاحه بيد الله وحده؟ إنها تربي العزة.
· الرسالة العملية: إنها لا تدعو إلى ترك العمل، بل إلى تصحيح النية فيه .أنت تعمل وتأخذ بالأسباب، لكن قلبك لا يعتمد عليها، بل يعتمد على من يملك المقاليد .إن بُسط لك الرزق شكرت، وإن قدّر عليك

صبرت واحتسبت.

مثال تقريبي على) له مقاليد(:
تخيل خزينة ضخمة، فيها كل ما تشتهيه الأنفس من أموال وصحة وأمان .ولكل شيء في هذه الخزينة مفتاح خاص .والله تعالى يملك كل هذه المفاتيح وحده .إذا أراد أن يفتح لك باباً من رزق، لا يستطيع أحد أن يغلقه .وإذا أغلق باباً، لا يستطيع أحد أن يفتحه .هذا هو معنى أن "مقاليد" كل شيء بيده.
المحور الخامس: دلالة ختم الآية) إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(

لماذا ختمت آية الرزق بهذا الاسم؟ إنه الربط البديع بين "العلم الإلهي" و "الحكمة في توزيع الأرزاق".

معنى) إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(:
إنه يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .يعلم السر وأخفى .فهو عندما يبسط الرزق أو يقدره، يفعل ذلك عن علم تام بحال العبد، وما يصلحه، وما يضره، وما يدفعه للشكر أو الصبر .إن بسط الرزق لشخص ما ليس إهمالاً منه، بل قد يكون استدراجاً .وتقدير الرزق على آخر ليس عقوبة، بل قد يكون حماية ورحمة .إنه التصرف القائم على العلم المطلق.

اللمسات البيانية والبلاغية:
استخدام "إن" للتوكيد، واستخدام "كل" للشمول .إنه تأكيد قاطع على أن علمه محيط بكل تفاصيل الرزق وأحوال المرزوقين .فهذا الخبر يجعل القلب يطمئن للحكمة الخفية.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنح المؤمن سكينة عظيمة عند نزول البلاء .عندما تفقد وظيفتك، أو تخسر تجارتك، تعلم أن ذلك بتقدير العليم الحكيم، الذي يعلم وأنت لا تعلم .قد يكون في هذا التقدير دفع بلاء أعظم، أو ادخار لخير أفضل .هذه الثقة تملأ القلب رضاً وتسليماً.
· الرسالة التربوية: إنها تربي فينا مراقبة الله في السر والعلن .فمن أيقن أن الله "بكل شيء عليم" راقب خواطره ونياته وأفعاله .هذا هو الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه".
· الرسالة العملية: إنها تدفعنا للاجتهاد في الدعاء، مع حسن الظن بالله .فأنت تسأل العليم بحالك، العليم بما يصلحك، ولست كمن يسأل جاهلاً .وتعلم أنه إن استجاب فبفضله، وإن لم يستجب فلحكمته.

مثال تقريبي:
تخيل طبيباً خبيراً يعالج ابنه الصغير .قد يصف له دواء مراً، وقد يمنعه عن طعام يحبه، وقد يجري له عملية جراحية مؤلمة .كل هذا يصدر عن علم كامل بمصلحة ابنه .هذا حال الله مع عباده .هو العليم الحكيم، يدبر أرزاقهم وأقدارهم بعلمه المطلق، لا عن جهل أو هوى.

القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية أصل الخلق والوجود: تقديم الإجابة الشافية عن نشأة الكون) فاطر السماوات والأرض (وعن سر التكاثر البشري والحيواني) الأزواج.(
.2قضية التوحيد في ذاته وصفاته: معالجة الانحرافات العقدية) التشبيه والتعطيل (من خلال تقديم المنهج الوسط الجامع بين التنزيه والإثبات .وكيف أن هذا المنهج هو الذي يورث الطمأنينة القلبية و اليقين الفكري.
.3قضية القلق الوجودي بشأن الرزق: ربط مسألة الرزق مباشرة بملكية الله للكون) مقاليد (وعلمه الشامل، للتأكيد على أن الرزق في يد حكيم عليم، فلا داعي للقلق.
.4قضية النظرة للكون والطبيعة: توجيه الإنسان لينظر إلى الكون) خلق السموات والأرض (وإلى نفسه)خلق الأزواج (كآيات ودلائل على قدرة الله وحكمته، لا كغايات في حد ذاتها.

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة اليقين بالله الخالق: الإيمان الراسخ بأن الله هو الخالق المبدع لكل شيء، مما يقطع الطريق على أي فكرة إلحادية أو إشراكية.
.2قيمة تنزيه الله وإجلاله: التربية على التعظيم المطلق لله، بحيث لا نشبهه بخلقه، ولا نعطل صفاته، وهو ما يصون التوحيد.
.3قيمة الطمأنينة والثقة بالرزاق: أن يعيش المؤمن قرير العين، عزيز النفس، لا يذل لطلب الرزق، لأنه

موقن بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.
.4قيمة مراقبة الله في كل حال: الإيمان بأن الله عليم بكل شيء، يبني في النفس جهاز رقابة داخلي، يمنعها من المعاصي، ويحركها للطاعات.
.5قيمة تقديس الأسرة واحترامها: النظر إلى العلاقة الزوجية والأسرة بوصفها آية إلهية وسنة كونية، لا مجرد علاقة دنيوية، مما يضفي عليها طابعاً مقدساً.

أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: تقديم العقيدة الصحيحة في الله، وتنزيهه عن الشبيه والمثيل، مع إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص والعيوب .وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه كل العبادات والأخلاق.
.2البعد الكوني والوجودي: ربط الإنسان بالكون الذي يعيش فيه، وجعل هذا الكون كتاباً مفتوحاً للتفكر في عظمة الخالق .فالكون ليس خصماً للإيمان، بل هو دليل عليه.
.3البعد النفسي والوجداني: تحقيق أعلى درجات الأمان النفسي والسكينة القلبية، من خلال الإيمان بأن الخالق المتصف بالكمال المطلق هو المتولي شؤون العباد، والمتصرف في أرزاقهم.
.4البعد الاجتماعي والاقتصادي: إرساء قواعد الحياة الاجتماعية المستقرة) الأسرة القائمة على السكن والمودة(، والتعامل الاقتصادي القائم على القناعة والعزة والتوكل، لا على الجشع والخوف والذل .إنه اقتصاد مبني على العقيدة.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية في حياتنا العملية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم "الخالق" و"الفاطر": الفرق بين الخلق المألوف والاختراع على غير مثال سابق، مما يبرز قدرة الله المطلقة.
· مفهوم "التنزيه والإثبات": كمنهج متوازن في فهم النصوص الدينية المتعلقة بذات الله وصفاته، بعيداً عن التطرف العقلي.
· مفهوم "المقاليد والملكية": فهم أن ملكية الله للكون هي ملكية تصرف كامل، وأن ملكية الإنسان نسبية ومؤقتة.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النظر والتفكر: تحويل نظرة الإنسان إلى الكون من نظرة عابرة إلى نظرة متأملة ومتعلمة . ففي كل شيء آية.
· تربية النفس على القناعة: تعويد النفس على الرضا بما قسم الله من رزق، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، لما يسببه ذلك من شقاء وقلق.
· تربية الأسرة على المودة والرحمة: جعل السكن والمودة والرحمة هي أعمدة بناء الأسرة، وليست المصالح المادية فقط.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم السكن النفسي: أن الطمأنينة الحقيقية لا تتحقق إلا بالإيمان بالله، وفي ظل العلاقات التي خلقها الله لتحقيق هذا السكن) كالزواج.(
· مفهوم الأمن من قلق المستقبل: وهو أن الأرزاق بيد الله، فلا يحمل العبد همّ غد، بل يعيش يومه عاملا ً متوكلا ً.
· مفهوم أنس المراقبة: أن يستشعر المؤمن أن الله مطلع عليه، فيتحول هذا الشعور من خوف إلى أنس، لأنه يشعر أنه ليس وحيداً، بل في معية من هو "بكل شيء عليم".

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان متوازن مع الكون وخالقه: إنسان عقله مشغول بالتفكر، وقلبه مشغول بالشكر، ونفسه مشغولة بالعبادة .هذا هو الإنسان الكامل الذي يستطيع أن يخوض غمار الحياة بنجاح.
.2بناء مجتمع متماسك وسليم: مجتمع قاعدته الأسرة المبنية على المودة والسكن .مجتمع اقتصاده أخلاقي، قوامه التوكل والعزة والقناعة، لا الجشع والاستغلال .مجتمع أفراده مترابطون بالحب، يعلمون أن أرزاقهم بيد الله، فلا يحسد بعضهم بعضاً، ولا يبغي بعضهم على بعض.
.3بناء حضارة العلم والإيمان معاً: حضارة تنطلق من "فاطر السماوات والأرض" فتدفع للعلم والا كتشاف، لأنها ترى في كل شيء آية .وفي نفس الوقت، هي حضارة أخلاقية، لأنها منضبطة بمراقبة

"العليم" .إنها الحضارة التي عاشها المسلمون الأوائل، فقادوا العالم بالعلم والعمل الصالح.

ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعرفه حق المعرفة، فنسعد .يريد أن ننزهه عن كل نقص، ونثبت له كل كمال .يريد أن نطمئن إليه، ونثق في تدبيره، فلا نجزع من قلة الرزق ولا نطغى من كثرته .يريد أن ننظر إلى الكون وإلى أنفسنا نظرة إيمان، فنرى عظمته ونشكره .يريد منا أن نبني حياتنا وأسرنا ومجتمعاتنا على أساس هذه العقيدة النقية.

كيف نعيش هذه الآيات عملياً؟

.1اجعل التفكر عبادة يومية: خذ بضع دقائق كل يوم لتتأمل في السماء، في نبات، في نفسك، وتذكر "فاطر السماوات والأرض" .هذا التأمل سيجدد إيمانك، ويجعلك أكثر اتزاناً.
.2عش قاعدة "مقاليد السماوات والأرض" في رزقك: عندما تشعر بالقلق على الراتب، أو الخوف من المستقبل المالي، ردد بقلبك هذه الآية .تذكر أن "مفاتيح" كل شيء بيد الله .ابذل السبب، واملأ قلبك يقيناً بأن الرزق آتٍ كما يأتي الموت، لا يتقدم ولا يتأخر.
.3طبق منهج) ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (في تعاملك مع الله: أحب الله، وادعه، وخفه، لكن لا تتخيله بصورة معينة .اعلم أنه يسمعك ويراك، لكن بسمع وبصر لا يشبهان شيئاً .هذا يحفظ لك صفاء التوحيد.
.4ابحث عن "السكن" الذي خلقه الله: إن كنت متزوجاً، فاعمل على أن يكون بيتك سكناً لزوجك وأولادك، بالكلمة الطيبة والوجه البشوش والتراحم .وإن كنت شاباً تبحث عن الزواج، فليكن هدفك "السكن" و"المودة" و"الرحمة"، لا مجرد الشكل أو المال.
.5راقب "العليم": تدرب على استشعار اسم الله "العليم" في كل لحظة .قبل أن تنطق بكلمة، وقبل أن تفعل فعلاً، وقبل أن تفكر بخاطرة، تذكر: "إنه بكل شيء عليم"، لتنضبط جوارحك وتصفو سريرتك.

أيها الحبيب في الله، إن هاتين الآيتين هما مرساة السفينة في بحر الحياة المتلاطم .من تمسك بهما، عرف ربه حقاً، وسكن قلبه، واطمأنت نفسه، وعاش في الدنيا وكأنه في جنة .حصّن قلبك بهذه الحقائق، وأشعِر روحك دائماً أنك في كنف "فاطر السماوات والأرض"

القسم الرابع

تبين الايات حقيقه اصل المنهج الذي امر المسلمين ان يتخذوه منهجا لحياتهم فهو تشريع من الله مثلما شرع للامم السابقه يبين ما هو مراد الله وكيف يكون اقامه الحضاره وفقا لمنهج الله هو يتفق مع الكتب التي نزلت الى الامم السابقه وياتي بجمله من المحاذير التي تمنع الانحراف عن المنهج وجمله من الاوامر الموضحه للطريق التي يحمل بها المنهج.

المبحث الأول

أيها السائر في رحاب القرآن، والمتشوق لمعرفة مراد الله من عباده، ها نحن نعود لنستكمل معاً تلك الرحلة الإيمانية المباركة في ظلال سورة الشورى. بعد أن أرست الآيات السابقات قواعد اليقين في الخالق "فاطر السماوات والأرض"، والذي بيده "مقاليد" كل شيء، يأتي النداء الإلهي ليحدد لنا المهمة الكبرى، والوصية العظمى التي جمعت البشرية كلها على اختلاف أزمانهم ورسلهم. إنها الآية الثالثة عشرة:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: 13)

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، ليست مجرد إخبار تاريخي عن الرسل، بل هي إعلان دستوري لهذه الأمة، وتحديد لهويتها ورسالتها. إنها تكشف لك عن الخيط الناظم الذي يربطك بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وتضع بين يديك مفتاح فهم سر الصراع الأبدي بين الحق والباطل. إنها ترسم خارطة الهداية، وتحذر من المهالك التي فرقت من قبلنا، وتكشف لك عن نفسية أعدائك، لتكون على بصيرة من أمرك. دعنا نغوص في أعماقها، ونستخرج دررها، ونجعل منها نوراً لحياتنا في هذا الزمن الذي اشتدت فيه غربة الدين.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معاً إلى:

.1إدراك وحدة الرسالات ومصدرها: أن نتيقن من أن الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو امتداد لدين جميع الأنبياء، مما يمنح المؤمن شعوراً عظيماً بالانتماء لأكبر أمة في الوجود.
.2فهم حقيقة "إقامة الدين": أن ننتقل من المفهوم الضيق للدين كمجرد شعائر، إلى المفهوم الشامل الذي يجعل من الإسلام نظام حياة متكامل، يحكم السياسة والاقتصاد والمجتمع.
.3تحليل خطورة "التفرق" وأسبابه ونتائجه: أن نعي أن التفرق والاختلاف ليس مجرد خلاف فقهي، بل هو داء عضال يضعف الأمة، ويمزقها من الداخل، ويمكن لأعدائها منها.
.4فهم نفسية الأعداء وأسباب حقدهم: أن نعرف لماذا يكره المشركون الإسلام؟ وكيف يفكرون؟ لنحمي أنفسنا من خداعهم، ولنعد العدة لمواجهتهم بالوعي والبصيرة.
.5التطبيق العملي: أن نتعلم كيف نعيش بهذه الآية في واقعنا المعاصر، وكيف نساهم في إعادة إقامة الدين في أنفسنا ومجتمعاتنا، ونجتنب عوامل التفرق.
تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة النداء القرآني (شَرَعَ لكم) وأهمية استشعار الخطاب

يبدأ الله هذه الآية بقوله: ﴿شَرَعَ لكم﴾. تأمل معي، يا رعاك الله، كيف أن الله عز وجل يخاطبك أنت شخصياً. إنه يقول: "شرع لكم"، ويقصد بهذه الأمة المحمدية. فأنت جزء من هذا "الكم"، وهذا الخطاب موجه إليك كما هو موجه إلى كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها. إن استشعارك لهذا النداء المباشر يحول تلاوة القرآن من طقس روتيني إلى لقاء حي بينك وبين ربك. إنه يشعرك بقيمتك وهويتك ومسؤوليتك. فأنت لست مجرد فرد في أمة مهمشة، بل أنت فرد في أمة خاطبها الله مباشرة، واصطفاها لتحمل آخر رسالاته للعالمين.

ما هو "الدين" الذي شرعه الله لنا؟
"شرع لكم من الدين" أي بيّن وسنّ ونهج لكم معالم دين واضح. والمراد بهذا "الدين" هو الأصول و القواعد الكلية الثابتة التي لا تتبدل عبر الرسالات. إنها أصول التوحيد والعبادة والأخلاق.

اللمسات البيانية والبلاغية:
إن استخدام فعل "شرع" بصيغة الماضي يدل على أن هذا الأمر قد استقر وثبت، وأن الله قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة. واللام في "لكم" لام الاختصاص والتشريف، فهذا التشريع هو نعمة ومنحة إلهية خاصة بهذه الأمة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلبك طمأنينة وثقة. أنت على دين شرعه الله وارتضاه، ولست تائهاً في متاهات الفلسفات والمذاهب الأرضية. هذا اليقين هو أغلى ما تملك في زمن الضياع الفكري.
· الرسالة التربوية: إنها تربيك على الاعتزاز بدينك وهويتك. فكما خاطبك الله بهذا التشريف، ينبغي أن تعيش بهذا الوعي، حاملا ً رسالة الإسلام بفخر واستعلاء بالحق.
المحور الثاني: وحدة الرسالات وبيان المصدر الواحد (مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا...)

ثم تأتي الصاعقة التي تزلزل أي شعور بالعزلة: إن ما أنتم عليه هو عين ما وصى به الرسل من قبلكم!

لماذا هؤلاء الرسل تحديداً (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى) مع محمد صلى الله عليه وسلم؟
لقد خصهم الله بالذكر لأنهم أولو العزم من الرسل، وأصحاب الشرائع الكبرى وأعظم الأمم اتباعاً. فبدأ بـنوح عليه السلام، لأنه الأب الثاني للبشرية، وأول رسول بعد آدم. ثم ذكر إبراهيم عليه السلام، وهو أبو الأنبياء وإمام الحنفاء. ثم موسى وعيسى عليهما السلام، وهما صاحبا الشريعتين العظيمتين في بني إسرائيل. وختم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو خاتمهم وإمامهم. إن هذا التسلسل يريك موكب النور الإلهي عبر التاريخ، ويملأ قلبك فخراً بأنك تنتمي إلى خاتمة هذه السلسلة الذهبية.

ما هو جوهر هذه الوصية؟ (وحدة الدين واختلاف الشرائع)
الجوهر الواحد الذي أوصى به الجميع هو: "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه". هذا هو الدين المشترك. إنها دعوة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. إنها القضية الكبرى التي اتفقت عليها كل الرسالات.

كيف نوفق بين وحدة الدين واختلاف الشرائع؟
هنا قد يثور سؤال في ذهنك: "إذا كان الدين واحداً، فلماذا اختلفت شرائعهم؟". والجواب يكمن في التمييز بين "الدين" و"الشرعة". الدين هو الأصول الثابتة (العقيدة، العبادات، الأخلاق الفاضلة)، وهي واحدة لا تختلف. أما "الشرعة" فهي الأحكام التفصيلية والفقهية التي تختلف باختلاف الأزمنة و الظروف، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.
فالاختلاف كان في "الشكل" والفروع التي تناسب كل أمة، أما "الجوهر" والهدف فهو واحد: عبادة الله وحده لا شريك له. إنه كبناء واحد، أسسه التوحيد، ولكن طوابقه قد تختلف في تفاصيلها.

اللمسات البيانية والبلاغية:
انظر إلى دقة التعبير: "وصى... أوحينا... وصينا". إنه تنوع في التعبير، لكنه يدل على معنى واحد: أن الله هو الذي شرع وأمر. وهذا يؤكد على وحدة المصدر الإلهي للرسالات كلها.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تكسر في نفسك حاجز الوحدة والغربة. فأنت لست وحدك، بل أنت مع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى في خندق واحد. هذا الشعور بالامتداد التاريخي يمنحك قوة هائلة في مواجهة الباطل.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمك احترام الأنبياء جميعاً، والإيمان بهم، والنظر إليهم على أنهم إخوة في الدعوة، وهذا يعزز لديك خُلق السماحة والتسامح.

المحور الثالث: دلالة التوجيه (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ومفهوم إقامة الدين الشامل

وهنا تصل إلى قمة التكليف وجوهر الابتلاء. "أن أقيموا الدين" هي الوصية الجامعة.

ماذا تعني "إقامة الدين"؟
للإجابة على هذا السؤال، لا بد أن نتجاوز التصور الضيق الذي حصره في الصلاة والصيام فقط. إن إقامة الدين تعني:

· جعله منهجاً شاملاً للحياة: أن يكون دين الله هو الحاكم في السياسة والاقتصاد، في العلاقات الشخصية والزوجية، في نظام الحكم والقضاء، وفي التعاملات الدولية.
· تطبيقه كاملاً: أن يؤخذ الدين جملة واحدة، لا أن نأخذ منه ما يروق لنا وندع ما سواه.
· الدعوة إليه جهراً: أن نحمله إلى العالمين، ونبين للناس أنه سبيل النجاة الوحيد.

لماذا "كبر" هذا الأمر على المشركين عبر التاريخ؟
لو كان الدين مجرد صلاة وصيام، لما حاربه الطغاة والمستبدون عبر التاريخ. إن مشكلة المشركين لم تكن مع من يصلي ويصوم فحسب، بل كانت مع من يدعو إلى أن تكون "الحاكمية لله" وحده، لا للبشر. إن الرسل جاءوا يحملون دعوات سياسية واقتصادية واجتماعية، تهدد عروش الظالمين وامتيازات المترفين. لقد جاءوا لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان، ليكون عبداً لله وحده. وهذا ما يفسر لماذا سالت دماء الأنبياء وأتباعهم، ولماذا أوقدت نيران الحروب عبر التاريخ. إنها المعركة الأزلية بين منهج السماء ومناهج الأرض.

اللمسات البيانية والبلاغية:
استخدام الفعل المضارع "تَدْعُوهُمْ" في قوله "كبر على المشركين ما تدعوهم إليه"، يشعرك بأن الدعوة مستمرة، وأن الصراع قائم، وأن كراهية المشركين لهذا الدين هي كراهية دائمة ومتجددة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تعطيك تفسيراً لاضطهاد المشركين لك. لا تظن أنهم يكرهونك لشخصك، بل يكرهون "ما تدعوهم إليه" من التوحيد وإقامة الدين الذي يهدد مصالحهم. هذا الفهم يخفف عنك الحسرة ويقوي عزيمتك.
· الرسالة التربوية: إنها تحذرك من تجزئة الدين. أن تصلي وتصوم ثم تقبل بأن يكون الحكم لغير شرع الله، هو ضرب من التناقض الذي لا يرضاه الله. إقامة الدين تعني أن يكون الإسلام هو الإطار الحاكم لكل حياتك.
· الرسالة العملية: في واقعك المعاصر، إقامة الدين تبدأ من نفسك وأسرتك. اجعل بيتك قائماً على شرع الله، واجعل معاملاتك محكومة بأوامره ونواهيه، واجعل مواقفك السياسية والاجتماعية منسجمة

مع تعاليم دينك.

المحور الرابع: خطورة "التفرق" وأثره المدمر على الأمة (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)

بعد الأمر بالإقامة، يأتي النهي عن التفرق. إنهما وجهان لعملة واحدة: فلا إقامة للدين مع تفرق، ولا اجتماع حقيقي دون إقامة الدين.

ما هي خطورة التفرق والانقسام إلى جماعات وأحزاب وشيع متناحرة؟
إن التفرق هو بداية الانحراف عن التوحيد. إنه يولد من الجدل القائم على التعصب للرأي، الذي يورث الغرور والإعجاب بالنفس، ويؤدي إلى تمزيق الجهود وتبديد الطاقات. والأخطر من ذلك، أن التنازع و الشقاق هما إحدى شُعَب الكفر، لأنهما يؤديان إلى الشك والاضطراب، ويفتحان الباب للأوهام و الخرافات، ويميلان بالإنسان عن اتباع الحق إلى اتباع الهوى والشهوات. والمصير الحتمي لذلك هو اله لاك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

كيف يستغل الأعداء هذا التفرق؟
وهنا تصل إلى الدرس الأهم في عصرنا. إن الكفار والمشركين يزدادون قوة عند تفرق المؤمنين، ويتخذون من هذا الاختلاف مدخلا ً للنفوذ إلى صفوف المسلمين وتمزيقها من الداخل. وهذا ما نشاهده اليوم بأعيننا! إن انقسام المسلمين على مستوى الجماعات والأحزاب، وليس فقط على مستوى الدول، قد أتاح لأعداء الإسلام اختراق بعض هذه الجماعات واستغلالها لضرب الإسلام في الصميم. لقد أزهقت أرواح، وسُفكت دماء، وهُدّرت طاقات، كل ذلك باسم الخلافات التي يستغلها شياطين الإنس و الجن لصرف المسلمين عن عدوهم الحقيقي. إن الآية تحذرنا من هذا المصير قبل وقوعه، وتصف لنا الدواء قبل استفحال الداء.

اللمسات البيانية والبلاغية:
قوله "فيه" أي في الدين. وهذا يدل على أن التفرق المنهي عنه هو التفرق في أصول الدين وقواعده الكلية، والذي يؤدي إلى تمزيق جسد الأمة الواحدة. إنه تفرق يتحول عنده الوحدة إلى عداوات، و المحبة إلى بغضاء.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلبك ألماً على حال الأمة، وفي نفس الوقت، تحذيراً من أن تكون طرفاً في هذا التمزيق. إنها تدعوك إلى نبذ التعصب والفرقة، وتدعوك إلى الحكمة في التعامل مع الخلافات الفقهية المشروعة، وألا تتحول إلى معارك طائفية.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمك أن من أعظم الجهاد في هذا الزمان هو العمل على وحدة الصف الإسلا مي، ولمّ الشمل، ونبذ أسباب الشقاق. كن داعية وحدة، لا داعية فرقة.
· الرسالة العملية: لا تسمح لأحد أن يجرك إلى معارك جانبية مع إخوانك المسلمين. تعاون معهم فيما تتفقون عليه، وليعذر بعضكم بعضاً فيما تختلفون فيه. واجعل طاقتك منصبة على مواجهة أعداء الدين الحقيقيين، لا على الصراع مع إخوانك.

المحور الخامس: تحليل نفسية الأعداء وأسباب حقدهم (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ)

هذه العبارة القرآنية المعجزة تفتح لك نافذة على عقلية أعدائك ومكنونات صدورهم.

لماذا يكره المشركون الإسلام ويكبر عليهم؟
الإجابة: لأن الإسلام "فيه العزة والقوة للمؤمنين". فهو يحررهم من سطوة الطغاة، ويجعلهم عبيداً لله وحده لا لفلان ولا لعلان. إن الإسلام هو دين المساواة المطلقة، لا فضل فيه لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لغني على فقير، إلا بالتقوى. هؤلاء المشركون هم أصحاب المصالح والامتيازات، يريدون الحفاظ على استبدادهم واستعبادهم للبشر.

· الكبر والحسد: هم استكبروا أن تكون النبوة في غيرهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. إنها الأنفة والحسد، فهم لا يريدون ديناً يسلبهم مكانتهم وامتيازاتهم المزعومة.
· الطمع في السلطة والجاه: إنهم يريدون أن يبقى الحكم بأيديهم، يشرعون ما يشاءون، ويحللون ويحرمون وفق أهوائهم. أما الإسلام فيأتي ليسلبهم هذا الحق، ويعلن أن الحكم إلا لله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تنزع الهيبة من قلبك تجاه أعدائك. فهم ليسوا أقوياء كما يبدون، بل هم ضعفاء تتآكلهم الغيرة والحسد والخوف من زوال امتيازاتهم. هذا الفهم يجعلك تنظر إليهم بعين الشفقة والحذر، لا بعين الخوف والرهبة.
· الرسالة التربوية: إنها تربيك على عدم الرهبة من غضبهم، طالما أنت على الحق. فبغضهم للإسلام هو طبيعة فيهم، لا تتغير بتوددك أو تنازلاتك.
· الرسالة العملية: لا تنتظر منهم أن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم. اعمل لدينك، وادع إليه، وواجه مخططاتهم بالوعي واليقظة، عالماً أن معركتك معهم هي معركة وجود، لا معركة حدود.

المحور السادس: دلالة الختام (اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)

يختم الله الآية بهذا التوجيه ليمنحك الطمأنينة والأمل.

معنى الاجتباء والهداية:
"الله يجتبي إليه من يشاء" أي يختار ويصطفي من عباده من يشاء لولايته ونصره وحمل رسالته. وهذا الاصطفاء هو فضل ومنة من الله. "ويهدي إليه من ينيب" أي يرشد ويسدد من يرجع إليه بقلبه، طالباً رضاه، متوكلا ً عليه. هذا يوضح لك أن الأمر ليس بالحسب والنسب، بل بالإيمان والإنابة.

العلاقة بين هذا الختام وما قبله:
بعد أن ذكر الله أن المشركين كبر عليهم هذا الدين، يسلي الله نبيه والمؤمنين بأن الاصطفاء والهداية بيده هو، لا بأيدي المشركين. فلا تحزن على من أعرض، بل أقبل على من أناب. إنها دعوة للتركيز على المهمة، وعدم الالتفات إلى المعوقات.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تعزيك وتصبرك. فأنت لا تملك هداية الناس، ولكنك مأمور بالدعوة. الهداية بيد الله، وهذا يريح قلبك من ألم الإحباط، ويمنحك دافعاً للاستمرار.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمك أن تطلب الهداية من الله وحده، وأن تنيب إليه في كل حين. فإذا رأيت من حولك في ضلال، فاسأل الله لهم الهداية، وكن سبباً في إنابتهم بحسن خلقك وحكمتك.
· الرسالة العملية: استشعر في كل لحظة أن كونك مهتدياً هو بفضل الله واجتبائه لك. فهذا الشعور يورثك تواضعاً وشكراً عظيمين، ويدفعك للمزيد من الإنابة والتقرب إليه.

القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية الهوية والانتماء الحضاري: هذه الآية تجيب على سؤال: من نحن؟ وتقول: أنتم أمة محمد، وأنتم الورثة الشرعيون لدين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهو دين الإسلام.
.2قضية شمولية الدين وعلاقته بالحياة: تعالج الآية الفصل القاتل بين الدين والدولة، والإيمان والعمل ، وتؤكد على مفهوم "إقامة الدين" الشامل.
.3قضية الصراع الأزلي بين الحق والباطل: تقدم تفسيراً حقيقياً لعداوة المشركين، وتكشف أنها عداوة عقدية وجودية، قائمة على رفض التوحيد وحب الاستعلاء في الأرض.
.4قضية الوحدة والتفرق: ترسم الآية خارطة اجتماع للمؤمنين واجتماع للكافرين، وتوضح أن التفرق هو المقدمة الطبيعية للهزيمة، وهو ما يجب أن نحاربه بكل ما أوتينا من قوة.

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة وحدة الأمة الإيمانية: أن الرابطة الحقيقية بين المؤمنين في كل زمان ومكان هي رابطة الإ يمان والعقيدة، لا رابطة الدم أو الجنس.
.2قيمة إقامة الدين كمنهج حياة: أن الإسلام ليس مجرد طقوس، بل هو كل لا يتجزأ، يشمل الروح والمادة، والدنيا والآخرة.
.3قيمة التمسك بالوحدة ونبذ الفرقة: أن الاختلاف آفة، والتنازع هزيمة، وأن واجب كل مؤمن هو السعي لجمع الكلمة وتوحيد الصف.
.4قيمة العزة والكرامة الإيمانية: أن المؤمن لا يخاف من كراهية المشركين وعداوتهم، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذه الكراهية هي دليل على أنهم يرون فيك ما يهدد باطلهم.
.5قيمة الاجتباء والإنابة: أن الوصول إلى الله لا يكون بالأنساب، بل باللجوء إليه والرجوع إلى

منهجه.

أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي والتاريخي: تربط الآية عقيدة المسلمين المعاصرين بجذورها التاريخية، وتجعلهم جزءاً من موكب إيماني واحد بدأ من نوح واستقر عند محمد صلى الله عليه وسلم.
.2البعد الاجتماعي والسياسي: تقدم الآية أسس بناء المجتمع المسلم ونظام الحكم فيه، والذي يقوم على "إقامة الدين" وجعل الحاكمية فيه لله، وتؤكد على أن التفرق السياسي هو مأساة الأمة الحقيقية.
.3البعد الفكري والنفسي: تعالج مشكلتي "الاغتراب النفسي" للمؤمن و"الحيرة الفكرية" أمام كثرة الشرائع .فالمؤمن موصول بالأنبياء جميعاً، ويوقن أن دينه هو المكمل والمنقح لما سبقه.
.4البعد الحضاري: ترسم الآية معالم حضارة بديلة، حضارة التوحيد، التي تجتمع فيها البشرية على مبدأ واحد، وتتحرر من عبودية الطواغيت، وتعيش في ظل العدل والمساواة.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولاً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم (وحدة الدين): أن كل الرسالات الإلهية من عند مصدر واحد، وتدعو إلى غاية واحدة هي توحيد الله وعبادته.
· مفهوم (إقامة الدين): الانتقال من النظرة الشعائرية للإسلام إلى النظرة الشاملة التي تجعله حاكماً على كل مناحي الحياة.
· مفهوم (التفرق المنهي عنه): أنه التفرق والتنازع الذي يمزق جسد الأمة، لا الخلاف الفقهي السائغ في الفروع.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية الوعي بالامتداد التاريخي: شعورك بأنك تنتمي لأمة عظيمة ضاربة بجذورها في التاريخ.
· تربية العزة الإيمانية: ألا تستخذي أو تذل للمعرضين عن دين الله.
· تربية الحكمة في الدعوة: أن تعرف نفسية من تدعوهم، وأن تصبر على أذاهم، وأن تركز على جمع الكلمة لا تفريقها.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم (الاجتباء الإلهي): الشعور بأن إيمانك هو من فضل الله واختياره لك، مما يمنحك تواضعاً وامتناناً.
· مفهوم (الإنابة الدائمة): جعل الرجوع إلى الله في كل الأحوال هو النهج الثابت في حياتك.
· مفهوم (طمأنينة المصدر): السكينة الناتجة عن اليقين بأن تشريعك من عند الله الحكيم، لا من وضع البشر.

أهم المفاهيم في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان واثق من طريقه: إنسان يعلم أن دينه هو الدين الحق الذي جاء به كل الأنبياء، فيزداد يقيناً وثباتاً، ولا تؤثر فيه شبهات المنحرفين.
.2بناء مجتمع متماسك وقوي: مجتمع قاعدته "إقامة الدين" و"عدم التفرق"، فيكون جسداً واحداً لا تقوى عليه مؤامرات الأعداء.
.3بناء حضارة عالمية عادلة: حضارة الإسلام لا تعرف العنصرية، وتجمع الناس على أساس التقوى و العمل الصالح .إنها حضارة "اشهدوا على الناس"، تحمل الخير والعدل للبشرية جمعاء.

ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعي حقيقة أنفسنا وأعدائنا. يريدنا أن نتمسك بإقامة دينه في حياتنا، شمولياً لا تجزيئياً. يريدنا أن ننبذ كل أسباب الفرقة والتنازع، وأن نقف صفاً واحداً خلف راية التوحيد. يريدنا أ لا نرتعب من كراهية المشركين، بل أن نمضي في طريق الدعوة، موقنين بأن الهداية والاجتباء بيده وحده.

كيف نعيش هذه الآية عملياً في حياتنا؟

1.عش بانتمائك لأمة الأنبياء: اقرأ قصصهم، وتأسّ بهم في صبرهم وثباتهم .أشعر بالفخر أن إلهك هو إلههم، ودينك هو دينهم.
2.أقم الدين في بيتك ووظيفتك: إذا كنت تاجراً، فأقم أحكام الإسلام في تجارتك .وإذا كنت مسؤولا ً عن بيت، فأقم أحكام الإسلام في بيتك .هذا هو مفهوم إقامة الدين العملي، أن يتحول الإسلام إلى سلوك حي.
3.كن جندياً في معركة الوحدة: احذر من التعصب المقيت، وكن جسراً بين المتخاصمين من المؤمنين .لا تصدر أحكاماً مسبقة على فئة مسلمة، واجمعهم على ما يوحدهم.
4.لا تندهش من عداوة أعداء الإسلام: عندما تراهم يتآلبون علينا، تذكر أنهم يكرهون "ما ندعوهم إليه" .لا تسعَ لمرضاتهم على حساب دينك، بل اثبت وواصل طريقك، فالله وليك.
5.أكثر من الإنابة: خذ من كل ليلة وقتاً تسأل فيه الله أن يثبتك على هذا الدين، وأن يجتبيك إليه . فالثبات على إقامة الدين لا يكون إلا بمدد من الله عز وجل.

أيها القارئ المؤمن، إن هذه الآية هي بمثابة خريطة هويتك، وبيان رسالتك، وتحليل لأزمتك. إنها تنقلك من مرتبة الفرد الضائع إلى مرتبة الفرد المكلف بحمل أمانة الأنبياء. فاستشعر هذا الشرف، وأضف إلى يقينك الإيماني بعداً تاريخياً، وزد في عزيمتك صلابة بمعرفة عدوك ونفسية عدوك، واخرج من دائرتك الضيقة إلى أفق الدعوة الواسع، موقناً بأن الله هو الذي يجتبي ويهدي، وبيده وحده مقاليد الأمور.

المبحث الثانى

أيها القلب المتعطش لنور الوحي، ويا من تبحث في كتاب الله عن فهم لأسباب ذل الأمة وانكسارها، وعن وصفة العزة والتمكين، عد بنا إلى رحاب سورة الشورى، لنقف بخشوع على أعتاب آية هي من أعظم ما يشرح لك التاريخ، ويكشف لك سنن الله في خلقه، ويضع يدك على الداء الحقيقي الذي مزق الأمم من قبلنا، ويكاد يمزق أمتنا اليوم. إنها الآية الرابعة عشرة:

﴿وَمَا تفرّقوا إلّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلمُ بَغيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رّبّكَ إِلَىٰ أجَلٍ مُسَمًّى لّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنّ الذِينَ أُورِثُوا الكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مّنْهُ مُرِيبٍ﴾ الشورى:(14

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، ليست مجرد وصف لأحداث تاريخية مضت، بل هي قانون إلهي ونفسي واجتماعي ثابت، يكشف لك عن آلية الانحراف والانقسام، وعن أسبابه الحقيقية، وعن عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة. إنها تفتح عينيك على حقيقة أن الفرقة لم تكن أبداً نتيجة للجهل، بل كانت نتيجة للبغي والعناد والكبر بعد وضوح الحق. وهي تحذرك من الشك والريب الذي يتسلل إلى قلوب من ابتعدوا عن منهج الله. دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، لنستخرج دررها، ونجعل منها بوصلة تحمينا من التيه والضياع.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معاً إلى:

1.فهم الأصل الحقيقي للاختلاف والفرقة: أن ندرك بعمق أن التفرق لم يكن عن جهل، بل كان بغياً وعدواناً بعد العلم، وأن هذا هو الداء الذي أهلك الأمم السابقة ويهدد أمتنا.
2.تحليل نفسية المعرضين عن الحق: أن نتعرف على الأسباب الخفية التي تدفع الناس لرفض الحق، من كبر وخوف على المكانة والامتيازات، وحسد وعناد.
3.استيعاب سنة الإمهال الإلهي: أن نعي حكمة الله في إمهال الظالمين والمفرقين، وأن هذا الإمهال ليس إهمالا ً، بل هو استدراج وابتلاء.
4.إدراك خطورة الشك والريب: أن نفهم كيف أن التفرق والتنازع يؤديان حتماً إلى فقدان اليقين، و الوقوع في دوامة الشك والحيرة والاضطراب، فتضيع البوصلة ويفقد الإنسان طريقه.
5.التطبيق العملي في واقعنا المعاصر: أن نتعلم كيف نحمي أنفسنا وأمتنا من هذا الداء القاتل، وكيف نعمل على لمّ الشمل وجمع الكلمة، وكيف نثبت في زمن الفتن والشبهات.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة (وَمَا تفرّقوا إلّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلمُ بَغيًا بَيْنَهُمْ) وبيان الأصل الحقيقي للاختلا

اف

إنها الجملة التي تجيب على السؤال الكبير: لماذا اختلف الناس وتفرقوا رغم وضوح الحق؟ الجواب القرآني صادم ومزلزل: لم يتفرقوا عن جهل، بل تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم! والعلم هنا هو العلم بالحق، والعلم بصدق النبي، والعلم بما في الكتب السماوية من البشارات والأحكام. فلم يكن نقص المعلومات هو المشكلة، بل كان الدافع هو "البغي".

ما هو "البغي"؟
البغي هو الظلم، والحسد، والعدوان، ومجاوزة الحد، والطلب للعلو والغلبة بغير حق. إنه المرض القلبي الخفي الذي يدفع الإنسان لرفض الحق بعد معرفته. وللبغي هنا صور متعددة عبر التاريخ، اجتمعت كلها في علة واحدة:

.1بغي مشركي قريش: لقد كانوا يعرفون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الصادق الأمين، وكانوا يسمون القرآن سحراً لا عن جهل، بل بغياً وحسداً .لقد خافوا على مكانتهم وامتيازاتهم الدينية و الدنيوية .كانوا يتباهون بالكعبة، ويدّعون أنهم أبناء إبراهيم، فجاء الإسلام ليسلبهم هذا الشرف المزعوم، وليعلن أنهم انحرفوا عن ملة أبيهم إبراهيم .فآثروا الكبر والعناد على الإيمان، وخافوا أن يفقدوا سيادتهم على القبائل .لقد كان إعراضهم عن علم، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ .إنهم يعلمون صدقه، ولكن الظلم والكبرياء يمنعانهم من الإقرار.
.2بغي أهل الكتاب) اليهود والنصارى(: وهنا يتجلى البغي بصورة أوضح .لقد جاءهم العلم، وجاءتهم البشارات بالنبي الخاتم في التوراة والإنجيل، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .ولكنهم تفرقوا وتحزبوا .قام كل حزب من الأحبار والرهبان وأتباعهم بالتمترس خلف رأيه وموقفه .لقد قاموا بـ التحريف لنصوص كتبهم ليوافق أهواءهم، وحرفوا صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .فصار بينهم الاقتتال والصراع والعداء والبغضاء والتناحر .لقد آثر كل فريق زعامته ورياسته على الانقياد للحق، فكان البغي هو الدافع .إنه الحسد والعناد أن تنتقل قيادة البشرية إلى أمة جديدة، كما قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· استخدام أسلوب الحصر بـ "إلا": "وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم" يؤكد بشكل قاطع أن العلة الوحيدة للتفرق هي البغي بعد العلم، وليس أي شيء آخر.
· كلمة "بغياً" جاءت لتوضح أن هذا الفعل هو ظلم وعدوان، وليس مجرد اختلاف في الرأي .فهي تصفه بالصفة الأخلاقية القبيحة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تريحك من وهم أنك بحاجة إلى "إقناع" المعاندين بمزيد من الأدلة .المشكلة ليست في الأدلة، بل في القلوب المريضة بالبغي .هذا الفهم يريحك من الإحباط، ويجعلك تركز على من يطلب الحق بصدق.
· الرسالة التربوية: إنها تربيك على أخطر آفات القلوب: "البغي"! راجع قلبك باستمرار، واسأل نفسك: هل أرفض حقاً أعرفه بسبب كبرياء أو حسد أو خوف على مكانة أو مصلحة؟ إنها تربية على الصدق مع الله ومع النفس.
· الرسالة العملية: لا تتعجب عندما ترى العالم ينقسم على الإسلام، فهو تاريخ طويل من البغي .وواجه هذه الحقيقة بزيادة ثباتك على الحق، لا بالتنازل عنه.

المحور الثاني: دلالة (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ) وسنة الإمهال الإلهي

بعد أن كشف الله عن علة التفرق، يخبرنا عن حكمته في التعامل مع هؤلاء البغاة. إنهم ارتكبوا جريمة شنعاء تستحق العقاب الفوري، ولكن... "لولا كلمة سبقت".

ما هي "الكلمة السابقة"؟
هي قضاء الله وحكمه الأزلي، بأن يؤخر حساب الخلائق إلى يوم القيامة، وأن يمهلهم في الدنيا إلى أجل مسمى هو يوم القيامة. فلولا هذا القضاء السابق بالإمهال، "لقضي بينهم"، أي لحكم الله بينهم وأنزل بهم العقوبة العاجلة في الدنيا، فأهلك المبطلين وأبقى المحقين.

لماذا هذا الإمهال؟

إنه من حكمة الله ورحمته. ففي الإمهال فرصة للتوبة والإنابة، واختبار للعباد، وإقامة للحجة على المعاندين. إنه ليس إهمالا ً، بل هو استدراج واستملاء. ولهذا يحذر الله المؤمنين من أن يغتروا بإمهاله للظالمين، فكأس العذاب دائرة عليهم، وإن تأخرت.

اللمسات البيانية والبلاغية:
استخدام "لولا" للدلالة على امتناع الشيء لوجود غيره. فالعقاب العاجل امتنع لوجود الكلمة السابقة با لإمهال. وفي هذا التعبير قوة ورهبة، فهو يشعرك بأن العقاب قريب ومتحقق، وإنما أجله أجل واحد.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنحك طمأنينة عظيمة .إذا رأيت أهل البغي يصولون ويجولون، فلا تظن أن الله غافل عما يفعلون .إنما هم في إمهال، ونهايتهم محتومة .هذا يريح قلبك من الغضب المدمر، ويدفعك لتفويض الأمر لله.
· الرسالة التربوية: إنها تحذرك من الاغترار بالإمهال .لا تتأخر في التوبة ظناً منك أن الله غافل أو ممهل، فلحظة القضاء قد تكون بغتة .وهي دعوة للمسارعة في الخيرات.
· الرسالة العملية: إنها دعوة لتحذير الظالمين والمفرقين .قل لهم: "إن الله يملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته" .هذا هو القرآن، يخوف ويرجو، ويهدد ويطمئن.

المحور الثالث: دلالة (وَإِنَّ الذينَ أُورِثوا الكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) ونتيجة البغي: الشك والضياع

وهنا نصل إلى النتيجة الطبيعية الحتمية للبغي والتفرق. أولئك الذين ورثوا الكتاب من بعد الأجيال ا لأولى، والذين كان ينبغي أن يكونوا على يقين، قد وقعوا في "شك منه مريب". لماذا؟

كيف يقود التفرق والبغي إلى الشك؟
إنه قانون نفسي واجتماعي ثابت. عندما يتحول الدين إلى مادة للتنازع والجدل القائم على البغي و التعصب للرأي، فإن الأجيال اللاحقة لا ترث اليقين، بل ترث الحيرة والاضطراب. تنظر هذه الأجيال إلى آبائها وقادتها وهم يتنازعون ويتفرقون، فيدخل الشك إلى قلوبهم. يتساءلون: "إذا كان هؤلاء هم أتباع الدين، وهم مع ذلك متفرقون متباغضون، فأين الحق؟". يبدأ الشك يسيراً في التحريف والتأويل الفاسد، ويحاول البعض تطويع النصوص لأهوائهم، ثم يزداد هذا الشك ويتحول إلى ريب وقلق وجودي، فلا يجدون لهم مخرجاً. لقد وقعوا في الحيرة والشك والاضطراب لأنهم رأوا قدوتهم في خصام، فصاروا مقلدين للآباء والأجداد في ضلالهم، لا مهتدين إلى الحق. إن التنازع يؤدي إلى فقدان اليقين، والوقوع في دائرة الشك والحيرة والاضطراب. إنه الضياع الفكري والعقدي الذي لا يجد صاحبه مخرجاً منه.

أمثلة تاريخية:

· بنو إسرائيل: لقد اختلفوا على منهج الله بمجرد أن أنجاهم من الغرق، وما زالت آثار مياه الطين على أقدامهم، فعبدوا العجل! ثم تتابع اختلافهم وبغيهم، فحرفوا التوراة، وقتلوا الأنبياء بغير حق . فكانت عقوبتهم: "غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا" .لقد عاشوا أذلاء مشردين، وفي قلوبهم شك واضطراب.
· النصارى: الذين انحرفوا عن دين المسيح عليه السلام، وتفرقوا إلى مذاهب وفرق، وأدخلوا في دينهم ما ليس منه من عقيدة التثليث والصلب والفداء .لقد تفرقوا عن علم، بغياً بينهم، وكانت النتيجة أن صاروا في شك من دينهم، لا يستقرون على يقين.

اللمسات البيانية والبلاغية:
وصف الشك بأنه "مريب"، أي موقع في الريبة والقلق. والشك هنا ليس مجرد سؤال بريء، بل هو شك قلق، يجعل صاحبه في حيرة دائمة وعدم استقرار. واستخدام "إن" و"لام" التوكيد في "وإن الذين..." و"لفي شك" يفيد أن هذا هو المصير المحتوم لمن سار على هذا الدرب.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تحذرك أشد التحذير من مغبة التفرق والتنازع .فإذا أردت أن تحافظ على يقينك وإيمانك، فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، وابتعد عن التعصب للرأي والفرقة .فالسلامة في الوحدة، والهلاك في التنازع.
· الرسالة التربوية: إنها تدعوك لتربية أبنائك على اليقين، لا على التعصب .علمهم أصول الدين

ومقاصده، واغرس فيهم محبة الصحابة والتابعين، واجعلهم يحملون هم الوحدة وجمع الكلمة، لا هم الفرقة والتمزيق.
· الرسالة العملية: انظر إلى حال أمتنا اليوم! لقد اختلفنا وتفرقنا، فماذا كانت النتيجة؟ ذل ومهانة، وقتل وتشريد، وشك وريب في قلوب الأجيال الشابة! إن واقعنا اليوم هو شاهد حي على مصداق هذه الآية .فهل من معتبر؟

القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية الجهل المركب) البغي بعد العلم(: أخطر أنواع الجهل ليس هو عدم العلم، بل هو رفض الحق ورده عناداً وبغياً بعد معرفته .وهذه هي مشكلة الأمم التي تنحرف بعد أن تعرف.
.2قضية أسباب الصراع الديني والفكري: الآية تعطيك المنظار الحقيقي لتحليل صراعات التاريخ: إنها ليست صراعات فكرية بريئة، بل هي صراعات نابعة من "البغي" وحب الدنيا والرئاسة.
.3قضية الثنائية بين "اليقين" و"الشك": ربط الآية بين التفرق والوقوع في الشك، مما يجعلك تدرك أن الوحدة تولد اليقين، والفرقة تولد الشك والريب.
.4قضية سنن الله في الأمم: أن عاقبة البغي والظلم هي الذل والمهانة في الدنيا والآخرة، وهذه سنة ماضية ."إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا".

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة العلم العادل: العلم وحده لا يكفي، بل لا بد أن يقترن بالإنصاف والتجرد من الهوى .العلم مع الهوى هو علم قاد صاحبه إلى النار.
.2قيمة الوحدة ونبذ التفرق: وهي القيمة المركزية في الآية .فالوحدة فريضة شرعية، وهي صمّام أمان للمجتمع، وسبب لقوته وتماسكه.
.3قيمة التحذير من الغرور والكبرياء: فالبغي مصدره الكبر والتعالي .فيجب على المؤمن أن يطهر قلبه من هذه الآفات.
.4قيمة تجنب الجدل المذموم: الجدل الذي يقوم على التعصب للرأي لا لطلب الحق، هو الذي يؤدي إلى التفرق والبغي، وهو منهي عنه.

أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد التاريخي والعقدي: الآية تقدم لك تاريخاً مكثفاً للبشرية، وتلخص لك داء الأمم السابقة في كلمة واحدة: "بغياً".
.2البعد النفسي والاجتماعي: تفسر لك الآية السلوك الإنساني المنحرف) لماذا يرفض الإنسان ما هو خير له؟ (وتكشف عن آلية انتقال الشك عبر الأجيال.
.3البعد التربوي: إنها تقدم منهجاً للتربية على اليقين، بالابتعاد عن مسببات التفرق والبغي.
.4البعد الحضاري: تحذرك من أن أي حضارة لا تقوم على العدل والإنصاف، بل على البغي والظلم، هي حضارة تحمل بذور فنائها، وسينتهي بها الأمر إلى الذل والهوان.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم) مرض البغي(: أنه ليس مجرد خلاف عابر، بل هو مرض قلبي خبيث، يقوم على الظلم و الحسد وطلب العلو.
· مفهوم) دورة الاختلاف(: أن الاختلاف يولد اختلافاً، والفرقة تولد فرقة، والتنازع يورث شكاً وريباً ل لأجيال القادمة.
· مفهوم) الإمهال الإلهي(: أنه ليس دليل رضا، بل هو سنة من سنن الله، تنتهي بأخذ شديد.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية الضمير على الإنصاف: التدرب على قبول الحق من أي جهة جاء، ورده على النفس والهوى.
· تربية اللسان عن الخوض في الأعراض: الامتناع عن الجدل العقيم الذي يفرق القلوب.
· تربية الجيل الناشئ على الوحدة: تعليمهم تاريخ الأمة بجانبه المشرق الوحدوي، وتحذيرهم من قصص التفرق.

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان سليم الصدر: إنسان يعرف الحق فيتبعه، ويسلم قلبه للمؤمنين، ولا يحمل غلا ً ولا حسداً لأحد.
.2بناء مجتمع شوريّ متعاون: المجتمع الذي يقوم على "وأمرهم شورى بينهم" هو المجتمع الذي علاج التفرق، لأنه يحترم الآراء ويغلق أبواب البغي.
.3بناء حضارة العدل واليقين: حضارة إسلامية تعيد للإنسان يقينه وثقته بربه، بعد أن تاه في متاهات الشك، وتقدم للعالم نموذجاً للاجتماع على الحق، لا التفرق عليه.

ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نتعظ. ألا نكون نسخة مكررة من الأمم السابقة. ألا نختلف ونتفرق بعد أن جاءنا العلم والقرآن والنبي الخاتم. يريدنا أن نكون أمة واحدة، وأن ننبذ البغي والحسد والظلم. يريدنا أن نحذر من الشك والريب، ونثبت على اليقين. يريدنا أن نفهم أن ذلنا اليوم هو نتيجة مباشرة لاختلافنا وتنازعنا، وأن عزتنا مرهونة بوحدتنا تحت راية التوحيد.

كيف نعيش هذه الآية عملياً؟

.1طهر قلبك من "البغي": هذه هي النقطة الأولى .انظر في قلبك: هل تكره أحداً لأنه نال نعمة حرمتها أنت؟ هل ترفض رأياً صحيحاً فقط لأنه صدر من شخص لا تحبه؟ هل تحب الظهور والغلبة في كل جدال؟ طهّر قلبك من هذه الآفات .سامح إخوانك، والتمس لهم الأعذار.
.2احذر التعصب لأشخاص أو أحزاب على حساب الحق: أحب الحق، لا تحب فلاناً وفلاناً فقط .إذا رأيت الحق مع غير حزبك أو جماعتك، فلا ترفضه .كن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
.3كن جندياً في معركة الوحدة الإسلامية: لا تنشر كلاماً يفرق .لا تشترك في جدال عقيم على وسائل التواصل .ازرع فيمن حولك حب الصحابة جميعاً، وحب العلماء العاملين .كن أنت التجسيد العملي للمؤمن الذي يألف ويؤلف.
.4تعاهد إيمانك لتحارب الشك: عندما ترى تنازع المسلمين، وترى كثرتهم واختلافهم، قد تهاجمك الشكوك .هنا، تذكر هذه الآية .هذا الاختلاف ليس لقوة دينهم، إنما هو "بغياً من بينهم" بعد أن جاءهم العلم .فاثبت أنت على اليقين، واجعل كتاب الله وسنة رسوله هو ميزانك الوحيد.
.5لا تحزن على حال الأمة حزناً مقعداً، بل حزناً محفزاً: تحسر على ما نحن فيه، ثم انهض .أصلح ما استطعت في دائرتك .صل رحمك، أحسن لجارك، ربِّ أبناءك، فكل قطرة إصلاح تذوب جبلا ً من فساد التفرق.

أيها الحبيب في الله، لقد وضع القرآن يدك على الداء والدواء. الداء هو البغي والتفرق، والدواء هو اليقين والوحدة لله. فاختر لنفسك أي الطريقين تسلك. واعلم أن نهاية طريق البغي إلى ذل وهوان، ونهاية طريق الوحدة إلى عزة وتمكين.

المبحث الثالث

أيها السائر على درب الدعوة، والمتشوق لمعرفة معالم الطريق، ها نحن نعود لنقف معاً على أعتاب آية عظيمة من سورة الشورى، آية تمثل دستوراً كاملا ً للداعية والقائد وكل مؤمن. إنها الآية الخامسة عشرة، التي تحمل في طياتها عشرة توجيهات إلهية مستقلة، كل منها يمثل ركيزة أساسية في بناء الشخصية المسلمة وفي قيادة الأمة نحو العزة والتمكين.

يقول الله تعالى:
﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: 15)

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي خطاب مباشر من الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى كل من يسير على دربه في الدعوة إلى الله. لقد جاءت هذه التوجيهات بعد أن بين الله حال الأمم السابقة التي تفرقت واختلفت من بعد ما جاءها العلم بغياً بينهم. وكأن الله يقول لنبيه: "يا محمد، بعد أن عرفت ما حدث للأمم السابقة من تفرق بسبب البغي، هاك المنهج الذي تعصم به نفسك ومن اتبعك من هذا المصير". إنها الوقاية الإلهية من داء الفرقة والانحراف. دعنا نغوص في أعماق هذه الآ ية، ونستخرج دررها، ونجعل منها نوراً لحياتنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معاً إلى:

.1فهم الأسس التي تقوم عليها الدعوة الصحيحة: أن ندرك أن دعوة الحق لا بد أن تستند إلى الوحي والعلم، لا إلى الأهواء والمصالح الشخصية.
.2إدراك أهمية الاستقامة والتطابق بين العلم والعمل: أن نفهم أن نجاح الدعوة مرهون باستقامة الداعي على المنهج الذي يدعو إليه.
.3استيعاب قواعد التعامل مع المخالفين: أن نتعلم كيف نواجه المعاندين وكيف نتعايش معهم دون تفريط في الدين.
.4فهم مفهوم القيادة العادلة: أن نعرف أن قيادة المسلمين للبشرية تقوم على العدل ونبذ التعصب.
.5التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نواجه الانقسامات والخلافات في واقعنا المعاصر بهذه التوجيهات الربانية.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ) وأهمية تأسيس الدعوة على الوحي والعلم

تبدأ الآية بالفاء التي تفيد التعليل والربط. "فلذلك" أي فلأجل ذلك الذي أوحينا إليك من الآيات و البيّنات والأحكام والتوحيد، فادعُ الناس إليه. هذه الفاء تربط هذا التوجيه بكل ما سبق من الآيات التي تحدثت عن الوحي ووحدة الرسالات وإقامة الدين. فكأن الله يقول لنبيه: "بعد كل هذا البيان وهذا العلم الذي آتيناك، انطلق وادعُ".

لماذا كان التأسيس على الوحي والعلم ضرورياً؟
إن كل فكرة أو دعوة لا تقوم على علم من كتاب الله، ولا تستند إلى وحي صحيح، هي فكرة شيطانية مآلها الانحراف والضلال. فالداعية الناجح هو الذي يستمد أفكاره وتصوراته من كتاب الله وسنة رسوله، لا من الأهواء الشخصية ولا من المذاهب الأرضية. إن دعوته للناس يجب أن تكون قائمة على أساس التوحيد، مقرونة بالإخلاص لله وحده.

علاقة هذا التوجيه بمواجهة الانقسام والاختلاف:
إن الداء الذي أصاب الأمم السابقة وأسقط حضاراتها هو التفرق والبغي. والعلاج الذي يقدمه الله هنا يبدأ من "العلم". فالدعوة التي تقوم على الجهل أو على الأهواء هي دعوة تزيد الأمة تمزيقاً. أما الدعوة القائمة على العلم واليقين فهي التي تجمع الكلمة وتوحد الصف. لذلك، أمر الله نبيه أن تكون دعوته قائمة على هذا الأساس المتين، لتكون عصمة له ولمن اتبعه من التفرق والانقسام.

اللمسات البيانية والبلاغية:
الإشارة بـ "ذلك" إشارة للبعيد، تفيد تعظيم المشار إليه، وهو الوحي والقرآن والتوحيد. فكأنه يقول: "فلأجل ذلك الأمر العظيم الشأن، فادعُ".

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنح الداعية ثقة عظيمة .فهو لا يدعو من فراغ، ولا من عند نفسه، بل يستند إلى رصيد هائل من الوحي والعلم .هذا يملأ قلبه يقيناً وطمأنينة.
· الرسالة التربوية: إنها تعلمنا أن أول خطوة في الإصلاح ومواجهة الانقسام هي تأسيس الدعوة على العلم الشرعي الصحيح .لا تنشغل بمحاربة المنحرفين قبل أن تتسلح بالعلم.
· الرسالة العملية: لا تنطلق للدعوة قبل أن تتزود بزاد العلم .كن طالب علم أولاً، ثم كن داعية . واجعل كل فكرة تتبناها أو تدعو إليها موثقة من كتاب الله وسنة رسوله.

المحور الثاني: دلالة قوله (وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) وأهمية المطابقة بين العلم والعمل

بعد الأمر بالدعوة، يأتي الأمر بالاستقامة. إنه التوجيه الثاني في هذه الآية الجامعة.

ما معنى الاستقامة؟
الاستقامة هي أعلى مراتب الدين. وهي أن يلتزم العبد بأوامر الله ويجتنب نواهيه، ظاهراً وباطناً. وقوله "كما أمرت" يعني وفق ما أمرك الله، لا تزيد ولا تنقص، ولا تتجاوز ولا تقصر. إنها الدعوة إلى الكمال البشري الممكن، حيث يكون العلم مطابقاً للعمل. فأنت تدعو إلى شيء، وأولى الناس بالاستقامة عليه هو أنت. هذه الاستقامة هي العصمة من كل ما يضرك في دنياك وآخرتك.

لماذا تأتي الاستقامة بعد الدعوة مباشرة؟
لأن الداعية الذي يدعو الناس إلى الله ولا يستقيم على أمره، هو أول الفاشلين وأول الزائغين. إنه ك السراج الذي يضيء للآخرين ويحرق نفسه. وكما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾. فالاستقامة هي الترجمة العملية للعلم الذي تدعو إليه. وبدونها، تتحول الدعوة إلى نفاق وعياذاً بالله.

اللمسات البيانية والبلاغية:
"كما أمرت" تشير إلى أن الاستقامة ليست بالرغبات والاجتهادات المجردة، بل هي التزام بما أمر الله به في كتابه. وهذا يغلق الباب أمام البدع والانحرافات التي تأتي تحت شعار الدين.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلبك هيبة ورهبة .أنت مأمور بالاستقامة على صراط مستقيم، وهذا أمر ليس بالهين .إنه يتطلب منك مجاهدة دائمة ومراقبة مستمرة لله .وهذا الشعور يجعلك دائم التوبة وا لإنابة.
· الرسالة التربوية: الاستقامة هي الدرس التربوي الأعظم .أن يكون فعلك ترجمة لقولك .أن تكون قدوة قبل أن تكون داعية .ربِّ نفسك أولا ً بالاستقامة، ثم اخرج لتربية الناس.
· الرسالة العملية: انظر إلى حياتك .أين أنت من الاستقامة على أمر الله في أخلاقك، في معاملاتك، في عباداتك؟ اجعل لنفسك برنامجاً للمراجعة اليومية، وقف مع نفسك كل ليلة، واسألها: "هل استقمت اليوم كما أمرني ربي؟".
المحور الثالث: دلالة قوله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) وخطورة المداهنة في الدين

هذا هو التوجيه الثالث، وهو تحذير من أخطر الآفات التي قد تصيب الداعية والقائد. بعد أن أمره بـ الدعوة والاستقامة، نهاه عن اتباع أهواء المعرضين.

لماذا هذا النهي هنا؟
لأن الداعية، عندما يباشر دعوة الناس، سيواجه ضغوطاً من أهواء المخالفين ورغباتهم. فالكفار و المشركون يريدون من الداعية أن يغير شيئاً من دينه ليرضيهم. وقد كان المشركون يحاولون مع النبي صلى الله عليه وسلم أن يلين في بعض أحكام الدين أو أن يطرد ضعفاء المؤمنين من مجلسه ليجلسوا معه. فجاء هذا النهي القاطع: لا تفعل! لا تراعِ مشاعرهم ورغباتهم المنحرفة على حساب دين الله. إن اتباع أهوائهم هو بداية الزيغ والانحراف.

الفرق بين مراعاة مشاعر الناس واتباع أهوائهم:
مراعاة المشاعر تكون في الرفق واللين في الدعوة، وفي اختيار الأسلوب المناسب. أما اتباع الأهواء فهو التنازل عن شيء من أحكام الدين أو مبادئه إرضاءً للمخالفين. وهذا هو الخط الأحمر الذي لا يمكن تجاوزه. فلا ينبغي للداعية أن يبدل حكماً شرعياً، أو يخفي آية، أو يجامل في باطل، استجابة لضغوط الجمهور أو السلطان.

اللمسات البيانية والبلاغية:
النهي بصيغة "لا تتبع" وهو نهي للرسول، وفيه نهي لكل مؤمن. وتخصيص الأهواء بالذكر فيه إشارة إلى أن مصدر الانحراف ليس مجرد أفكار، بل هو هوى النفس ورغباتها.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنحك جرأة الحق .لا تخف من غضب الناس إذا كنت على صواب .إن إرضاء الله هو الغاية، وليس إرضاء الخلق .هذا التوجيه يعطيك قوة وصلابة في مواقف الابتلاء.
· الرسالة التربوية: إنها تربيك على الثبات على المبادئ .في زمن الفتن، حيث تتغير المفاهيم وتختلط الأمور، كن ثابتاً على الحق، ولا تنجرف مع التيارات المنحرفة مهما كانت جاذبيتها.
· الرسالة العملية: عندما تواجه موقفاً يطلب منك فيه التنازل عن شيء من دينك، تذكر هذه الآية .قل لنفسك: "لا أستطيع أن أتبع أهواءهم، فأنا عبد لله وحده".

المحور الرابع: دلالة قوله (وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ) وأهمية الإعلان والبراءة

هذا هو التوجيه الرابع. إنه إعلان واضح وصريح بالإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله. هذا الإعلا ن ليس مجرد اعتراف، بل هو موقف عقدي وسياسي.

ماذا يعني هذا الإعلان؟
يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلن إيمانه بكل ما أنزل الله من كتب سابقة، وهذا من صميم عقيدة المسلم. ولكن هذا الإعلان ليس اعترافاً بما حرفه اليهود والنصارى، بل إيمان بالأصل الذي أنزله الله. وفي هذا الإعلان:

· إزالة للتعصب: فأنت تؤمن بأنبيائهم وكتبهم الأصلية، وهذا يدعوهم للإيمان بنبيك وكتابك.
· بيان للصلة القائمة بين المؤمنين: فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بما أنزل الله من كل كتاب.
· تمهيد للبراءة: فهو إعلان أن إيماننا بما أنزل الله من كتاب هو المقياس، وليس ما عندكم من تحريفات.

اللمسات البيانية والبلاغية:
الأمر بـ "قل" يشير إلى أن هذا الإعلان لا بد أن يكون جهرياً واضحاً، وليس مجرد عقيدة في القلب. إنه موقف يعلن ويُدعى إليه.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنحك شعوراً بالانتماء إلى أمة الكتاب، وتوسع أفق تفكيرك، وتجعلك تشعر بـ الصلة مع كل من آمن بالأنبياء السابقين.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يحترموا أصل الكتب السماوية، وأن يعتقدوا بتحريف ما عند أهل الكتاب، دون أن يكرهوا أنبياءهم.
· الرسالة العملية: في حوارك مع أهل الكتاب، ابدأ من نقاط الاتفاق: "نحن نؤمن بما أنزل الله من كتاب، وهذا هو الأصل الذي يجمعنا" .إنها نقطة انطلاق رائعة للحوار.

المحور الخامس: دلالة قوله (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) وقيادة العدل ونبذ التعصب

هذا هو التوجيه الخامس، وهو من أعظم ما في الآية. إنه إعلان عن طبيعة القيادة الإسلامية وطبيعة الحكم بين الناس.

ما هو العدل المأمور به؟
العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه. والعدل الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم هو العدل بين جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، عربيهم وأعجميهم. إنه العدل الذي لا يميز بين الناس على أساس اللون أو النسب أو الدين. إن القيادة الإسلامية ليست قيادة تعصب وعنصرية، بل هي قيادة عدل ورحمة للعالمين. وكما قال الله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

كيف نواجه بهذا التوجيه العصبية والانقسام؟
إن العصبية للجنس أو اللون أو القبيلة هي من أكبر أسباب التفرق والانقسام. وهذه الآية تهدم هذه العصبية من الأساس. إنها تجعل العدل هو الحاكم. فالمؤمنون هم قادة البشرية، ولكن قيادتهم تقوم على ضابط رباني هو العدل، لا على البغي والظلم. وهذا هو الفرق بين قيادة الأنبياء وورثتهم، وقيادة الطغاة والمستبدين.

اللمسات البيانية والبلاغية:
قوله "وأمرت لأعدل" بصيغة البناء للمجهول، فيه إشارة إلى أن الآمر هو الله، فهو القائد الأعلى، و النبي هو المنفذ. وهذا يغلق باب الاستبداد، فالقائد لا يحكم بهواه، بل بأمر الله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنح المؤمن شعوراً بالكرامة والمسؤولية .أنت في موقع القيادة، ولكن قيادتك مقيدة بالعدل.
· الرسالة التربوية: ربِّ نفسك ومن حولك على العدل، حتى مع من تكره .كن عادلا ً في حكمك على الناس، وفي تقييمك لأعمالهم، وفي معاملاتك معهم.
· الرسالة العملية: إذا كنت في موقع مسؤولية، سواء في عملك أو أسرتك، فاجعل العدل هو ديدنك . لا تميز أحداً على أحد إلا بالحق، ولا تظلم أحداً بسبب عداوة شخصية.

المحور السادس: دلالة قوله (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) والإعلان بالربوبية المشتركة

هذا هو التوجيه السادس. إنه إعلان توحيدي عظيم، يجمع بين الإثبات والبراءة.

ماذا يعني هذا الإعلان؟
يعني أن الله هو ربنا وربكم، هو الخالق والرازق والمدبر للجميع. هذا الإعلان يذكرهم بأنهم وإيانا عبيد له، وأنه المستحق للعبادة وحده. إنه يرسخ مبدأ المساواة أمام الله في الربوبية والخلق. وفي نفس الوقت، هذا الإعلان هو بداية البراءة من شركهم وعبادتهم لغيره.

ما هو الأثر النفسي لهذا الإعلان؟
إنه يزيل من قلب المؤمن أي شعور بالدونية أو الخوف من الآخرين. فالله هو رب الجميع، وهو الذي بيده مقاليد الأمور. فلماذا تخاف منهم أو تذل لهم؟ هذا الإعلان يمنح المؤمن قوة واستعلاء بالحق.

اللمسات البيانية والبلاغية:
تقديم "ربنا" على "ربكم" فيه إشارة إلى أن المؤمنين هم الأولى بالانتساب إلى الله، وهم الذين يعرفون حقيقة ربوبيته ويفردونه بالعبادة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تجعلك تشعر بأنك وإياهم في ملكوت الله سواء، وأن الفارق هو الإيمان والعمل الصالح .هذا الشعور يريحك من عقدة النقص أمام قوة الكافرين.
· الرسالة التربوية: إنها تربيك على التواضع في التعامل مع المخالفين .أنتم لستم آلهة، وهم ليسوا شياطين .الكل عبيد لله.
· الرسالة العملية: في حوارك مع المخالفين، ابدأ بتذكيرهم بهذه الحقيقة المشتركة: "نحن جميعاً عبيد لله، ونتنفس من هوائه، ونأكل من رزقه .فلماذا لا نعبده وحده؟".

المحور السابع: دلالة قوله (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) ومبدأ المسؤولية الفردية وعدم الإكراه

هذا هو التوجيه السابع. إنه إعلان قاعدة المسؤولية الفردية، وقطع الطريق على أي إكراه في الدين.

ما معنى هذا الفصل؟
معناه: نحن لنا أعمالنا التي سنحاسب عليها، وأنتم لكم أعمالكم التي ستحاسبون عليها. وهذا يعني أن كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا تزر وازرة وزر أخرى. وهذا يبين أن الدعوة إلى الإسلام لا تقوم على الإكراه، فليس للمسلمين أن يجبروا أحداً على اعتناق دينهم. وفي نفس الوقت، هي براءة من أعمال المشركين الفاسدة، فنحن لا نتحمل وزركم، وأنتم لا تتحملون أجرنا. إنه إعلان انفصال تام من حيث المسؤولية والجزاء.

اللمسات البيانية والبلاغية:
التقديم والتأخير: "لنا أعمالنا" فيه تعجيل بالبراءة وتأكيد على أن المؤمنين ثابتون على أعمالهم الصالحة، ثم ذكر "ولكم أعمالكم" للإشارة إلى أنهم متروكون وما اختاروا لأنفسهم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تريح المؤمن من هاجس "إجبار الناس على الهداية" .أنت أديت ما عليك، فلا تحزن على من ضل بعد البيان، واشتغل بنفسك وإصلاحها.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك المسؤولية الفردية .كل واحد سيحاسب على عمله، فلا يظنن أحد أن نسبه أو قبيلته ستغنيه.
· الرسالة العملية: في دعوتك للناس، اشرح لهم هذا المبدأ .لا تضغط عليهم، بل ادعُ بالحكمة و الموعظة الحسنة، واترك الباب مفتوحاً للاختيار الحر.
المحور الثامن: دلالة قوله (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) وقطع الجدل العقيم

هذا هو التوجيه الثامن. إنه إعلان واضح بأن باب الجدل والمراء قد أغلق.

ما معنى "لا حجة بيننا وبينكم"؟
أي لم يعد هناك مجال للاحتجاج والخصام بعد هذا البيان الواضح وظهور الحق. فالحق قد وضح، و الباطل قد انكشف. الجدل بعد ذلك لا معنى له. وهذا لا يعني التوقف عن الدعوة، بل يعني التوقف عن الدخول في سجالات عقيمة ليس لها نهاية. فطالما أنهم يجادلون بالباطل عناداً وبغياً، فلا فائدة من الجدل معهم. إنها دعوة للتعايش بعد وضوح الحجة، وترك الحكم لله.

لماذا ينهى عن الجدل هنا؟
لأن هؤلاء القوم لا أمل في صلاحهم بالجدل، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. فإذا كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه وهم يعلمون، فما الفائدة من الجدل معهم؟

اللمسات البيانية والبلاغية:
"لا حجة" نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم. أي لا توجد أي حجة أو دليل يمكن أن يحتج به بعد هذا البيان. الحق أبلج والباطل لجلج.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تريحك من عبء الجدل العقيم الذي يستنزف طاقتك .ركز على من يريد الحق، واترك المعاندين.
· الرسالة التربوية: لا تجعل مناظراتك مع المخالفين هدفاً بحد ذاتها .إذا رأيت أن الطرف الآخر لا يريد الحق بل يريد الانتصار لنفسه، فأنهِ الحوار بأدب.
· الرسالة العملية: في زمن وسائل التواصل، حيث يكثر الجدل والمراء، طبق هذه الآية .لا تنجر إلى سجالات لا تنتهي .ضع حجتك، فإن قبلوها فنعم، وإن رفضوها فاتركهم وشأنهم.

المحور التاسع: دلالة قوله (اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) وتفويض الأمر إلى الله يوم القيامة

هذا هو التوجيه التاسع. بعد أن أعلن قطع الجدل، فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمر الحكم النهائي إلى الله.

ماذا يعني هذا الجمع؟
يعني أن الله سيجمع بين الفريقين في المحشر، وسيجمع بين الحق والباطل ليفصل بينهما، وسيجمع بين أعمال كل فريق ليجازي عليها. إنها طمأنة للمؤمنين، وتهديد للكافرين. فلا تقلقوا، هناك يوم حساب قادم، يظهر فيه المحق من المبطل.

اللمسات البيانية والبلاغية:
استخدام "اللّه" الظاهر بدلا ً من الضمير، تعظيم لهذا الجمع والفصل. إنه الله العظيم الذي لا يغفل و لا ينسى.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلب المؤمن سكينة وثقة .حتى لو انتصر الباطل في الدنيا، فإن النصر النهائي للحق يوم القيامة .هذا المنظور يجعلك صبوراً محتسباً.
· الرسالة التربوية: ربِّ نفسك على أن تنظر إلى الأمور بعين الآخرة .ما يحدث في الدنيا من جور وظلم ليس نهاية المطاف .علم أبناءك هذا المفهوم.
· الرسالة العملية: عندما تقع في خصام مع أحد، وترى الحق معك، فوض أمرك لله .قل: "الله يجمع بيننا"، وامضِ في طريقك مطمئناً.

المحور العاشر: دلالة قوله (وَإِلَيْهِ المَصِيرُ) وختم الآية باسم المصير

وهذا هو التوجيه العاشر والأخير، وهو خاتمة الآية. إنها الجملة التي تربط كل ما سبق بالغاية النهائية.

ماذا يعني "وإليه المصير"؟
أي أن رجوع الخلائق جميعاً يكون إلى الله وحده، لا إلى غيره. فهو المرجع والمآل. هذه الخاتمة تجعل قلبك متعلقاً باللّه في كل خطوة من خطوات الدعوة. أنت تدعو إليه، وتستقيم لأمره، وتعلن التوحيد، وتعدل لوجهه، وتفوض الأمر إليه، وترجع إليه. إنها خاتمة توحد البوصلة، وتربط أول الآية بآخرها. الدعوة بدأت من الله، والمصير سيعود إليه.

اللمسات البيانية والبلاغية:
إنها خاتمة تليق بسياق الآية. بعد أن تحدثت الآية عن توجيهات متعددة، جاءت هذه الخاتمة لتجمعها كلها في غاية واحدة: المصير إلى الله. أسلوب القصر بتقديم "وإليه" يفيد أن المصير إليه وحده لا

إلى غيره.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الخاتمة تمنحك شعوراً بالاطمئنان الكامل .مهما كانت الصعاب، ومهما كانت التحديات، فإن النهاية محسومة: إلى الله وحده .هذا الشعور يبدد القلق، ويجعلك تعمل لله وحده.
· الرسالة التربوية: عش حياتك بهذه النهاية نصب عينيك .في كل عمل تعمله، تذكر: "وإليه المصير" . هذا يجعلك تتقن عملك وتحتسبه لله.
· الرسالة العملية: اجعل هذه الجملة "وإليه المصير" شعاراً لحياتك .عندما تبدأ عملا ً، قل: "بسم الله، وإليه المصير" .عندما تواجه صعوبة، قل: "صبْراً، وإليه المصير" .عندما تنتصر، قل: "الحمد لله، وإليه المصير".
القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية منهجية الدعوة والقيادة: هذه الآية هي دستور كامل للداعية والقائد، تبدأ بالدعوة على بصيرة، وتنتهي بالتسليم لله.
.2قضية مواجهة الانقسام والتفرق: قدمت الآية العلاج للداء الذي أصاب الأمم السابقة، وهو البغي و التفرق، من خلال العلم والاستقامة والعدل ونبذ الأهواء.
.3قضية التعامل مع المخالفين: نظمت الآية العلاقة مع المخالفين والمعاندين، من خلال الدعوة، و البراءة، وعدم الإكراه، وقطع الجدل العقيم، وتفويض الأمر لله.
.4قضية الاستبداد وعلاجه بالعدل: بتقديم نموذج القيادة العادلة التي لا تحكم بالهوى ولا بالتعصب و لا بالشهوة.

القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة العلم أساساً للدعوة: لا دعوة بدون علم، ولا علم بدون إخلاص واتباع للوحي.
.2قيمة الاستقامة والمطابقة بين القول والعمل: الداعية قدوة قبل أن يكون ناطقاً.
.3قيمة الثبات على المبادئ وعدم المداهنة: لا يجوز التنازل عن الحق إرضاءً للخلق.
.4قيمة العدل ونبذ التعصب: الحكم بين الناس بالعدل، لا بالعصبية للجنس أو اللون أو الدين.
.5قيمة المسؤولية الفردية: كل إنسان محاسب على عمله.
.6قيمة الصبر وتفويض الأمر لله: النصر النهائي للحق ولو بعد حين.
أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة التوحيد، والإيمان بالكتب، والربوبية المشتركة، والمصير إلى الله.
.2البعد الاجتماعي والسياسي: تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين الأكثرية والأقلية، على أساس العدل والمسؤولية الفردية.
.3البعد الدعوي والقيادي: تقديم منهج متكامل للداعية في دعوته وأخلاقه ومواقفه.
.4البعد التربوي والنفسي: بناء الشخصية المسلمة القوية المتوازنة، التي تثق بربها وتستقيم على أمره وتصبر على الأذى.
أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم تلازم العلم والدعوة: لا تنطلق إلى الدعوة قبل أن تتزود بالعلم.
· مفهوم الاستقامة كترجمة للعلم: أن تكون قدوة في تطبيق ما تعلمته.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية اللسان على الإعلان بالحق: بالدعوة والإيمان.
· تربية القلب على التسليم لله: في الأحكام وفي المصير.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم البراءة من المشركين وأعمالهم: دون أن يصل ذلك إلى الإكراه أو الظلم.
· مفهوم الصبر والثبات: من خلال تفويض الأمر لله.

**دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان رباني متوازن: يجمع بين العلم والعمل، ويدعو إلى الله على بصيرة.
.2بناء مجتمع عادل متعاون: يلتزم فيه القادة بالعدل، ويلتزم فيه الأفراد بالمسؤولية.
.3بناء حضارة عالمية رحيمة: حضارة تقوم على الدعوة بالحكمة، وتتعايش مع المخالفين بعدل وإحسان، وتفوض أمرها لله.

*ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون الدعاة المصلحين. أن نتعلم العلم أولا ً، ثم ندعو إليه. أن نستقيم على أمره، ولا نتبع أهواء المخالفين. أن نعلن إيماننا بكل ما أنزل الله، وأن نعدل بين الناس، وألا نجعل الخلا فات مدعاة للتعصب والبغي. يريدنا أن نقطع الجدل العقيم، ونفوض الأمر إليه، مستيقنين أن المصير إليه وحده.

كيف نعيش هذه الآية عملياً؟

.1اجعل العلم أساساً لكل خطوة: إذا كنت لا تعلم حكماً، فاسأل العلماء قبل أن تتصدر للدعوة.
.2راجع استقامتك كل ليلة: قف مع نفسك واسألها: "هل استقمت اليوم كما أمرني ربي؟".
.3لا تتنازل عن دينك لأجل أحد: لا تجامل على حساب دينك.
.4اعدل مع الجميع: مع أهلك، مع زملائك، مع من تحب ومن لا تحب.
.5لا تجادل بالباطل: إذا رأيت جدلا ً عقيماً، فأنهه بأدب.
.6فوض أمرك لله: كلما ضاقت بك الدنيا، وأغلقت في وجهك الأبواب، فقل: "حسبي الله، وإليه المصير".

أيها العبد المؤمن، إن هذه الآية هي ميثاق الدعوة ودستور القيادة. هي توجيه نبوي رباني لكل من أراد أن يصلح في الأرض. اجعلها نبراساً في طريقك، وستصل إلى شاطئ الأمان والنجاة.

المقطع الثاني
القسم الاول
المبحث الاول
أيها العبد الفارّ إلى ربه، والمتشوق لمعرفة سننه في خلقه، ها نحن نعود لنقف معاً على أعتاب آية شديدة الوقع على القلوب، تحمل في طياتها تحذيراً ووعيداً، وترسم المشهد الأخير لمن اختاروا طريق الجدال والمحاجة في دين الله بعد أن استبان الحق واستجابت له الفطرة .لقد كشفت لنا الآيات السابقات عن داء الأمم السابقة وهو البغي والتفرق بعد العلم، ووضعت لنا منهج الدعوة والاستقامة و العدل .أما هذه الآية، فتكشف عن مصير أولئك الذين لم يكتفوا بالبغي، بل نصبوا أنفسهم خصوماً لله، يجادلون في دينه بعد أن وضح وانقشعت غشاوة الشك عنه .إنها الآية السادسة عشرة:

﴿وَالذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الشورى:(16)

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، ليست مجرد خبر عن قوم مضوا، بل هي إعلان إلهي عن المصير المحتوم لكل من سلك مسلكهم في كل زمان ومكان .إنها تصف حالة الذين يرون الحق بأعينهم، وتسمعه آذانهم، وتشهد بصحته فطرتهم، فلا يجدون ما يقولونه إلا الجدال بالباطل .إنها تكشف عن حقيقة هذا الجدال، وعن خاتمته، وعن مصير أصحابه في الدنيا والآخرة .دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، ونستخرج دررها، ونجعل منها سياجاً يحمي قلوبنا من أن تكون من أصحاب هذا المصير.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معاً إلى:

1.فهم طبيعة المحاجّة في الله بعد وضوح الحق: أن ندرك أن هذا الجدال ليس بحثاً عن الحقيقة، بل هو مكابرة وعناد وإرادة للإبقاء على الباطل.
2.استشعار خاتمة هذا الجدال: أن نوقن بأن كل حجة تقوم على الباطل هي "داحضة" خاسرة زائلة، لا تثبت يوم الحساب.
3.إدراك خطورة الغضب الإلهي: أن نعيش بوجداننا معنى "وعليهم غضب"، وأثره في الدنيا والآخرة.
4.التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نحمي أنفسنا من آفة الجدال بالباطل، وكيف نقف مع الحق في زمن تكثر فيه الشبهات والمحاجات.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله) وَالذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللهِ (وبيان طبيعة هذا الجدال

يبدأ الله هذه الآية بوصف فئة معينة: "الذين يحاجون في الله" .والمحاجة هي المجادلة والمنازعة بـ الحجة، أي أنهم يتكلفون إيراد الحجج والأدلة .لكن حججهم ليست لطلب الحق، بل لرده ودفعه .إنهم "يحاجون في الله"، أي في دين الله وتوحيده وشريعته، فيزعمون أن ما هم عليه من شرك وباطل هو الحق.

الفرق بين المحاجة المذمومة والجدال المحمود:
المحاجة هنا هي الجدال بالباطل بعد وضوح الحق .أما الجدال المحمود فهو الذي يكون بالتي هي أحسن، لدفع الشبهات وإظهار الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .فالفرق بينهما هو القصد والنية: الأول قصد به رد الحق، والثاني قصد به طلب الحق.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· استخدام الفعل المضارع "يحاجون" بدلا ً من "جادلوا" يفيد استمرارهم في هذا الفعل، وأنه ديدنهم.
· كلمة "في الله" تحمل معنى عظيماً، فهي تشير إلى أنهم يجادلون في ذات الله ووجوده وصفاته، وفي دينه الذي ارتضاه، وليس في مسألة فرعية هينة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تشعرك بشناعة هذا الفعل .أن يخاصم الإنسان ربه! أن يجادل في الحق الذي فطر الله الخلق عليه! إنه كمن يحاجج الشمس في طلوعها .هذا التصور يملأ القلب نفوراً من هذا المسلك.
· الرسالة التربوية: تعلمك هذه الآية أن تنتبه للبواعث التي تدفعك للجدال .عندما تجادل، اسأل نفسك: "هل أطلب الحق أم أريد الانتصار لرأيي وهواي؟" .فإن كان الجدال بعد وضوح الحق، فهو مذموم ومهلك.
· الرسالة العملية: لا تخض في جدال مع من يريد أن يحاج في دين الله، وقد استبان له الحق .فإن هذا الجدال لا يزيده إلا عماية، ولا يزيدك إلا ألماً وإحباطاً.

المحور الثاني: دلالة قوله) مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ (وتحديد زمن الجريمة

لقوله "من بعد ما استجيب له" أهمية بالغة في تحديد خطورة هذا الجدال .إنه ليس جدالا ً في زمن غموض وخفاء، بل هو جدال في زمن وضوح وظهور.

ما معنى "استجيب له"؟
"استجيب له" أي استجيب لله ولدينه ولرسوله .أي بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، وبعد أن قامت الأدلة القاطعة، وبعد أن شهدت القلوب والعقول بصدق الرسالة .في هذه اللحظة، وبعد أن أصبح الحق كالشمس في رابعة النهار، يأتي هؤلاء ليحاجوا فيه! إنهم لا يجادلون من موقف جاهل يطلب العلم، بل من موقف معاند مكابر، يريد أن يطفئ نور الله بأفواههم.

لماذا هذا التوقيت يزيد الجريمة بشاعة؟
لأن إنكار الحق بعد ظهوره هو قمة الجحود والظلم .فمن كفر بعد أن رأى الآيات، بخلاف من كفر قبل أن يصله البلاغ .إن هؤلاء قد قامت عليهم الحجة البالغة، فلم يبق لهم عذر .إنهم يشبهون إبليس الذي عصى ربه بعد أن رأى الآيات والمعجزات.

اللمسات البيانية والبلاغية:
بناء الفعل "استجيب" للمجهول، فيه إشارة إلى أن المستجيب هو خلق كثير، وأن الدعوة قد آتت ثمارها .وهذا يزيد من حماقة هؤلاء المحاجين؛ فهم يقفون في وجه تيار الحق الجارف.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا المعنى يريح قلب الداعية .إن وجود معاندين بعد نصرة الدين ليس دليلا ً على فشل الدعوة، بل دليلا ً على عظمة الجريمة التي يقترفها هؤلاء.
· الرسالة التربوية: إنها تحذرك من التسويف في قبول الحق .لا تكن ممن يؤخر التوبة والإيمان حتى تحيط به الذنوب من كل جانب، فيأتي ليجادل بعد فوات الأوان.
· الرسالة العملية: عندما تدعو إلى الله، ركز على من أقبلوا واستجابوا، ولا تهدر طاقتك في جدال المعاندين الذين يرون الحق ثم يرفضونه.

المحور الثالث: دلالة قوله) حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ (وبيان مصير الباطل

بعد أن وصف فعلهم، يأتي الحكم الإلهي القاطع: "حجتهم داحضة عند ربهم".

ما معنى "داحضة"؟
الداحضة هي الزائلة، الباطلة، الخاسرة، التي لا تثبت .فحججهم التي تعبوا في تركيبها وتنميقها، هي في ميزان الله لا شيء .إنها كالغثاء الذي يذهب جفاء، وكالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء ."عند ربهم" أي في حكم الله وفي الآخرة يوم يقفون للحساب .فهناك تظهر خسارتهم، وتتجلى هزيمتهم، ويتبين أنهم كانوا على باطل.

لماذا كانت حجتهم داحضة؟
لأنها قامت على الكذب والافتراء، وعلى الهوى والظلم .ولا يمكن لباطل أن ينتصر على حق، مهما زخرفوه .فالحق له البقاء والثبات، والباطل زاهق محكوم عليه بالزوال.

اللمسات البيانية والبلاغية:
وصف الحجة بأنها "داحضة" فيه استعارة حسية، فكأن الحجة قدم تزل وتزلق فلا تثبت على صخر . وقوله "عند ربهم" فيه تهديد ووعيد، فالعبرة ليست بما يرونه هم أو يراه أتباعهم، بل بما يراه الله ويحكم به.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا تثبيت عظيم للمؤمن .لا ترهبك حجج الباطل وأهله، ولا تخدعك زخرفتهم . ففي ميزان الله هم خاسرون .هذا يملأ قلبك ثقة بالحق الذي أنت عليه.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن قيمة الرأي ليست في فصاحته، بل في مطابقته للحق .فالرأي الباطل يبقى باطلا ً ولو زخرف بألفاظ براقة.
· الرسالة العملية: لا تنبهر ببراعة المحاجين بالباطل .انظر إلى الحقائق والمبادئ، لا إلى فصاحة اللسان وقوة الحجة الظاهرية.

المحور الرابع: دلالة قوله) وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (وبيان العقوبة المركبة

وهنا يصل بنا المشهد إلى خاتمته المرعبة .بعد أن بطلت حجتهم، تأتي العقوبة الإلهية على ثلاثة مستويات متتالية، كل واحدة منها أشد من سابقتها:

أولا ً: "حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ": هذه عقوبة معنوية فكرية .في الدنيا، يفتضح باطلهم، وفي الآخرة، يخزون ويفضحون.

ثانياً: "وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ": الغضب أشد من مجرد العقوبة؛ إنه إعلان السخط الإلهي عليهم، وطردهم من رحمته .وهذا الغضب يبدأ في الدنيا بالذلة والمهانة والطبع على القلوب، ويلازمهم في البرزخ والآخرة . إنه أشد أنواع العقاب النفسي؛ لأن العبد إذا أحس أن سيده غاضب عليه، كان ذلك أشد عليه من الضرب.

ثالثاً: "وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ": وهذه هي العقوبة الجسدية المادية في نار جهنم ."شديد" أي بالغ الغاية في القسوة والألم، لا ينقطع ولا يخفف.

لماذا تدرجت العقوبات بهذا الشكل؟
ليعلم الناس أن جريمة المحاجة في الله بعد وضوح الحق هي من أعظم الجرائم .إنها ليست مجرد خطأ، بل هي جريمة تستوجب سلسلة متكاملة من ألوان العذاب: الفضيحة) حجتهم داحضة(، فالطرد والسخط) غضب(، فالعذاب الجسدي) عذاب شديد.(

اللمسات البيانية والبلاغية:
الجملتان "عليهم غضب" و"لهم عذاب شديد" جاءتا اسميتين، مما يفيد الثبوت والدوام .فالغضب ثابت عليهم دائم، والعذاب لهم مستقر أبدي.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: عند سماع هذا الوعيد، ينخلع قلب المؤمن خوفاً من أن يكون قد وقع في شيء من هذا .هذا الخوف الصحي يدفعك لمراجعة نفسك وتصحيح مسارك .وفي نفس الوقت، يمنحك طمأنينة بأن أعداء الله لن يفلتوا من عقابه.
· الرسالة التربوية: استخدم أسلوب الترغيب والترهيب في تربية نفسك وأهلك .كما ترجو رحمة الله، خف من غضبه وعذابه .هذا التوازن هو الذي يصنع الشخصية المؤمنة السوية.
· الرسالة العملية: إذا رأيت من يجادل في دين الله بغير حق، فحذره من هذا المصير برفق ولين . واذكر له هذه الآية عسى أن تكون رادعاً له.

القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية الجحود والعناد بعد وضوح الحق: هذه هي القضية المركزية التي تفضحها الآية وتكشف عن خاتمة أصحابها.
.2قضية الصراع بين الحق والباطل: الآية تؤكد أن هذا الصراع محسوم لصالح الحق في النهاية، وأن حجج الباطل زائلة.
.3قضية العدالة الإلهية: إظهار أن الله لا يظلم الناس شيئاً، وأن إمهاله للمبطلين ليس إهمالا ً، بل عقوبتهم آتية لا محالة.
.4قضية المنهج في الدعوة: أن على الداعية أن يركز على المستجيبين، ولا يضيع وقته في جدال المعاندين بعد قيام الحجة عليهم.

*القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة التسليم للحق عند ظهوره: وهي القيمة العليا في الآية .فالمؤمن الحق هو الذي إذا تبين له الحق سارع إليه، لا الذي يحاج فيه.
.2قيمة تجنب الجدال المذموم: البعد عن الجدال الذي يقوم على الهوى والتعصب، والذي يكون بعد وضوح الحق.
.3قيمة الخوف من الله: استشعار غضب الله وعذابه، مما يدفع للعمل الصالح وترك المعاصي.
.4قيمة الثقة بنصر الله: الاعتقاد الجازم بأن حجج الباطل داحضة، وأن المستقبل لهذا الدين.

أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: ترسيخ الإيمان بعدالة الله، وأنه لن يضيع عمل عامل، وأنه سينتقم للمؤمنين من أعدائهم.
.2البعد الأخلاقي: التحذير من رذيلة الجدال بالباطل، والدعوة إلى فضيلة التسليم للحق والتواضع له.
.3البعد الدعوي: وضع منهج للداعية في التعامل مع المعاندين، وهو ترك الجدال العقيم والتركيز على من يطلبون الحق.
.4البعد النفسي: تقديم علاج نفسي للمؤمن الذي قد يصاب بالإحباط من كثرة الشبهات، بتذكيره بأن حجج الباطل زائلة، وأن العاقبة للمتقين.

أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم) المحاجة المذمومة(: وهي المجادلة في دين الله بعد وضوح الحق.
· مفهوم) دحض الحجة(: أن الباطل لا يمكن أن يثبت أمام الحق في الميزان الإلهي.
· مفهوم) الغضب الإلهي(: أنه عقوبة معنوية أشد من العقوبة المادية.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النفس على المسارعة لقبول الحق: وعدم التردد فيه.
· تربية اللسان على ترك الجدال بالباطل: والاشتغال بما ينفع.
· تربية القلب على الخوف من غضب الله: والطمع في رحمته.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الراحة النفسية بترك الجدال العقيم: لأنك تكون قد فوضت الأمر لله.
· مفهوم الأمل في المستقبل: لأن الباطل مهما قوي، فهو داحض عند الله.

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان متواضع للحق: إنسان همه الوحيد هو الوصول إلى الحق واتباعه، لا الانتصار لرأيه وهواه.
.2بناء مجتمع حواري سليم: مجتمع يقوم الحوار فيه على طلب الحق بالحكمة، لا على المكابرة و العناد.
.3بناء حضارة علم وإيمان: حضارة تنبذ الجدال العقيم، وتشجع على طلب الحق بالبرهان والدليل، وتوقن بأن عاقبة الباطل إلى زوال.
ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون من أهل الحق الذين يسارعون إليه، لا من أهل الباطل الذين يحاجون فيه . يريدنا أن نوقن بأن حجج الباطل مهما قويت فهي داحضة عنده، وأن أعداءه لن يفلتوا من غضبه وعذابه .يريدنا أن نحمي أنفسنا من آفة الجدال بالباطل، وأن نشتغل بما ينفعنا وينفع الناس.

كيف نعيش هذه الآية عملياً؟

.1سارع إلى قبول الحق: عندما تظهر لك آية من كتاب الله أو سنة رسوله تغير مفهوماً كنت تعتقده، سلم فوراً، ولا تجادل نفسك أو غيرك للتمسك بالرأي القديم.

2.اترك الجدال العقيم: في وسائل التواصل، وفي المجالس، إذا رأيت الجدال تحول إلى مكابرة وعناد ، فانسحب بأدب .لا تشارك في جدال لا ينتهي إلى خير.
3.لا تنبهر بحجج الباطل: قد تجد من يتكلم بفصاحة وبيان، وهو يدافع عن الباطل .لا تنبهر، وتذكر أن حجته داحضة عند الله، وأن لسانه لن يغنيه من الله شيئاً.
4.استشعر غضب الله: عندما تهم بمعصية، أو تشعر بالتكاسل عن طاعة، تذكر: "وعليهم غضب ولهم عذاب شديد" .هذا الخوف يحرك فيك دافع الطاعة.
5.فوض أمر الكافرين لله: لا تحمل هم المعاندين والمحاجين .أدِ واجبك في البلاغ، ثم فوض أمرهم لله .فهو حسبك، ونعم الوكيل.

أيها الحبيب في الله، إن هذه الآية هي ميزان عظيم تزن به أقوالك وأفعالك .اجعلها دائماً نصب عينيك، وستجد أنها تريحك من عناء الجدال، وتملأ قلبك سكينة وثقة، وتدفعك للتمسك بالحق والعمل الصالح، حتى تلقى ربك وهو راضٍ عنك، لا غاضب عليك.

المبحث الثانى

أيها السائر في دروب اليقين، والمتشوق لمعرفة موازين الحق والهدى، ها نحن نعود لنقف معاً على أعتاب آيتين كريمتين، تفتحان لقلبك نافذة على الحكمة الإلهية في إنزال الكتاب، وتكشفان لك عن حقيقة مشاعر البشر تجاه يوم الحساب. بعد أن حسمت الآيات السابقات مصير الذين يحاجّون في الله بعد وضوح الحق، تأتي هاتان الآيتان لترسخا حقيقة أن مصدر الهداية هو الله وحده، وأن مهمة الرسول هي البلاغ، وأن بوصلة القلوب هي التي تحدد الموقف من ذلك اليوم العظيم. إنها الآيتان السابعة عشرة والثامنة عشرة:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى: 17)
﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: 18)

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، ترسمان خارطة الهداية والضلال. فالله هو الذي أنزل الكتاب بالحق، وجعل الميزان للعدل، وبين أن الساعة آتية لا ريب فيها. ولكن الناس تجاه هذه الحقائق أصناف: صنف يكذب ويستعجل بها استهزاء، وصنف يصدق ويشفق منها خوفاً وإجلالاً ، وصنف يجادل فيها ويعيش في ريب وشك. إنها تكشف لك دوافع القلوب، وتضع بين يديك معياراً تميز به لنفسك أين تقف. دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما بوصلة لحياتنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معاً إلى:

1.إدراك عظمة المصدر الإلهي للكتاب والميزان: أن نتيقن بأن الله أنزل الكتاب بالحق، وجعل الميزان منهجاً للحياة، لتعيش البشرية بالعدل واليقين.
2.فهم حكمة إخفاء وقت الساعة: أن نعي لماذا لم يخبرنا الله بموعد الساعة، وكيف أن عدم معرفتنا بها هو حافز للعمل الدائم.
3.تحليل مواقف الناس من الساعة: أن نتعرف على أصناف الناس الثلاثة تجاه الآخرة: المستهزئ المستعجل، والمؤمن المشفق، والمرتاب الممارى.
4.بناء شخصية المؤمن المشفق: أن نتعلم كيف نعيش حالة الإشفاق من الساعة، ذلك الخوف الممزوج بالرجاء الذي يدفع للعمل.
5.التطبيق العملي في واقعنا المعاصر: أن نعرف كيف نتعامل مع المنكرين للآخرة في زمن طغت فيه المادية والإلحاد.
تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ)

يبدأ الله هذه الآية بإعلان جليل، يربط بين مصدرين أساسيين للهداية: الكتاب والميزان.

الكتاب أنزله الله بالحق:
"الكتاب" هو القرآن الكريم. وقوله "أنزل الكتاب" يبين أن مصدره سماوي وليس بشرياً. وكلمة "بالحق"

تحتمل معنيين متكاملين: الأول أن الكتاب متضمن للحق المطلق الذي لا تحريف فيه ولا تبديل، وهو يخبر بأخبار صادقة عن الماضي والمستقبل، ويحكم بأحكام عادلة. والثاني أن إنزاله كان مقروناً بالحق ولغاية حق، أي لحكمة عادلة، وليس للعبث أو اللّهو. فغاية إنزاله هي إقامة الحق بين الناس، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

الميزان:
"الميزان" هو العدل. واختلف المفسرون في المقصود به: منهم من قال إنه العدل الذي أمر الله به في الكتاب، ومنهم من قال إنه العقل الذي وضعه الله في الإنسان ليميز به بين الحق والباطل. والجامع بينهما أن الميزان هو كل ما يوزن به الحق من الباطل والعدل من الظلم. وقد قرن الله الكتاب بـ الميزان، ليكتمل الهدى: الكتاب يعطي الأحكام والشرائع، والميزان يعطي كيفية تطبيقها بالعدل والإ نصاف. فالسماء أنزلت الكتاب، والأرض زودت بالميزان، ليعيش الناس في ظل هداية متكاملة.

لماذا هذا الربط بين الكتاب والميزان؟
ليعلم الناس أن الدين ليس مجرد مشاعر إيمانية، بل هو نظام حياة متكامل. فالكتاب يقدم المبادئ و القيم، والميزان يقدم التطبيق العملي العادل. وكلاهما من عند الله. وفي هذا رد على كل من يحاول الفصل بين الدين والحياة، أو بين العبادة والمعاملات.

اللمسات البيانية والبلاغة:

· تعريف الجملة بـ "الله الذي..." فيه تفخيم وتعظيم لشأن المنزِل، مما يضفي على المنزَل هيبة وقدسية.
· تكرار "الباء" في "بالحق" و"الميزان" معطوفاً على الحق، يشير إلى أن الميزان هو جزء من الحق ومظهر من مظاهره.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إن استشعارك أن القرآن منزل من عند "الله" يملأ قلبك طمأنينة ويقيناً. أنت تقرأ ك لاماً ليس من صنع البشر، بل من صنع الخالق العظيم. هذا يجعلك تقبل عليه بشغف وخشوع، وتثق بكل ما فيه.
· الرسالة التربوية: الآية تربيك على أن الحق والعدل صنوان لا يفترقان. لا يكفي أن تكون متديناً بـ الشعائر، بل لا بد أن تكون عادلا ً في كل معاملاتك. فالكتاب يدعوك للصلاة، والميزان يدعوك لأن تكون عادلا ً حتى مع من تكره.
· الرسالة العملية: في حياتك اليومية، اجعل القرآن حاكماً، والميزان (العدل والعقل السليم) منهجاً. إذا اختلفت مع أحد، فارجع إلى الكتاب لتعرف الحكم، واستخدم الميزان لتطبقه بعدل وإنصاف.
المحور الثاني: دلالة قوله (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلّ السّاعَةَ قَرِيبٌ)

بعد أن ذكر الله إنزال الكتاب والميزان، يأتي التذكير بالساعة. وكأنه يقول: "بعد هذا البيان وهذا العدل ، تذكروا أن هناك يوماً للحساب".

معنى "وما يدريك":
هذا استفهام للتهويل والتعظيم. أي: أي شيء يجعلك تدرك وتعرف وقت الساعة؟ إنك لا تعلمه، ولا أحد يعلمه. وفي هذا إشارة إلى أن علم الساعة غيب مستأثر به الله وحده.

"لعل الساعة قريب":
"لعل" هنا للتقريب والإشعار بسرعة المجيء. فالساعة قريبة جداً، وكل ما هو آتٍ قريب. والتذكير بأن الساعة قريبة هو حافز للعمل، لأن الإنسان إذا شعر بقرب الامتحان، اجتهد في الاستعداد له. لقد أخفى الله علم الساعة ليبقى العبد على حذر واستعداد دائم. فلو علم الناس متى تقوم الساعة، لقسّت قلوبهم، ولتهاونوا في العمل الصالح، ولتسابقوا على الدنيا حتى ذلك اليوم.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· أسلوب "وما يدريك" يخاطب العاطفة والعقل معاً. فهو يهز القلب، ويقرر العقل بأن هذا العلم غيب مطلق.
· استخدام "لعل" التي تفيد الرجاء والترقب، مع أن الساعة يقينية، لإضفاء جو من التهيؤ والاستعداد الدائم.

· وصف الساعة بـ "قريب" بالتذكير، مع أنها مؤنثة (الساعة)، يحتمل أنه على معنى "الشيء القريب" أو "الوقت القريب"، وذلك للمبالغة في القرب.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: شعورك بقرب الساعة يجعلك تعيش حالة من اليقظة الدائمة. لا تدع الدنيا تخدعك بطول أملها. تذكر أن الساعة قد تقوم في أي لحظة، فتكون مستعداً. هذا الشعور هو دواء الغفلة.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على الإيمان باليوم الآخر، واغرس في قلوبهم أن الساعة قريبة، وأن اللقاء مع الله آتٍ، ليكون ذلك دافعاً لهم للجد والاجتهاد في الطاعات.
· الرسالة العملية: اجعل لك وِرداً يومياً من ذكر الآخرة، وتذكر الموت وسكراته، والقبر وظلمته، والبعث وأهواله. هذا التذكر يحفزك للعمل، ويجعلك تخفف من التعلق بالدنيا الزائلة.
المحور الثالث: دلالة (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) وتحليل صفات الصنف الأول

بعد الحديث عن قرب الساعة، ينتقل القرآن ليكشف لك عن مواقف الناس منها. فيبدأ بالصنف الأول: الكفار المستهزئون.

من هم الذين لا يؤمنون بها؟
هم الكفار والمشركون وأهل الريب. إنهم ينكرون البعث أصلاً، ولا يؤمنون بالآخرة. ولذلك يتخذون موقف الاستهزاء والاستعجال. فهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم استهزاءً وتكذيباً: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟". إنهم يريدون تحديه واستعجال العذاب، ظناً منهم أنه غير آتٍ.

لماذا يستعجلون؟
هم لا يستعجلون بها شوقاً إليها أو تصديقاً بها، بل استهانة وسخرية. إنه منطق الإنسان المادي الذي لا يصدق إلا ما يراه. ولأنهم مشغولون بأهوائهم وشهواتهم، فهم يريدون أن يروا هذه الساعة بأعينهم ليؤمنوا. وهذا هو الغباء بعينه؛ لأن الساعة إذا جاءت، لن ينفعهم الإيمان. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· استخدام الفعل المضارع "يستعجل" يفيد التجدد والاستمرار، فهم في كل حين يسخرون ويستعجلون.
· صيغة "الذين لا يؤمنون بها" توضح أن دافع استعجالهم هو الكفر. فعقيدتهم الفاسدة هي التي تملي عليهم هذا السلوك الأحمق.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا الوصف يريحك من الانزعاج من استهزاء الكفار. فهم يتصرفون بطبيعتهم التي وصفتها الآيات. فلا تندهش إذا رأيتهم في عصرنا يسخرون من فكرة البعث والنشور. إنه ديدنهم.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك خطورة الاستهزاء بالغيبيات. ووضح لهم أن إنكار الآخرة هو أصل كثير من الانحرافات الأخلاقية.
· الرسالة العملية: لا تنجر إلى جدال عقيم مع من يستعجلون الساعة باستهزاء. رد عليهم بالقرآن، واتركهم ليواجهوا مصيرهم.
المحور الرابع: دلالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) وتحليل صفات الصنف الثاني

ثم ينتقل بنا القرآن إلى وصف المؤمنين الصادقين، ويصف حالتهم القلبية تجاه الساعة بكلمة واحدة جامعة: "مشفقون".

ما معنى "مشفقون"؟
الإشفاق هو الخوف الممزوج بالحذر والتيقظ، مع شيء من الرقة والرحمة في القلب. إنه ليس خوف الفزع المذعور، بل هو خوف مصحوب بتعظيم للمخوف منه. فالمؤمن يخاف من الساعة، ليس لأنه يكره لقاء الله، بل لأنه يخشى التقصير، ويخشى أن يكون من الخاسرين. إنهم خائفون من هولها وشدتها، ومن أهوال ما قبلها من موت وقبر وحساب. هذا الخوف هو الذي يدفعهم للعمل الصالح.

لماذا يشفق المؤمنون؟
لأنهم يؤمنون بأن الساعة هي "الحق" الذي لا ريب فيه. فهم يعلمون علماً يقينياً أنها آتية لا محالة.

وهذا العلم هو الذي يولد في قلوبهم هذا الإشفاق. وشتان بين من يخاف من شيء يؤمن بوجوده، ومن يستعجل شيئاً يكذب به! إن إيمانهم هو الذي يجعلهم يعيشون هذه الحالة الوجدانية العميقة.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· صيغة "مشفقون" تدل على الثبات والاستمرار. فالمؤمن دائم الإشفاق من الساعة، ليس في وقت دون وقت.
· التعبير بالمضارع "يستعجل" في الصنف الأول، والاسم "مشفقون" في الصنف الثاني، يشير إلى أن استعجال الكفار هو فعل متجدد مرتبط بمواقف معينة، أما إشفاق المؤمنين فهو صفة راسخة في قلوبهم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: اسأل نفسك بصدق: "هل أنا مشفق من الساعة؟". تذكر أن المؤمن الحقيقي هو من يعيش هذا الإشفاق، فهو حافز دائم له على الطاعة، ورادع عن المعصية. هذا الإشفاق لا يمنع الفرح بـ الحياة، بل يضبطه ويوجهه.
· الرسالة التربوية: اغرس في نفسك وفي أهلك الإشفاق من الآخرة، بقراءة آيات الوعد والوعيد، وبتذكر الموت. واجعل هذا الإشفاق متوازناً مع الرجاء في رحمة الله، لئلا يتحول إلى يأس وقنوط.
· الرسالة العملية: في كل ليلة، راجع أعمالك. إن وجدت خيراً فاحمد الله واسأله الثبات، وإن وجدت تقصيراً فأشفق على نفسك، وسارع بالتوبة والاستغفار.
**المحور الخامس: دلالة (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ) وأهمية اليقين

بعد وصف حالة الإشفاق، يأتي ذكر مصدر هذا الإشفاق: "ويعلمون أنها الحق".

ما معنى "أنها الحق"؟
أي يعلمون علماً يقينياً لا شك فيه، أن الساعة آتية، وأنها الحق الذي لا مرية فيه. وهذا العلم ليس مجرد تصديق نظري، بل هو يقين قلبي يحرك المشاعر والسلوك. إن الإيمان باليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان، لا يكتمل إيمان العبد إلا به. فالملائكة والرسل والكتب كلها بشرت به وأنذرت منه، فلا مجال للشك فيه.

الفرق بين العلم وعلم اليقين:
هناك فرق بين أن "تعلم" شيئاً، وبين أن "توقن" به. المؤمنون ليسوا فقط عالمين بأن الساعة حق، بل هم موقنون بها، وهذا اليقين هو الذي ينتج الإشفاق. فاليقين يدفع للعمل، أما مجرد العلم النظري فقد لا يجاوز الحناجر.

اللمسات البيانية والبلاغية:
تعريف الساعة بـ "الحق" فيه تأكيد عظيم. فهي ليست مجرد فكرة أو احتمال، بل هي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تدعوك لتجدد يقينك باليوم الآخر. كلما زاد يقينك، زاد إشفاقك، وكلما زاد إشفاقك، زاد اجتهادك في العمل. جدد إيمانك بهذا اليوم كل يوم.
· الرسالة التربوية: عند تعليم أبنائك أركان الإيمان، لا تكتفِ بالحفظ النظري. اجعلهم يعيشون معاني الإيمان باليوم الآخر، من خلال القصص القرآني ومن خلال ربط هذا اليوم بسلوكهم اليومي.
· الرسالة العملية: اسأل نفسك: "هل أعيش وكأني أرى الساعة بعيني؟" هذا هو الإحسان. عش حياتك بهذا اليقين، فتجد أن كل تصرفاتك وأخلاقك قد تهذبت.

**المحور السادس: دلالة (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) وتحليل الصنف الثالث

بعد أن ذكر الصنفين: الكفار المستعجلين، والمؤمنين المشفقين، يأتي "ألا" للتنبيه على صنف ثالث: الممارون في الساعة.

من هم الممارون؟
"يمارون" من المراء، وهو الجدال القائم على الشك والريبة وإرادة الغلبة. وهم غير المستعجلين!

المستعجلون يكذبون ويستهزؤون ويطلبون تعجيل العذاب. أما هؤلاء الممارون فيجادلون ويشككون ويثيرون الشبهات حول الساعة، من غير أن يصلوا إلى يقين. هم في حيرة وشك دائم. قد يدّعون الإ يمان بألسنتهم، ولكن أفعالهم تخالف ذلك، أو يعيشون في دوامة من الأسئلة والشكوك التي لا تنتهي.

ما جزاؤهم؟ "لفي ضلال بعيد":
الضلال هو التيه والحيرة والخروج عن طريق الهدى. ووصفه بأنه "بعيد" يدل على شدة هذا الضلال وعمقه، بحيث يصعب على صاحبه العودة إلى طريق الحق إلا بمشقة عظيمة. فهو بعيد عن الحق، بعيد عن النجاة، بعيد عن رحمة الله. إنهم لم يصلوا إلى الكفر الصريح، ولكنهم لم يصلوا إلى الإيمان القاطع، فبقوا في منطقة رمادية من الشك والريب، وهذه أشد خطراً.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· افتتاح الجملة بـ "ألا" وهي أداة تنبيه، لشد انتباه السامع إلى خطورة ما بعدها.
· استخدام "إن" للتوكيد، و"اللام" في "لفي ضلال"، يفيد تأكيد وقوعهم في هذا الضلال لا محالة.
· وصف الضلال بأنه "بعيد"، وهو وصف غاية في الدقة، يصور لك استحالة هدايتهم مع بقائهم على هذه الحال.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية توقظ فيك الخوف من الشك والمراء في الدين. لا تسمح لنفسك أن تنزلق إلى متاهة الشكوك التي لا تنتهي. استعذ بالله من ذلك. واطلب اليقين، فإنه كنز المؤمن.
· الرسالة التربوية: انتبه لأبنائك ولمن حولك. قد يكون بينهم من يعيش حالة من المراء والشك. تعامل معهم برفق، وقدم لهم الأجوبة الشافية، وأرشدهم إلى مصادر اليقين في القرآن والسنة.
· الرسالة العملية: حصن نفسك من المراء بطلب العلم الشرعي من مصادره الموثوقة. فالعلم هو سلاح المؤمن ضد الشبهات. وكلما زاد علمك، زاد يقينك، وابتعدت عن دائرة المراء والشك.

*القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية الهداية ومصادرها: تؤسس الآية الأولى لحقيقة أن الهداية بوحي من الله) الكتاب (وبنظام عادل) الميزان(، فلا هداية بمعزل عنهما.
.2قضية الإيمان باليوم الآخر: تعالج الآية الثانية واحدة من أخطر القضايا العقدية، وهي الإيمان بـ اليوم الآخر، وتكشف عن أثره في سلوك المؤمنين وغيرهم.
.3قضية سيكولوجية الإيمان والكفر: تقدم الآيتان تحليلا ً دقيقاً لنفسية الكافر المستهزئ، والمؤمن المشفق، والمرتاب الممارى، وكيف تنعكس العقيدة على المشاعر والسلوك.
.4قضية الحكمة في إخفاء الغيوب: تشير الآية الأولى إلى أن إخفاء موعد الساعة هو من حكمة الله، لتحقيق الابتلاء والاختبار، وليبقى المؤمن متأهباً دائماً.

*القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة الحق والعدل: الكتاب أنزل بالحق، والميزان قرينه، مما يجعل الحق والعدل قيمتين محوريتين في حياة المسلم.
.2قيمة الاستعداد الدائم: إخفاء موعد الساعة يزرع في المؤمن قيمة الاستعداد الدائم للقاء الله، وعدم التسويف والاغترار بطول الأمل.
.3قيمة الإشفاق من الآخرة: وهي قيمة وجدانية عظيمة، تولد الطاعات، وتحرق السيئات، وتبقي القلب حياً يقظاً.
.4قيمة اليقين ونبذ الشك: فالمؤمن يعلم أن الساعة حق، وهذا اليقين هو أساس قوته النفسية وسلوكه المستقيم.
.5قيمة تجنب المراء والجدال العقيم: التحذير من أن يكون الإنسان ممن يمارون في الحق، مما يجعلهم في ضلال بعيد.

*أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ الإيمان بمصدرية القرآن) أنه منزل من عند الله(، والإيمان باليوم الآخر، والإ يمان بصفة العدل لله.
.2البعد النفسي: تقديم فهم دقيق للحالة النفسية للمؤمنين) الإشفاق (ولغيرهم) الاستعجال والمراء(،

وكيف نبني الصحة النفسية على أساس اليقين.
.3البعد الاجتماعي: ربط استقرار المجتمع بتطبيق "الميزان" أي العدل، وإشاعة ثقافة الإشفاق من الآ خرة التي تمنع الجريمة والظلم.
.4البعد الحضاري: بناء حضارة إنسانية متوازنة، تجمع بين مادية الدنيا وروحانية الآخرة، وتقوم على الكتاب والميزان.

*أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم تلازم الكتاب والميزان: أن الدين والعدل وجهان لعملة واحدة.
· مفهوم قرب الساعة: نسبية الزمن بالنسبة للآخرة، وأن كل آتٍ قريب.
· مفهوم الإشفاق: الخوف الإيجابي البناء الذي يدفع للعمل، بخلاف الخوف المدمر الذي يؤدي لليأس.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية الشعور بالمسؤولية والمراقبة: من خلال استشعار قرب الساعة.
· تربية التوازن: بين الخوف والرجاء، وبين الدنيا والآخرة.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الطمأنينة في زمن الشكوك: المؤمن يعيش مطمئناً بالحق، بينما غيره يتخبط في الشكوك.
· مفهوم العزة الإيمانية: عدم المبالاة باستهزاء الكافرين، والثقة في وعد الله.

*دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان متوازن: يعيش في الدنيا وقد علق قلبه بالآخرة، فيتقن عمله الدنيوي ويسعى لآخرته.
.2بناء مجتمع عادل وآمن: إذا ساد فيه "الميزان") العدل(، وامتلأت قلوب أفراده بالإشفاق من يوم الحساب، ساد فيه الأمان والاستقرار.
.3بناء حضارة خالدة: حضارة لا تقوم على المادة فقط، بل على "الكتاب" الذي يزكي الروح، و "الميزان" الذي يضمن العدل، فتكون حضارة باقية بإذن الله.

*ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نوقن بأن هذا الدين هو الحق. يريدنا أن نتمسك بالكتاب وبالعدل في آن واحد. يريدنا أن نستشعر قرب الساعة، فنستعد لها. يريدنا أن نكون من الصنف المشفق، لا من الصنف المستعجل المستهزئ، ولا من الصنف المرتاب الممارى. يريدنا أن نعيش حياتنا كاملة، نعمل لدنيانا ونشفق على آخرتنا.

كيف نعيش هذه الآيات عملياً؟

.1تمسك بالكتاب والميزان: اجعل القرآن دستور حياتك الخاص .في أسرتك، طبق مبدأ العدل بين أبنائك .في عملك، لا تظلم مرؤوساً أو زميلا ً .كن أنت الميزان الذي يمشي على الأرض.
.2استشعر قرب الساعة: خصص وقتاً للتفكر في الموت والآخرة .زر القبور، وتأمل في جنائز الموتى . هذا الشعور سيهوّن عليك مصاعب الدنيا، ويدفعك للعمل.
.3عش حالة الإشفاق ولا تيأس: تحسس قلبك، هل تجد خوفاً من الساعة؟ هذا الخوف المحمود يدفعك لكل خير .وإذا وجدت نفسك قد قصرت، فسارع بالتوبة .لا تيأس، بل أشفق على نفسك، واجتهد في استدراك ما فات.
.4لا تكن من الممارين: في عصر الشبهات المنتشرة على الإنترنت، إياك أن تفتح على نفسك أبواب الشكوك .إذا عرضت لك شبهة، فأغلقها فوراً، واسأل العلماء، وقل: "آمنت بالله" .لا تجادل الجهال و المرتابين، فتنزلق إلى هاوية الضلال البعيد.
.5لا تندهش من المستعجلين المستهزئين: عندما تراهم في الإعلام أو في محيطك يسخرون من الدين والآخرة، تذكر أن هذه طبيعتهم التي وصفها القرآن .لا تغضب ولا تحبط، بل ازدد يقيناً بأن كتاب ربك قد أخبر عنهم قبل أن يكونوا.

أيها الحبيب في الله، إن الآيتين تمنحانك بوصلة لا تخطئ. أين أنت من هذه الأصناف؟ هل أنت من المشفقين العالمين بأن الساعة حق؟ أم تراك تميل إلى المراء والشك؟ اجعل هذه التلاوة موقف محاسبة صادقة مع النفس، وسدد خطاك نحو الله، وقل بلسانك وقلبك: "اللهم اجعلني من الذين يؤمنون بالساعة فيشفقون منها، ويوقنون بأنها الحق، ويجتنبون المراء والجدال فيها".

المبحث الثالث

أيها السائر إلى ربه، والمتشوق لمعرفة سننه في خلقه، ها نحن نعود لنقف معاً على أعتاب آيتين كريمتين من سورة الشورى، تفتح لقلبك نافذة على حقيقة الدنيا والآخرة، وتصحح لك الموازين التي قد تختلط في زحام الحياة. إنها الآيتان التاسعة عشرة والعشرون، اللتان تكشفان عن لطف الله الخفي بعباده، وعن حقيقة الرزق، وعن قانون الزرع والحصاد الإلهي الذي لا يحابي أحداً.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ القويُّ العَزِيزُ﴾ الشورى:(19)
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ الشورى:(20)

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما مفتاح لفهم فلسفة الحياة الدنيا وعلاقتها بالآخرة. إنهما تجيبان عن السؤال الكبير: لماذا يوسع الله الرزق على من يحب ومن لا يحب؟ ولماذا يضيق على من يحب ومن لا يحب؟ وما هو المقياس الحقيقي للنجاح؟ وما هو الاستثمار الأذكى لوجودنا على هذه ا لأرض؟ دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما بوصلة لحياتنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معاً إلى:

1. فهم معنى اسم الله "اللطيف" وأثره في حياتنا: أن ندرك كيف أن لطف الله بعباده يشمل المؤمن و الكافر، والصالح والطالح، وأن الرزق لا يرتبط بالإيمان.
2. إدراك حقيقة الرزق ومصدره: أن نوقن بأن الله "القوي العزيز" هو وحده الرزاق، وأن البشر لا يملكون لأنفسهم رزقاً.
3. استيعاب قانون "الحرث" والجزاء: أن نفهم أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن كل إنسان سيحصد ما زرع، عاجلا ً أو آجلا ً.
4. التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نوجه نوايانا وأعمالنا لنكون ممن يريدون حرث الآخرة، فنفوز بالحسنيين.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محوراً تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (اللهُ لطِيفٌ بِعِبَادِهِ) وإدراك معنى اللطف الإلهي

يبدأ الله هذه الآية باسمه "اللطيف" الذي يفتح قلبك على معانٍ عظيمة من الرقة والعناية الخفية.

ما معنى "اللطيف"؟
اسم الله "اللطيف" يجمع عدة معانٍ متكاملة:

· الذي لطف علمه: أي أن علمه محيط بالخفايا والدقائق والسرائر، لا تخفى عليه خافية .يعلم نواظر العيون وما تخفي الصدور.
· الذي لطف فعله: أي أن أفعاله دقيقة غاية في الدقة والإتقان، لا يشعر بها العباد ولا يدركونها.
· الذي لطف بخلقه: أي أنه سبحانه رفيق بهم، رحيم، يوصل إليهم الخير والنعم من حيث لا يحتسبون، ويدفع عنهم البلاء من حيث لا يشعرون.

"لطيف بعباده":
هنا الإضافة إلى "عباده" تشمل عموم العباد. فالله لطيف بجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وفاجرهم. إنه يرزقهم جميعاً، ويحفظهم، ويدفع عنهم، ويعافيهم. انظر إلى الكافر، كيف يتقلب في نعم الله! هذا من لطف الله العام بعباده. أما المؤمن فله لطف خاص، وهو أن يهديه للإيمان، ويثبته عليه، ويوفقه للعمل الصالح، ويدفع عنه من السوء ما لا يعلمه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الجملة الاسمية "الله لطيف" تدل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى واستمرارها .فهو دائم اللطف بعباده في كل وقت وحين.
· كلمة "لطيف" توحي بالرقة والرفق، وفي نفس الوقت بالدقة والخفاء .إنها ترسم صورة إلهية تطمئن القلب وتملؤه حباً ورجاء.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: استشعارك اسم "اللطيف" يملأ قلبك طمأنينة وأمناً .أنت في كنف لطيف، يدبر أمرك برفق، ويعطيك من حيث لا تحتسب .هذا الشعور يبدد القلق ويملأك سكينة.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن الله لطيف بهم .إذا أصابهم مكروه، ذكرهم بأن الله قد يدفع عنهم بـ لاءً أعظم لا يعلمونه .هذا يربيهم على حسن الظن بـالله.
· الرسالة العملية: كن أنت لطيفاً بعباد الله .بما أن الله لطيف بعباده، فكن لطيفاً بإخوانك، رفيقاً بهم، مراعياً لخواطرهم .التخلق بأخلاق الله ما استطعت.

المحور الثاني: دلالة (يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ) وتصحيح مفهوم الرزق

بعد أن أخبرنا عن لطفه، يخبرنا عن رزقه. وهذا الربط بديع؛ لأن الرزق هو من أبرز مظاهر اللطف الإ لهي.

"يرزق من يشاء":
هذه الجملة تصحح مفهوماً خاطئاً لدى كثير من البشر. فـالله هو الرزاق، يرزق من يشاء من عباده. و الرزق هنا ليس فقط المال، بل يشمل الصحة والعافية، والعلم والحكمة، والبنين والزوجة الصالحة، والأ من والإيمان. وهذه المشيئة الإلهية في توزيع الأرزاق ليست مرتبطة بالإيمان والصلاح. فـالله يبسط الرزق لمن يشاء من المؤمنين والكافرين، ويقدره على من يشاء من الفريقين. فلا تقل: "إن كنت مؤمناً فستكون غنياً"! ولا تقل: "إن هذا الكافر غني، إذاً الله راضٍ عنه"! كلا. الرزق عطاء رباني، يخضع لحكمة الله وابتلائه لعباده. فقد يعطي الكافر استدراجاً، وقد يمنع المؤمن تكفيراً أو رفعة للدرجات بـ الصبر.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يرزق" فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار .فالرزق الإلهي متجدد، يأتي في كل حين، وليس منقطعاً.
· "من يشاء" إشارة إلى أن توزيع الأرزاق ليس بيد أحد من الخلق، بل هو خاضع لمشيئة الله وحكمته المطلقة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تحررك من عبودية الرزق .لا تذل نفسك لطلب رزق من أحد، فالرزاق هو الله .ولا تحزن إذا رأيت كافراً غنياً وأنت فقير .ولا تظن أن ضيق رزقك يعني سخط الله عليك .كل هذا يريح نفسك، ويجعلك تعيش قانعاً راضياً.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على ألا يقيسوا حب الله لهم بكثرة المال .الفقر والغنى كلاهما ابتلاء . واشرح لهم أن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الإيمان إلا لمن يحب.
· الرسالة العملية: اسعَ في طلب رزقك بالأسباب المشروعة، واعلم أن رزقك آتٍ لا محالة .لا تسخط إن تأخر، ولا تغتر إن أقبل، وكن دائم الشكر للرزاق.
*المحور الثالث: دلالة (وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ) وارتباطها بالرزق واللطف

لماذا ختم الله الآية بهذين الاسمين العظيمين؟ إنهما يأتيان كدليل وبرهان على ما سبق.

"القوي":
الله هو القوي الذي لا يضعف، ولا يغلبه شيء. فهو على رزق عباده قدير، لا يعجزه شيء. قلوب العباد وأرزاقهم بيده، يصرفها كيف يشاء. إذا أراد أن يرزقك، فلا قوة في الأرض تمنع رزقه. وإذا أراد أن يمنع عنك شيئاً، فلا قوة في الأرض تستطيع أن تأتيك به.

"العزيز":
الله هو العزيز الذي لا يغلب. فهو غالب على أمره، مهيمن على خلقه. وعزته تمنع أن ينازعه أحد في

ملكه أو رزقه. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. إنه مع قوته عزيز لا يناله مكروه، ولا يضره شيء، وكل من سواه ذليل فقير إليه.

اللمسات البيانية والبلاغية:
عطف "العزيز" على "القوي" فيه كمال في الوصف. فالقوة إذا لم تقترن بالعزة كانت عرضة للاعتداء أو الإهانة! لكن الله قوي عزيز، أي أن له القوة التي لا تقهر، والعزة التي لا تضام. وهذا كمال الثناء.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلبك قوة وثقة .أنت تسأل القوي العزيز، فلا تخف من قوى البشر .من يتوكل على القوي العزيز، فهو في حصن منيع.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على أن يستمدوا قوتهم من الله، وأن يعتزوا به وحده ."من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً".

*المحور الرابع: دلالة قانون "الحرث" (مَن كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ)

الآن ننتقل إلى الآية العشرين، التي تعد من أعظم آيات ترتيب الأولويات في القرآن. إنها تقدم لك تشبيهاً بليغاً: الدنيا مزرعة، وأنت الزارع، وأعمالك هي البذور.

لماذا شبه الله الأعمال بـ "الحرث"؟
الحرث هو إلقاء البذور في الأرض طلباً لنمائها وحصادها في المستقبل. وهذا هو حال الأعمال تماماً. فكل عمل تعمله، من خير أو شر، هو بمثابة بذرة تزرعها في أرض دنياك. وستأتي لحظة الحصاد في الآخرة (أو في الدنيا قبل الآخرة) لتجني ثمار ما زرعت. فإن كان البذر صالحاً (عملاً صالحاً خالصاً لله)، كان الحصاد ثمراً يانعاً. وإن كان البذر خبيثاً (عمل سوء)، كان الحصاد شوكاً وحنظلاً.

"من كان يريد حرث الآخرة":
من كانت نيته وقصده من عمله الدار الآخرة، وما عند الله من الثواب والنعيم. من زرع للآخرة، وقدم لها، وتاجر مع الله يطلب الربح الباقي. فهذا هو الزارع الحكيم، الذي يبذر في أرض فانية ليحصد في دار باقية.

"نزد له في حرثه":
وهنا وعد الله العظيم. من أراد الآخرة بعمله، فإن الله لا يكتفي بإعطائه ما عمل له، بل يزيده ويضاعفه أضعافاً كثيرة. وكما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾. ومن الزيادة أن الله يوفقه لمزيد من الأعمال الصالحة، فتزداد حسناته، ويرتفع في الدرجات. فهو يربح في الدنيا طمأنينة القلب، ويربح في الآخرة الجنة.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· استخدام "حرث" كاستعارة تمثيلية رائعة، تجعل المعنى الغيبي) الثواب والعقاب (محسوساً ومشاهداً.
· "نزد له في حرثه" وعد كريم بصيغة المضارع للدلالة على أن هذه الزيادة مستمرة ومتجددة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تولد فيك شوقاً للآخرة، وتجعل مصائب الدنيا تهون .لأن من كان قلبه معلقاً بالآخرة، يرى الدنيا وسيلة لا غاية .ومصائبها تصبح جزءاً من عملية الزرع الذي سيُثمر نعيماً أبدياً.
· الرسالة التربوية: وجه قلبك وقلب أبنائك نحو إرادة الآخرة .عندما تعمل أي عمل، استحضر نية: "أريد بهذا وجه الله والدار الآخرة" .علمهم أن النية هي البذرة، فكلما صلحت النية صلح العمل وعظم الأجر.
· الرسالة العملية: احرص على أن تكون نيتك في كل عمل من أعمال الخير خالصة لله .في صلاتك، في صدقتك، في برك بوالديك، في طلبك للعلم، استحضر نية "حرث الآخرة" .وسترى كيف يزيدك الله توفيقاً وبركة.

*المحور الخامس: دلالة (وَمَن كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نصِيبٍ) وبيان حقيقة الخسران

هذا هو القسم الثاني من قانون "الحرث"، ويكشف عن الفرق بين النوعين من الزارعين.

"من كان يريد حرث الدنيا":
هذا هو الزارع الأحمق. هو الذي يجعل الدنيا أكبر همه، وغاية مراده. يعمل لا ليرضي الله، بل لينال شهرة، أو مالاً، أو سلطة، أو ثناءً من الناس. نيته من أعماله الخيّرة ظاهراً هي مصالح دنيوية بحتة. فهو يحرث في أرض الدنيا ليحصد في الدنيا فقط.

"نؤته منها":
الله لا يظلمه. ما سعى إليه في الدنيا، قد يناله. ولكن "منها"، أي قليلاً منها، بقدر ما كتبه الله له، لا بقدر ما يريد. فقد يعطيه الله بعض ما يريد، وقد يصرفه عنه. وحتى لو نال كل ما تمنى من الدنيا، فهو قليل زائل. إنه كمن يزرع في أرض جرداء، فإن حصد شيئاً، فهو قليل لا يغني ولا يسمن.

"وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ":
هذه هي الطامة الكبرى. هو لم يزرع للآخرة شيئاً! فكيف يتوقع حصاداً؟ ليس له أدنى نصيب من نعيم الآخرة. لأنه عمل للدنيا فأخذ أجره فيها، وبقيت صحيفته خالية من الحسنات يوم القيامة. إنه الخسران المبين.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "نؤته منها" بتقديم "منها" للتبعيض، إشارة إلى أن ما يناله من الدنيا هو جزء قليل يسير.
· "وما له في الآخرة من نصيب" جملة مؤكدة بالنفي، وفيها يأس وقنوط لهذا الصنف .فكلمة "نصيب" هي الشيء القليل، فحتى هذا القليل لا يناله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية مخيفة لمن كان قلبه معلقاً بالدنيا .إنها تدعوك لمراجعة نواياك .أنت تصلي ...لماذا؟ أتريد ثناء الناس؟ أنت تتصدق ...لماذا؟ أتريد سمعة؟ إن كنت كذلك، فأنت تاجر خاسر . صحح نيتك قبل فوات الأوان!
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن الله عادل ."لا يضيع أجر من أحسن عملاً" .من يعمل للدنيا يُعط منها، ولكن حساب الآخرة صفر .خوفهم من أن يكونوا من هذا الصنف.
· الرسالة العملية: في كل عمل، راقب نيتك .قبل أن تقول كلمة طيبة، أو تقدم معروفاً، اسأل نفسك: "لماذا أفعل هذا؟" .طهر قلبك من إرادة الدنيا، واجعل إرادة الآخرة هي قصدك الأول.

**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية "العدل في الرزق" وتصحيح المفاهيم الخاطئة: تعالج الآية مشكلة الربط بين الإيمان وسعة الرزق في ذهن الناس، وتؤكد أن الدنيا ليست دار جزاء كامل.
.2قضية "اللطف الإلهي الخفي": تفتح الآية باب التأمل في لطف الله الشامل بكل عباده، حتى من يعصونه.
.3قضية "النية وأثرها في قبول الأعمال": ترسخ الآية مبدأ أن قيمة العمل بما قصد به صاحبه، وأن الجزاء من جنس العمل.
.4قضية "الاستثمار الأمثل للحياة": تقدم الآية نموذجين للعيش: نموذج المؤمن المستثمر في الآخرة، ونموذج الكافر أو المنافق المستثمر في الدنيا فقط.

**القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة حسن الظن بالله: من خلال الإيمان باسم "اللطيف" وقدرته ورحمته.
.2قيمة التحرر من عبودية المال: بإدراك أن الرزق بيد الله، وأن سعته أو ضيقه ابتلاء وليس مقياس حب.
.3قيمة إخلاص النية لله: وهي رأس الأمر وأساس قبول الأعمال ومضاعفتها.
.4قيمة الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة: وهي ثمرة فهم قانون "الحرث".

**أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: تنقية العقيدة من الشوائب المتعلقة بالرزق، وربط الأعمال بالجزاء في إطار العدل الإ

إلهي.
.2البعد النفسي والوجداني: خلق حالة من الطمأنينة والسكينة) نتيجة للطف الله(، ومن الشوق للآخرة)نتيجة لقانون الحرث(، ومن الخوف من الرياء.
.3البعد الاجتماعي: لو ساد هذا المفهوم) أن الأرزاق بيد الله (لانتهى الحسد والتنافس المادي المذموم ، ولتحول التنافس إلى ميدان الآخرة.
.4البعد الاقتصادي: تقديم فلسفة اقتصادية ربانية، لا تقوم على الكنز، بل على الإنفاق في سبيل الله كحرث للآخرة.

**أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم) اللطف الإلهي(: العناية الخفية الشاملة.
· مفهوم) فصل الرزق عن الإيمان(: أن المال ليس دليلا ً على الحب أو البغض الإلهي.
· مفهوم) الحرث والجزاء(: أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الأعمال بذور تثمر يوم القيامة.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النية والإخلاص: جعل محور التربية هو إصلاح القصد والباعث.
· تربية الصبر والقناعة: بالرضا بما قسم الله من رزق.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم) السكينة والثقة بالله(: ينبوعها اسم "اللطيف" و"القوي العزيز".
· مفهوم) الشوق للآخرة(: المحرك الوجداني الأكبر للعمل الصالح والدافع لهوان المصائب.
· مفهوم) الخوف من خسارة الآخرة(: الرادع الداخلي عن الرياء وحب الدنيا.

**دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان متوازن: لا تطغى دنياه على آخرته، ولا تنسيه آخرته نصيبه من الدنيا .هو إنسان حر من عبودية المال، عبد لله وحده.
.2بناء مجتمع متماسك: مجتمع يقوم على التنافس في الخيرات، لا على التنافس على حطام الدنيا . مجتمع منتج، يضرب في الأرض، ولكن قلبه معلق بالسماء.
.3بناء حضارة ربانية: حضارة الاقتصاد فيها وسيلة لا غاية، والإنفاق فيها استثمار، والعمل فيها عبادة .هي حضارة تعرف قيمة المال، لكنها لا تقدسه.

**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نصحح بوصلتنا. يريدنا أن نوقن بلطفه، فنحسن الظن به. يريدنا أن نثق أنه يرزقنا، فلا نذل لخلقه. يريدنا أن نزرع لآخرتنا، فهي الباقية. يريدنا أن نخلص نياتنا، فهذا هو التجارة الرابحة.

كيف نعيش هذه الآيات عملياً؟

.1ذكر نفسك بلطف الله يومياً: كل صباح، قل: "اللهم يا لطيف، الطف بنا فيما جرت به المقادير" .هذه الجملة تذكرك بأن وراء الأحداث الظاهرة يداً خفية رحيمة تدبر الأمر لك.
.2لا تقلق على رزقك: إذا ضاق عليك رزقك، عد إلى هذه الآية ."الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز" .ثق بأن الله لن ينساك .ابذل الأسباب، ونم قرير العين.
.3راقب نيتك في كل عمل: قبل أن تبدأ أي مشروع، حتى لو كان عادياً، اسأل نفسك: "لماذا أنا فاعل هذا؟" .وجدد نية "حرث الآخرة" .ستتحول حياتك كلها إلى عبادة.
.4عش بشوق إلى الآخرة: عندما تمر بك مصيبة، تذكر أن صبرك عليها هو بذر يزرع في حرث الآ خرة .قل: "اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها" .هذا الشوق يجعل مرارة الدنيا حلاوة في فمك.
.5لا تغتر بما عند أهل الدنيا: إذا رأيت كافراً أو عاصياً في سعة من الدنيا، لا تحسده، ولا تشك في عدل الله .قل: "هذا حرثه الذي أراده، وقد ناله، وما له في الآخرة من خلاق" .وانظر إلى ما عندك من الإيمان، فهو أغلى ما في الوجود.

أيها الحبيب في الله، إن الآيتين هما عينان تبصر بهما حقيقة الدنيا والآخرة. من فقههما، زالت عنه حيرة الرزق، واطمأن قلبه بلطف الله، وانطلق في الحياة عاملا ً صالحاً، مستثمراً في آخرته، منتظراً حصاده يوم لا ينفع مال ولا بنون. اجعل هاتين الآيتين نبراساً، وستجد أن حياتك قد امتلأت أملا ً وعملا ً وبركة.

القسم الثاني

اولا

أيها السائر إلى الله بقلب يرجو رحمته ويخشى عذابه، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آيتين من سورة الشورى، تحملان في طياتهما موازين الحق والعدل، وتكشفان عن قمة الضلال الإنساني، وتصححان لك التصور عن حقيقة الشرك وأهله. بعد أن بين الله لطفه بعباده، وقانون الحرث والجزاء، يأتي هذا المقطع القرآني ليرد على قضية كبرى: كيف يتجرأ البشر على التشريع لأنفسهم من دون الله ، وكيف يصل بهم الغرور إلى استعجال العذاب والاستهزاء به؟ إنها الآيتان الحادية والعشرون والثانية والعشرون:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشورى:(21)

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الشورى:(22)

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، تقدمان لك مشهدين متناقضين. المشهد الأول في الدنيا: مشهد المشركين الذين نصبوا أنفسهم مشرعين، واستعجلوا العذاب استهزاء. والمشهد الثاني في الآخرة: مشهد هؤلاء الظالمين أنفسهم، وقد أطبق عليهم العذاب، فانقلب استهزاؤهم إشفاقًا وخوفًا، بينما تمرح أرواح المؤمنين في بساتين الجنة. دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما عبرة وموعظة.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1. فهم جريمة "التشريع بغير إذن الله": أن ندرك خطورة أن يضع البشر لأنفسهم شرائع وأديانًا لم يأذن بها الله، وكيف أن هذا هو رأس كل ضلال.
2. إدراك حكمة "كلمة الفصل" والإمهال: أن نفهم لماذا لا يعجل الله العقوبة للظالمين في الدنيا، وأن ذلك لحكمة بالغة.
3. استشعار مشهد "الإشفاق" يوم القيامة: أن نعيش بوجداننا ذلك المشهد الرهيب للظالمين وهم يرون بأعينهم ما كانوا يكذبون به.
4. التطلع إلى "روضات الجنات" ونعيمها: أن نملأ قلوبنا شوقًا إلى مصير المؤمنين، وأن نعمل لذلك بجد واجتهاد.
5. التطبيق العملي في واقعنا المعاصر: أن نتعلم كيف نحمي أنفسنا من آفة اتباع الشرائع الباطلة، وكيف نعيش في الدنيا ونحن نرى مشهدي الآخرة.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ)

يبدأ الله هذه الآية بأسلوب استفهامي إنكاري، يهز القلوب ويفضح العقول: "أم لهم شركاء...؟".

معنى الآية وتفسيرها:

"أم" هنا هي "أم" المنقطعة التي تفيد الإضراب والانتقال إلى توبيخ وتقريع. فبعد أن بين الله الحق، ينتقل ليسألهم: هل لهؤلاء المشركين آلهة وشركاء، شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، فاتبعوهم؟ إنها صيغة توبيخ وتجهيل. فالله وحده هو المشرع. ومن اتخذ مشرعًا غيره، فقد أشرك. وكما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾. فتشريع ما لم يأذن به الله، سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات، هو طاعة لغير الله في مجال اختص به الله وحده. وهذا هو عين الشرك.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· افتتاح الآية بـ "أم" للدلالة على الانتقال من بيان الحق إلى تقريع أهل الباطل، وهو أسلوب يضعهم في موضع المتهم العاجز عن الدفاع عن نفسه.
· وصفهم بـ "الشركاء" فيه تحقير وسخرية من هذه المعبودات المزعومة، لأن الشريك الحقيقي لا يمكن أن يكون مخلوقًا عاجزًا.
· قوله "ما لم يأذن به الله" يبين أن أصل التشريع هو الإذن الإلهي، فما لم يأذن به الله فهو باطل ومنتحل.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تملأ قلب المؤمن يقينًا بعظمة الشريعة الإسلامية .أنت تتبع دينًا شرعه الله، لا دينًا من صنع البشر .هذا يشعرك بالعزة والثقة والطمأنينة، فلا تلتفت إلى شرائع الشرق والغرب المزعومة.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن التشريع حق لله وحده .لا أحد يستطيع أن يحرم حلالا ً أو يحلل حرامًا .هذا يربيهم على تعظيم شرع الله، وعدم الالتفات إلى الموضات الفكرية المنحرفة.
· الرسالة العملية: انظر إلى النظم والقوانين من حولك .هل هي مما أذن به الله؟ كن على وعي، و التزم في حياتك الخاصة بشرع الله، ولا ترضَ بحكم غير حكمه.

المحور الثاني: دلالة (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) وسنة الإمهال الإلهي

بعد ذكر جريمة التشريع بغير إذن الله، يأتي البيان الإلهي عن حكمة تأخير العقوبة.

ما هي "كلمة الفصل"؟
"كلمة الفصل" هي القضاء السابق من الله بإمهال الخلائق وتأخير حسابهم إلى يوم القيامة. فلولا هذا القضاء السابق، لعجّل الله العقوبة لهم في الدنيا، ففصل بينهم وأهلك المبطلين وأنجى المؤمنين. ولكن الله أراد أن يمهلهم إلى يوم معلوم، ليستوفي كل إنسان أجله، وليتمكن المؤمنون من الابتلاء، وليكون يوم القيامة هو الفصل النهائي العادل.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "لولا" حرف امتناع لوجود، أي أن العقاب العاجل امتنع لوجود كلمة الفصل السابقة.
· "لقضي بينهم" أي لفصل بينهم بالعذاب .وهذا يصور لك شدة الجريمة، فهم كانوا يستحقون العذاب الفوري لولا إمهال الله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنحك سكينة وطمأنينة .لا تتعجب إذا رأيت الظالمين والمشرعين بغير ما أنزل الله يصولون ويجولون .فإن إمهالهم ليس دليل رضا، بل هو سنة الله، وعاقبتهم إلى هلاك .هذا يريح قلبك من الغضب والقلق.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يغتروا بإمهال الله للظالمين .فالنهاية آتية، والعقاب واقع .واشرح لهم أن الصبر على الظلم هو من سنة المؤمنين.
· الرسالة العملية: لا تعاون الظالمين على ظلمهم، ولا تركن إليهم .بل أنكر عليهم بقلبك وقولك وفعلك، وادع لهم بالهداية، أو بخذلانهم وإهلاكهم إن كانوا لا يرجى صلاحهم.
*المحور الثالث: دلالة (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

بعد ذكر الإمهال، يأتي التوكيد على أن العذاب آتٍ لا محالة.

معنى "الظالمين" هنا:
الظالمون هم الذين أشركوا بالله، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. فهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب، وظالمون لغيرهم بإضلالهم. ووصفهم بالظلم هنا هو أبلغ وصف.

"لهم عذاب أليم":
أي أن العذاب الأليم الموجع محفوظ لهم في الآخرة، لا يفوتهم ولا ينجون منه. وقد جاءت الجملة مؤكدة بـ "إن" و"اللام" لزيادة التقرير والوعيد.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الجملة الاسمية "وإن الظالمين لهم عذاب أليم" تفيد الثبات والدوام .فالعذاب ثابت لهم، وهم صائرون إليه لا محالة.
· وصف العذاب بـ "أليم" لزيادة التخويف، فهو ليس مجرد عذاب، بل هو عذاب شديد الإيلام، لا يُحتمل ولا يُطاق.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلب المؤمن رهبة من الظلم .فأنت تعلم أن أي ظلم تمارسه سيكون له حساب عسير .هذا يردعك عن ظلم نفسك أو غيرك.
· الرسالة التربوية: خوّف أبناءك من عذاب الله، ولكن دون أن تقنطهم من رحمته .قل لهم: "إن الله شديد العقاب لمن ظلم، ولكنه غفور رحيم لمن تاب".
· الرسالة العملية: كن عادلا ً، ولا تكن ظالماً .تذكر أن العذاب الأليم ينتظر الظالمين، فاجتنب كل أنواع الظلم.

**المحور الرابع: دلالة (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) وتحليل قلب الظالم

بعد الحديث عن الإمهال والوعيد، ينتقل بك القرآن فجأة إلى مشهد من يوم القيامة، وكأنك تراه رأي العين. "ترى" أيها النبي وكل من يصلح للخطاب.

تفسير المشهد:
"ترى الظالمين": أي تبصرهم وتشاهدهم بأم عينك في ذلك اليوم.
"مشفقين مما كسبوا": أي خائفين أشد الخوف مما عملوه من السيئات، وما اقترفوه من الآثام. وقد كانوا في الدنيا يستعجلون العذاب ويستهزئون به، أما الآن فهم في حالة إشفاق ورعب شديد.
"وهو واقع بهم": أي أن العذاب الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قد حل بهم، وأحاط بهم، ووقع بهم موقعًا مؤلمًا. فما كانوا يستهزئون به أصبح واقعًا مريرًا يعيشونه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· استخدام الفعل المضارع "ترى" ينقلك إلى مشهد القيامة الحي، ويجعلك تعيشه بوجدانك كأنك حاضر هناك.
· وصفهم بـ "مشفقين" يقابل ما كانوا عليه من استهزاء واستعجال، لترى كيف انقلبت أحوالهم رأسًا على عقب.
· جملة "وهو واقع بهم" جملة حالية، لتصف لك أن إشفاقهم ليس من مستقبل مجهول، بل هو من عذاب واقع بهم فعلًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: تخيل هذا المشهد! إنه يهز الوجدان .تذكر أن استهزاءك بالدين أو استعجالك للعقوبة قد ينقلب إلى إشفاق وخوف يوم لا ينفع الخوف .هذا التصور يجعلك تستعد ليوم القيامة بالعمل الصالح، لا بالاستهزاء والغفلة.
· الرسالة التربوية: صوّر لأبنائك هذا المشهد .قل لهم: "تخيلوا أناسًا كانوا في الدنيا يضحكون ويسخرون من العذاب، وها هم الآن يرتعدون خوفًا ورعبًا مما يكسبون" .هذا التصوير أبلغ من ألف محاضرة نظرية.
· الرسالة العملية: عش حياتك وكأنك ترى هذا المشهد أمام عينيك .كلما هممت بمعصية، تذكر: "ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم"، فتهرب من المعصية خوفًا من ذلك اليوم.

**المحور الخامس: دلالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) وضد ذلك حال المؤمنين

وبعد ذلك المشهد المظلم، ينتقل بنا القرآن فجأة إلى مشهد ناصع البياض، مريح للقلب، مبهج للروح.

وصف حال المؤمنين:
في نفس الوقت الذي هم فيه الظالمون مشفقون في العذاب، يكون المؤمنون قد استقروا في أعلى مراتب النعيم: "روضات الجنات". والروضات جمع روضة، وهي أطيب بقاع الجنة وأنزهها، حيث

الخضرة والماء والزهور. إنهم ليسوا فقط في الجنة، بل في أفضلها: في البساتين الغناء، والحدائق الفيحاء.

لماذا نالوا هذا النعيم؟
"والذين آمنوا وعملوا الصالحات". إنه مقتضى العدل الإلهي. هم آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا باليوم ا لآخر، وشرعوا لأنفسهم ما أذن الله به، وعملوا الصالحات التي تنجيهم. فكان جزاؤهم هذا النعيم المقيم.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· المقابلة بين "مشفقين" و"في روضات الجنات"، مقابلة بديعة بين حال الظالم وحال المؤمن.
· وصف الجنة بأنها "روضات" مما يبعث في النفس السكينة والطمأنينة والبهجة.
· التأخير في ذكر الجزاء "في روضات الجنات" يشوق النفس إلى معرفة هذا المصير.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا المشهد يملأ قلبك شوقًا إلى الجنة .أن تكون في روضات الجنات، في أمان واطمئنان، بينما غيرك في عذاب أليم .هذا الشوق هو وقود العمل الصالح.
· الرسالة التربوية: شوّق أبناءك إلى الجنة، صف لهم روضاتها، حدثهم عن أنهارها وأشجارها، ليتعلقوا بها ويعملوا لها.
· الرسالة العملية: اسأل نفسك كل يوم: "ماذا عملت اليوم لأكون في روضات الجنات؟" .هذه التذكرة اليومية تدفعك لملء صحيفتك بالصالحات.

**المحور السادس: دلالة (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) وإتمام النعيم

وبعد ذكر المكان، يأتي ذكر ما فيه من كمال النعيم.

"لهم ما يشاءون":
أي أن لهم في هذه الروضات كل ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم. لا يُمنعون من شيء يريدونه. خيال الإنسان لا يمكن أن يحيط بملذات الجنة، وهذا النص يفتح الباب على مصراعيه لكل ما تحلم به النفس من سعادة.

"عند ربهم":
وهذه أعظم من كل النعيم السابق. إن النعيم "عند الله"! وهذا يعني القرب من الله، والنظر إلى وجهه الكريم، والفوز برضوانه. وشرف المكان بشرف صاحبه، فعند ربهم هو أشرف مكان وأعلاه.

"ذلك هو الفضل الكبير":
"ذلك" أي ما أعطاهم الله من النعيم في روضات الجنات ."هو الفضل الكبير" أي الفضل الذي لا يدانيه فضل، والخير العظيم الذي لا يوصف .فهو كبير في ذاته، وكبير بالنسبة لمقابله وهو العمل اليسير في الدنيا .إنه فضل من الله، ليس ثمنًا للعمل، بل هو عطاء ومنة وكرم.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "لهم ما يشاءون" بصيغة المضارع تفيد تجدد المشيئة والعطاء، فهم في نعيم دائم متجدد.
· "عند ربهم" تشريف عظيم، وإضافة النعيم إلى الرب الكريم.
· "ذلك هو الفضل الكبير" قصر وتوكيد للفضل .فهو الفضل فحسب، لا شيء غيره يستحق أن يسمى فضلًا كبيرًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا الوصف يجعلك تشعر بصغر الدنيا وحقارتها .ما تطلبه في الدنيا قليل زائل، وما تطلبه في الجنة كثير دائم .هذا يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة.
· الرسالة التربوية: اغرس في أبنائك حب الله والتعلق به .قل لهم: "الجنة جميلة، ولكن الأجمل أن نكون عند ربنا، نراه ونكلمه" .هذا يبني فيهم أعلى درجات الإيمان والإحسان.
· الرسالة العملية: اعمل لله، لا للجنة فقط .اطلب الجنة، ولكن اطلب معها رضا الله والقرب منه .فهذا هو الفضل الكبير حقًا.

**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية التشريع والحاكمية: ترسخ الآية الأولى مبدأ أن التشريع حق خالص لله، وأن كل تشريع من دونه هو شرك وظلم.
.2قضية سنة الإمهال: تعالج الآية حكمة الله في تأخير عقاب الظالمين إلى يوم القيامة.
.3قضية الجزاء العادل: تؤكد الآية الثانية أن الجزاء سيكون من جنس العمل، فالظالمون في نار يشفقون، والمؤمنون في نعيم يشتهون.
.4قضية قيمة الفضل الإلهي: تظهر أن دخول الجنة ليس ثمنًا للأعمال، بل هو فضل من الله وكرم.

**القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة التسليم لله في التشريع: وهي من أعظم قيم التوحيد العملي.
.2قيمة الخوف من عذاب الله: التي تجعل المؤمن على حذر دائم من الظلم والمعاصي.
.3قيمة الأمل في رحمة الله وفضله: التي تدفع المؤمن للعمل الصالح رغبًا في الجنة وفضلها.
.4قيمة العدل والإنصاف: في الحكم على الناس، وأن العاقبة للمتقين.

*أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ توحيد الله في الربوبية والألوهية والتشريع.
.2البعد الأخلاقي: التحذير من الظلم، والترغيب في العدل والعمل الصالح.
.3البعد النفسي: خلق حالة من الخوف من يوم القيامة، مع حالة من الشوق إلى الجنة ونعيمها.
.4البعد الحضاري: بناء مجتمع يرفض الشرائع الباطلة، ويحتكم إلى شريعة الله العادلة.
*أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم) حصرية التشريع لله(: أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يشرع لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.
· مفهوم) الإمهال والإملاء(: أن تأخير العقوبة ليس دليل رضا، بل هو إمهال واستدراج.
· مفهوم) الفضل الإلهي(: أن الجنة ونعيمها فضل من الله وكرم، ليس ثمنًا للعمل.

ثانيا: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية الضمير على رفض الشرائع الجاهلية: وعدم الرضوخ للقوانين التي تخالف شرع الله.
· تربية النفس على استشعار مراقبة الله: واليقين بأن العذاب واقع بالمكذبين.

ثالثا: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم) الشوق إلى روضات الجنات(: جعل هذا الشوق هو المحرك الأول للعمل الصالح.
· مفهوم) الخوف من سوء الخاتمة(: أن يموت الإنسان على ظلم أو شرك فيكون من أصحاب الإشفاق.

**دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان رباني: إنسان همه الأوحد هو طاعة ربه في كل ما أمر ونهى عنه، ولا يلتفت إلى أهواء البشر.
.2بناء مجتمع عادل: مجتمع لا يرضى بحكم الطواغيت، ويطالب بتحكيم شريعة الله التي تضمن العدالة للجميع.
.3بناء حضارة متوازنة: حضارة لا تغفل حق الله في التشريع، ولا تغفل حق الإنسان في العدالة و الحرية، وتسير على صراط مستقيم.

**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعرف قدره ومكانته في التشريع. يريدنا أن نتمسك بشرعه، وألا نكون ممن يشرعون من دونه. يريدنا أن نوقن بعدله، فنخافه ونتقيه. يريدنا أن نطمع في فضله، فنسعى لروضات جنانه. يريدنا أن ننظر إلى الدنيا بعين البصيرة، فنرى الظالمين في نعيمهم كيف يملى لهم، ونرى المؤمنين

في صبرهم كيف ينتظرهم الفضل الكبير.

كيف نعيش هذه الآيات عمليًا؟

.1لا تشارك في تشريع يخالف شرع الله: سواء في التصويت على قوانين تخالف الشريعة، أو في نشر أفكار علمانية، أو في التحاكم إلى غير ما أنزل الله.
.2اصبر على ظلم الظالمين: ولا تظن أن الله غافل عما يفعلون .تذكر أن لهم "عذاب أليم" ينتظرهم، وأنت لك "روضات الجنات" تنتظرك.
.3عش مشهد الآخرة: اجعل في يومك لحظة تتفكر فيها بقول الله: "ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم" .هذا التخيل يردعك عن المعاصي، ويحفزك على الطاعات.
.4اطلب الفضل الكبير: في كل صلاة، وفي كل دعاء، اسأل الله أن يجعلك من الذين يرثون روضات الجنات، وأن يمنحك الفردوس الأعلى، "ذلك هو الفضل الكبير".
.5ذكر الناس بهذه المعاني: كن واعظًا صغيرًا .شارك هذه التفسيرات مع أهلك وأصدقائك، لتكون سببًا في هدايتهم وتذكيرهم، فتنال أجرهم.

أيها الحبيب في الله، هاتان الآيتان هما نور على نور. الأولى تحرك فيك الغيرة على شرع الله، و الثانية تحرك فيك الخوف والرجاء معًا. عش بهما، واستنر بهداهما، واجعل حياتك بين إشفاق من سوء الخاتمة، وشوق إلى روضات الجنات.
ثانيا
أيها السائر على درب الإيمان، والمتشوق للفوز بالبشرى العظيمة، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آيتين من سورة الشورى تحملان في طياتهما دستور الدعوة الصادقة، وقانون الجزاء المضاعف، وتكشفان عن أعماق النفوس المريضة .بعد أن كشفت الآيات السابقات عن مصير الظالمين والمؤمنين، يأتي هذا المقطع القرآني ليخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بتبشير المؤمنين العاملين، ويأمره بإعلا ن براءة دعوته من أي غرض دنيوي، ثم يرد على افتراءات المشركين ويكشف عن زيغ قلوبهم .إنها ا لآيتان الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون:

﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى:(23
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الشورى:(24

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، تضعان بين يديك معيارًا دقيقًا للصدق في طلب الآخرة، وتكشفان لك عن حقيقة الدعوة النقية التي لا تشوبها شائبة .إنهما تبينان لك أن الرصيد الحقيقي ليس في الأموال ولا في الشهرة، بل في رصيد الحسنات الذي ينميه الله ويزكيه لعباده المخلصين . دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما بوصلة لحياتنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1فهم حقيقة البشرى الإلهية وشروطها: أن ندرك أن الفضل الذي ينتظر المؤمنين مشروط بالإيمان و العمل الصالح، لا بمجرد الانتماء.
.2استيعاب شرط الداعية الصادق: أن نتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم تجريد الدعوة من كل مصلحة مادية أو معنوية، وأهمية "المودة في القربى".
.3إدراك قانون مضاعفة الحسنات: أن نوقن بأن الله شكور غفور، يجزي على الحسنة بأضعافها، ويغفر السيئات.
.4تحليل نفسية المفترين على الله: أن نعرف لماذا يفتري المشركون الكذب على الله، وما هو عقابهم الدنيوي والأخروي.
.5التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نجعل أعمالنا الصالحة رصيدًا حقيقيًا، وكيف ننشر المحبة والألفة في مجتمعنا.

**تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.

**المحور الأول: دلالة قوله) ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ (وبيان البشرى للمؤمنين

يبدأ الله هذه الآية بالإشارة إلى ما سبق من "الفضل الكبير" في نهاية الآية السابقة .فلقد ذكر أن للمؤمنين في روضات الجنات ما يشاءون، وأن ذلك هو الفضل الكبير .ثم يؤكد هنا: "ذلك الذي يبشر الله عباده" .إنها بشرى من الله، وليست مجرد وعد .والبشرى هي الخبر السار الذي يبعث في النفس الفرح والطمأنينة.

من هم العباد المبشرون؟
"عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات" .إنه وصف جامع للأهلية لهذه البشرى .فالله يبشر عباده، ولكن ليس كل العباد .بل الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح .فهؤلاء هم الذين أخلصوا العبودية لله، وامتثلوا منهجه، وصدقوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم .فالبشرى هنا مشروطة بالإيمان والعمل، وهذا هو مقتضى العدل الإلهي .فالأعمال هي التي تحدد المصير الذي ينتظر كل فريق .فالتقوى والتزود بها بالا عمال الصالحة المستندة للإيمان القائم على العلم والتوحيد، هي مفتاح النجاة والسلامة والفوز.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· اسم الإشارة "ذلك" يعود إلى الفضل الكبير المذكور سابقًا، وفيه تفخيم وتعظيم لهذه البشرى.
· إضافة العباد إلى الله "عباده" تشريف عظيم، فهم العباد المخلصون لله، المكرمون عنده.
· الفعل المضارع "يبشر" يدل على تجدد هذه البشرى واستمرارها، فهم في نعيم دائم وفي فرح متجدد.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه البشرى تملأ قلبك فرحًا وسرورًا .أنت تصلي وتصوم وتتصدق، فتذكر أن الله يبشرك بالفضل الكبير .هذا الشعور يحول العبادة من أداء واجب ثقيل إلى فرحة ولذة قلبية.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على أن قيمة الإنسان عند الله ليست بنسبه ولا بماله، بل بإيمانه وعمله الصالح .شجعهم على الأعمال الصالحة، واذكر لهم البشرى التي تنتظرهم، ليقدموا عليها برغبة وشوق.
· الرسالة العملية: اسأل نفسك كل يوم: "أين أنا من هذه البشرى؟ هل أنا من عباد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟" .هذه المراجعة تدفعك لتصحيح مسارك، وتجديد نيتك، والإكثار من الصالحات.
*-المحور الثاني: دلالة) قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ (وتجريد الدعوة من الأغراض

يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن لقومه بكل وضوح: "لا أسألكم عليه أجرًا" .لقد أرسلك الله رحمة للعالمين، وهداية للناس، فلا تطلب منهم مالًا ولا جاهًا ولا سلطانًا .هذه هي سمة كل نبي، كما قال نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم .إنها دعوة مجردة، لا يشوبها طمع دنيوي، ولا مصلحة شخصية.

ما معنى "إلا المودة في القربى"؟
هنا وقف المفسرون على رأيين عظيمين:

.1الأول: أن المراد هو مصاهرته صلى الله عليه وسلم لقريش وقرابته منهم .فكان هذا الاستثناء طلبًا لأن يودوه ويكفوا أذاهم عنه لقرابته فيهم .فهو ليس أجرًا ماليًا، بل هو حق القرابة.
.2الثاني: وهو الذي ذهب إليه كثير من المحققين، أن "المودة في القربى" تعني مودة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته، ومحبتهم واحترامهم .فالنبي لا يسأل أجرًا لنفسه، بل الأجر يعود إليكم أنتم، وهو أن تودوا قرابتي وتحبوهم لأجلي.

والراجح الجامع هو: أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا أطلب منكم أجرًا على دعوتي لكم إلى الخير، إلا أن تحفظوا حق القرابة بيني وبينكم، فإن لي في كل بطن من قريش رحمًا، فإن لم تؤمنوا بي، فلا أقل من أن تمسكوا حق القرابة فلا تؤذوني" .وهذا من كمال شفقته ورحمته بهم.

غرس مفهوم المحبة والمودة بين الأقارب:
هذه الآية تحث على غرس مفهوم المحبة والمودة بين الأقارب، وتحثهم على التعاون والتآلف والا جتماع على الحق .فصلة الرحم من أعظم القربات، وطلب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك هو تشريع للأمة بالتمسك بصلة الأرحام، وبذل الود والبر للقرابة .فالمودة والمحبة الصادقة، لا تلك التي تقوم على المصالح الزائلة، هي التي تبني المجتمعات وتوحد القلوب.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· أسلوب الاستثناء "إلا" هنا متصل، والمعنى: لا أسألكم أجرًا بوجه من الوجوه، لكني أطلب منكم المودة في القربى، وهي ليست أجرًا لي بل هي خير لكم.
· "في" في قوله "في القربى" للظرفية، أي اجعلوا مودتكم وبركم في دائرة القرابة .أو بمعنى "من أجل"، أي مودتكم إياي من أجل قرابتي فيكم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تعلمك الصدق والإخلاص في دعوتك وإحسانك .لا تنتظر من الناس شكرًا ولا أجرًا، واجعل أجرك على الله .هذا الشعور يريح قلبك، ويجعلك تفعل الخير دون انتظار مقابل من البشر.
· الرسالة التربوية: اغرس في أبنائك قيمة صلة الرحم .علمهم أن محبة الأقارب وبرهم واحترامهم هو من أخلاق النبوة .اشرح لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب من قومه أن يكفوا أذاهم عنه لقرابته فيهم، فكيف بمن يؤذي أقاربه هو؟
· الرسالة العملية: كن أنت القدوة في صلة رحمك .زُر أقاربك، تفقدهم، ساعدهم، وأحبهم في الله .بهذا تحيي سنة نبوية عظيمة، وتنال أجر الدعوة إلى الله.
**المحور الثالث: دلالة) وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا (وقانون الجزاء المضاعف

بعد بيان تجريد الدعوة، يأتي بيان القانون الإلهي في الجزاء ."يقترف حسنة" أي يكتسبها ويعملها .و الحسنة هي كل قول أو فعل يرضي الله .وكلمة "يقترف" تدل هنا على القصد والاكتساب عن طواعية واختيار.

"نزد له فيها حسنًا":
أي نضاعف له أجرها، ونزيده من فضلنا .الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وهذه الزيادة تشمل الكم والكيف .فالكم: أن الله يضاعف عدد الحسنات .والكيف: أن الله يزيد في جودة الحسنات وثوابها، فيجعلها أعظم أجرًا وأتم سرورًا .وهذا هو الرصيد الحقيقي الذي يجب أن تحرص عليه: رصيدك من الحسنات، الذي ينميه الله ويزكيه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يقترف" تدل على الفعل بإرادة، وكثيرًا ما تستعمل في السيئات، أما هنا فهي في الحسنات للدلالة على أن فعل الحسنة يحتاج إلى قصد وإرادة جازمة.
· "نزد له" جاءت بصيغة الجمع المتكلم) نحن (للتعظيم، فالله العظيم هو الذي يزيد ويتفضل.
· "فيها" أي في جنسها ونوعها، أو بسببها .فالزيادة تحصل في الحسنة نفسها، فتصبح وكأنها حسنة متضاعفة في ذاتها.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا يملأ قلبك طمأنينة وسعادة .فكل حسنة تعملها، أنت تستثمرها في بنك لا يفلس، وربحه مضمون ومضاعف .هذا يشجعك على فعل الخير، ولو كان قليلًا، فالله يبارك فيه وينميه.
· الرسالة التربوية: شجع أبناءك على الحسنات، حتى الصغيرة منها .علمهم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا .قل لهم: "تبسمك في وجه أخيك صدقة .لا تحقرن من المعروف شيئًا".
· الرسالة العملية: اجتهد في كل يوم أن تكتسب حسنات جديدة .في كل صلاة، في كل معاملة، في كل كلمة طيبة، أنت تقترف حسنة .عش حياتك وكأنك تجمع الأرباح في تجارتك مع الله.
**المحور الرابع: دلالة) إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (وإتمام النعمة بالغفران والشكر

يختم الله الآية بهذين الاسمين العظيمين، وهما لهما علاقة مباشرة بما سبق.

"غفور":
هو الذي يستر الذنوب ويتجاوز عن السيئات .وهو الغفار لذنوب عباده المؤمنين .فإذا أذنب العبد ثم تاب، غفر الله له وستره .وهذا من تمام البشرى؛ فالمؤمن قد يذنب ويقترف سيئة، ولكن الله غفور، يمحو السيئة ويبدلها حسنة.

"شكور":
هو الذي يشكر القليل من العمل، ويثيب عليه الثواب الجزيل .فمن يعمل حسنة، الله يشكره عليها، أي يثني عليه ويمدحه ويجزيه بأفضل مما عمل .فالعبد يعطي باليد القصيرة، والله يعطيه باليد الطويلة .

إنه كرم من الله، أن يسمي جزاءه على العمل شكرًا!

اللمسات البيانية والبلاغية:

· التقديم بين الاسمين: "غفور" أولًا ليطهر العبد من سيئاته، ثم "شكور" ليعطيه على حسناته .وهذا الترتيب بديع، فغفران الذنوب مقدم على قبول الحسنات.
· صيغة المبالغة "غفور" و"شكور" تدل على كثرة المغفرة وكثرة الشكر، فلا ييأس عبد من رحمة الله أبدًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الأسماء تملأ قلبك رجاءً وأملًا .لا تقل: "ذنوبي كثيرة، فكيف يغفر لي؟" .قل: "إن الله غفور شكور، يغفر الذنوب جميعًا، ويشكر القليل من العمل" .هذا الشعور يمنعك من اليأس، ويدفعك للتوبة والعمل الصالح.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على التوازن بين الخوف والرجاء .خوفهم من عقاب الله، ولكن أرهم سعة رحمته ومغفرته .اذكر لهم قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم تاب، فغفر الله له.
· الرسالة العملية: لا تيأس من رحمة الله مهما كانت ذنوبك .بادر بالتوبة، ثم اعمل الصالحات، ثق بأن الله سيشكر لك عملك ويغفر لك ذنبك.
**المحور الخامس: دلالة) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (وتحليل نفسية المفترين

بعد كل هذه البشرى وهذا البيان، ينتقل القرآن إلى الرد على افتراءات المشركين .فقد كانوا يقولون: إن محمدًا افترى هذا القرآن على الله، وليس هو بوحي.

لماذا يفترون هذه الفرية؟
سبب افترائهم هو فساد تصوراتهم عن الله .إنهم لا يعرفون حقيقة الألوهية، وتصوراتهم قائمة على الوهم والخرافة .فهم يعتقدون أن الآلهة شركاء، وأنها تنفع وتضر، فسهل عليهم أن يتهموا النبي بافتراء الكذب على الله .قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ .فجهلهم بالله هو الذي أورثهم هذه الجرأة.

اللمسات البيانية والبلاغية:
"أم" هنا للإضراب والانتقال، مع استفهام إنكاري .فبعد أن ذكر الحق، ينتقل ليستنكر قولهم الباطل .
"افترى" أي اختلق واختلق، وهو فعل فيه تجرؤ عظيم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تريح قلب المؤمن من أكاذيب المفترين .لا تندهش عندما ترى الناس يفتري على الله ورسوله .فقد حدث هذا مع كل نبي .تأسَّ بنبيك، وتذكر هذه الآية.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يتأثروا بالشائعات والأكاذيب التي تثار حول الإسلام .زودهم بالعلم الكافي ليدفعوا هذه الافتراءات.
· الرسالة العملية: لا تنشر ما لا تتثبت منه .واحذر أن تكون ممن يفتري على الله بغير علم، فذلك من أعظم الظلم.

**المحور السادس: دلالة) فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ (والرد على المشركين

هذا رد قاطع على افترائهم .يقول الله: "فإن يشأ الله يختم على قلبك" .والمعنى: لو كنت تفترى على الله الكذب كما زعمتم، لعاقبك الله عقابًا عاجلًا، ولختم على قلبك، فجعلك لا تعي ولا تفهم، ولطمس على بصيرتك .وهذا هو عقاب المفترين على الله .فهو تهديد ضمني لهم: كيف لرجل مفترٍ على الله أن يستمر في دعوته، وأن تزداد قوة، وأن ينزل عليه هذا القرآن المعجز؟ إن استمرار الوحي هو دليل على صدقه.

"ويمح الله الباطل ويثبت الحق بكلماته":
الله بفضله وقدرته، يمحو ويزيل الباطل الذي يقوله المفترون، ويثبت الحق الذي جاء به رسله .في القرآن كلمات الله، وهي التي تثبت الحق وتدحض الباطل .وما يقوله المشركون من افتراءات فهو زائل لا محالة، والحق باقٍ ثابت.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "إن يشأ الله يختم على قلبك" تعليق للأمر بمشيئة الله، للدلالة على أن كل شيء بإرادته .وفيه أيضًا تهديد للكفار.
· "يمح" و"يثبت" فعلان مضارعان للدلالة على تجدد هذا المحو والإثبات، فالباطل يمحى كل حين، و الحق يثبت.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تمنحك ثقة ويقينًا بأن الحق منصور، والباطل زاهق .مهما زخرف المفترون أقوالهم، ومهما أذاعوا شبهاتهم، فالله يمحو باطلهم ويثبت الحق .هذا الشعور يجعلك صابرًا ثابتًا.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يتمسكوا بالحق، وألا يخافوا من كثرة الباطل.
· الرسالة العملية: كن جنديًا من جنود الحق .انشر العلم النافع، وادحض الشبهات بالحكمة والموعظة الحسنة.
**المحور السابع: دلالة) إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (وكشف البواعث الخفية

يختم الله الآية بهذا التهديد المبطن، وبهذا التطمين للمؤمنين ."ذات الصدور" هي الأسرار والخفايا و الضمائر، وما تنطوي عليه القلوب من خير أو شر .فالله يعلم ما في صدر كل مفترٍ من حسد وبغي وكبر .ويعلم ما في صدر كل مؤمن من صدق وإخلاص ويقين .فهو سيحاسب الناس على ما في صدورهم.

اللمسات البيانية والبلاغية:
"ذات الصدور" تعبير بليغ، يشمل كل الخفايا والأسرار .فالله عليم بكنهها وحقيقتها، لا تخفى عليه خافية .وهذا فيه وعيد للكافرين، ووعد للمؤمنين بأن الله يعلم إخلاصهم وصدقهم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تجعلك تراقب قلبك .قبل أن تراقب أعمالك، راقب نيتك .ماذا يدور في صدرك؟ إن كان خيرًا فاحمد الله، وإن كان شرًا فطهره.
· الرسالة التربوية: رب أبناءك على الإخلاص .قل لهم: "الله يعلم ما في قلوبكم، فلا تظهروا خلاف ما تبطنون".
· الرسالة العملية: اجعل مراقبة ذات الصدور عبادة .تذكر دائمًا: "إنه عليم بذات الصدور"، فتصحح نيتك قبل أي عمل.
**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية الدعوة وواجب الداعية: تتناول الآية الأولى أسس الدعوة الصحيحة، والتي تقوم على تجريد النية لله، وعدم طلب المصلحة الشخصية، والحث على المودة وصلة الرحم.
.2قضية الجزاء والعمل: تربط الآيتان بين الأعمال والجزاء، وتؤكدان أن المصير في الآخرة يتحدد بالإ يمان والعمل الصالح، وأن من مقتضيات الإيمان إخلاص النية لله.
.3قضية مواجهة الافتراءات: تعالج الآية الثانية حقيقة الافتراء على الله، وتبين سببه وهو الجهل، وتذكر عقوبته، وتؤكد سنة الله في نصرة الحق وإمحاق الباطل.
.4قضية علم الله الشامل: ترسخ الآية الإيمان بأن الله مطلع على السرائر، عليم بما في الصدور، وهو الذي يحاسب الناس بناء على ما يعلمه من نياتهم.

**القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة الإخلاص: أن يكون العمل خالصًا لله، والدعوة موجهة لوجهه، لا تشوبها شائبة من رياء أو سمعة.
.2قيمة صلة الرحم والمحبة في القربى: وهي قيمة اجتماعية عالية، تجعل المجتمع متماسكًا متحابًا.
.3قيمة الأمل والرجاء: من خلال اسمي "الغفور الشكور"، وقانون مضاعفة الحسنات.
.4قيمة الثبات على الحق والثقة بنصر الله: مهما كثرت الافتراءات والأكاذيب.

**أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة الجزاء بالعدل والفضل، وعقيدة علم الله الشامل، وعقيدة عصمة الأ نبياء من الافتراء.
.2البعد الاجتماعي: تأسيس العلاقات الاجتماعية على المودة والقربى، مما ينتج مجتمعًا مترابطًا.

.3البعد الدعوي والأخلاقي: تقديم نموذج للداعية الصادق الذي لا يطلب أجرًا، ويتحمل الأذى والا فتراء، ويسير في طريقه ثابتًا.
.4البعد النفسي: غرس حالة من الأمل الدائم، والطمأنينة، والخوف من جليل علم الله.

**أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم البشرى بالمشروط: أن البشرى مقرونة بالإيمان والعمل الصالح.
· مفهوم الدعوة المجانية: أن الدين لا يُباع ولا يُشترى به.
· مفهوم محو الباطل وإثبات الحق: سنة إلهية ماضية.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النية والإخلاص: في القول والعمل.
· تربية العلاقات الأسرية: على المودة والرحمة وصلة الرحم.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم السعادة بالحسنة: شعور الفرح الداخلي بأنك تعمل صالحًا.
· مفهوم الطمأنينة وسط الأكاذيب: الاطمئنان إلى أن الله عليم بما في الصدور، وسيمحق الباطل.
**دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان مخلص: همه إرضاء الله، لا ينتظر شكر الناس.
.2بناء مجتمع متكافل: أساسه المودة والمحبة وصلة الرحم.
.3بناء حضارة خيّرة: تسود فيها الأخلاق الفاضلة، وتختفي الأنانية والمصالح الضيقة.

**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون ممن نالوا البشرى .يريدنا أن نكون دعاة صادقين، لا نطلب على الخير أجرًا من الناس .يريدنا أن نحسن إلى أقاربنا، وأن نصل أرحامنا .يريدنا أن نستكثر من الحسنات، لأنها رصيدنا الحقيقي .يريدنا أن نثق بوعد الله، وألا نرهب افتراءات المفترين.

كيف نعيش هذه الآيات عمليًا؟

.1جدد نيتك الآن: اجعل كل أعمالك لله .قل قبل كل عمل: "اللهم هذا لوجهك الكريم، فتقبله مني، وزدني فيه حسنًا".
.2صل رحمك هذا الأسبوع: اتصل بقريب لم تكلمه منذ زمن .زُر عمة أو خالة .أرسل هدية لقريب بعيد .اطلب منهم الدعاء، وأشعرهم بالمحبة.
.3لا تنتظر الشكر من أحد: عندما تقدم معروفًا لشخص، لا تنتظر منه مقابلًا أو شكرًا .قل في نفسك: "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا".
.4استكثر من الحسنات: خصص لنفسك وردًا يوميًا من الصدقة، ولو بالقليل .أكثر من قول "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" .فهي حسنة تثقل الميزان.
.5لا تنزعج من الشائعات: إذا سمعت كذبًا أو افتراءً على دينك أو على أهل الخير، فتذكر أن الله يمحو الباطل ويثبت الحق .كن واثقًا في وعد الله، ودافع بلسانك وقلمك عن الحق.

أيها الحبيب في الله، هذه هي البشرى، وهذا هو الطريق، وهذه هي التجارة الرابحة .فكن من أهلها، وادعُ إليها، تكن من المفلحين الفائزين

القسم الثالث

اولا

أيها العائد إلى ربه، والمتشوق لرحمته، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آيتين من سورة الشورى، هما من أرجى آيات القرآن الكريم وأبعثها للأمل. بعد أن كشفت الآيات السابقات عن قانون الجزاء، وعن البشرى للمؤمنين، يأتي هذا المقطع القرآني ليفتح باب الرجاء على مصراعيه، وليعلن أن الله الذي يبشر عباده هو نفسه الذي يقبل توبتهم، ويجيب دعوتهم، ويمدهم بفضله. إنها الآيتان الخامسة و العشرون والسادسة والعشرون:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الشورى:(25
﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الشورى:(26)

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما نافذة على رحمة الله التي وسعت كل شيء. إنهما تقولان لك: مهما كانت ذنوبك، ومهما بلغت سيئاتك، فإن باب التوبة مفتوح، والله ينتظرك ليقبل توبتك ويعفو عنك ويزيدك من فضله. إنهما تجمعان بين الخوف والرجاء، وتدعوانك إلى الإقبال على الله بقلب تائب ، ولسان داع. دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما زادًا لقلوبنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1.فهم سعة رحمة الله في قبول التوبة: أن ندرك أن الله لا يمل من قبول توبة عباده، وأن العفو عن السيئات هو صفة ملازمة له.
2.استشعار قيمة الدعاء والاستجابة: أن نوقن بأن الله قريب، يسمع دعاءنا ويستجيب لنا، وأن الا ستجابة مقرونة بالإيمان والعمل الصالح.
3.فهم قانون "الفضل الإلهي": أن نعرف أن ما ينتظرنا من خير هو محض فضل من الله، ليس ثمنًا لأعمالنا فقط.
4.التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نسارع بالتوبة، ونديم الدعاء، ونحسن العمل، لنكون أهلًا للفضل الإلهي.
*تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.

**المحور الأول: دلالة قوله (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) وبيان عظمة قبول التوبة

يبدأ الله هذه الآية بصيغة الحصر: "وهو الذي..."، أي أن الله وحده، لا غيره، هو الذي يقبل التوبة عن عباده. هذا الحصر يعطيك يقينًا بأنك لن تجد ملجأ ولا ملاذًا إلا إليه. فمهما حاولت أن تبحث عن من يغفر لك ذنوبك ويمحو خطاياك، فلن تجد إلا الله. فلماذا تذهب إلى غيره؟ ولماذا تيأس من روحه؟

معنى "يقبل التوبة":
التوبة في اللغة هي الرجوع. وفي الشرع هي الرجوع عن معصية الله إلى طاعته. والله سبحانه "يقبل التوبة"، أي يتقبلها ويأخذها ويفرح بها. إنه يفرح بتوبة عبده أشد من فرح الرجل الذي فقد راحلته في الصحراء وعليها طعامه وشرابه، ثم وجدها بعد أن يئس. فالله ينتظر توبتك بفرح وشوق، فهل تبادر إليها؟

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يقبل" فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار .فالله دائم القبول للتوبة، لا يتوقف عن ذلك أبدًا .كلما أذنبت وتبت، قبلك.
· "عن عباده" إضافة تشريف للعباد؛ فهم عباده، وهو ربهم الرحيم بهم .وهذا يدعوهم للرجوع إليه.
· تقديم الجار والمجرور "عن عباده" على الفاعل يفيد الاختصاص والعناية، فالتوبة مقبولة عن العباد دون غيرهم من المخلوقات.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تملأ قلبك رجاءً وأملًا .أنت عبد خطاء، ولكن لك ربًا توابًا .مهما عظم ذنبك، لا تقنط من رحمة الله .بابه مفتوح، وهو ينتظرك .هذا الشعور يطرد اليأس من قلبك، ويملؤه طمأنينة وسكينة.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك قيمة التوبة .إذا أخطأوا، لا تقابلهم بالقسوة والطرد، بل ذكرهم بأن الله يقبل التوبة، وافتح لهم باب العودة .هذا يربيهم على الصراحة والصدق، لا على الخوف والكذب.
· الرسالة العملية: لا تؤجل التوبة! بادر الآن .مهما كان الذنب، ومهما تكرر، عد إلى الله .هو ينتظرك . اجعل في كل يوم وقتًا للتوبة والاستغفار.

**المحور الثاني: دلالة (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) وسعة العفو الإلهي

بعد قبول التوبة، يأتي العفو. والعفو أبلغ من مجرد القبول. فالقبول يعني أن التوبة قبلت، أما العفو فهو محو أثر الذنب وعدم المؤاخذة به، كأنه لم يكن.

الفرق بين قبول التوبة والعفو عن السيئات:
قبول التوبة يرجع إلى العبد، فهو الذي يتوب ويندم ويعزم على عدم العودة. أما العفو فهو من الله وحده، وهو أن يزيل أثر الذنب من صحيفتك، فلا تعاقب عليه ولا توبخ به. إنه كرم من الله وجود. فهو لا يكتفي بقبول توبتك، بل يعفو عن سيئاتك ويسترها عليك في الدنيا والآخرة.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يعفو" مضارع للدلالة على التجدد .فالله دائم العفو عن عباده.
· "السيئات" جمع محلى بـ "ال"، فيفيد العموم، أي جميع السيئات صغيرها وكبيرها، ما لم تكن شركًا يخرج من الملة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تريح قلبك من ثقل الذنوب .قد تتوب وتندم، ولكن الشيطان يذكرك بذنوبك ليحزنك .هذه الآية تقول لك: الله يعفو عن السيئات، فلا تلتفت إلى وساوس الشيطان .أنت عند الله بمنزلة من لم يذنب.
· الرسالة التربوية: عامل أبناءك بالعفو .إذا أخطأوا واعتذروا، فاعفُ عنهم ولا تعيرهم بذنوبهم .هذه القدوة تغرس فيهم الرحمة وسعة الصدر.
· الرسالة العملية: اعفُ عن الناس .كما يحب الله أن يعفو عنك، أحب أن تعفو عن إخوانك .من عفا وأصلح فأجره على الله.
**المحور الثالث: دلالة (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) والمراقبة الإلهية

يختم الله هذه الآية باسمه العليم. وهذا الربط بديع جدًا. فهو يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، وهو في نفس الوقت "يعلم ما تفعلون". يعلم ذنوبك وتقصيرك، ويعلم توبتك وصدقك. فقبوله توبتك وعفوه عنك ليس عن جهل بحالك، بل عن علم تام. وهو يعلم ما ستفعله بعد التوبة. إنها رقابة محفزة، تجعلك تحسن العمل وتجتنب المعاصي.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يعلم" فعل مضارع يدل على استمرار العلم وإحاطته بكل شيء.
· "ما تفعلون" عامة تشمل كل الأفعال، خيرها وشرها.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تجعلك في حالة يقظة دائمة .أنت تعلم أن الله مطلع عليك، فيدفعك هذا للإخ لاص في التوبة، والاجتهاد في الطاعة.
· الرسالة التربوية: اغرس في أبنائك مراقبة الله .قل لهم: "الله يرانا ويسمعنا ويعلم ما في قلوبنا" . هذا أفضل رادع عن الخطأ، وأفضل حافز على الخير.
· الرسالة العملية: راقب أفعالك .قبل أن تفعل شيئًا، تذكر أن الله يعلم ما تفعل، فيكون ذلك حاديًا لك لفعل الخير، ومانعًا لك من فعل الشر.

**المحور الرابع: دلالة (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وربط الاستجابة بالإيمان والعمل

بعد الحديث عن التوبة والعفو، تأتي الآية الثانية لتتحدث عن الدعاء والاستجابة. "يستجيب" أي يجيب دعاءهم ويحقق مطلبهم. وهذه الاستجابة مقرونة بوصفين: الإيمان والعمل الصالح. فالذين آمنوا بقلوبهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، هؤلاء هم أهل الاستجابة من الله. وكما قال تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. فاستجابة الله لك مرهونة باستجابتك له أولا ً.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يستجيب" مضارع للدلالة على التجدد، فكلما دعوا استجاب لهم.
· "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" إشارة إلى أن الدعاء عبادة، وأن قبولها مرتبط بالإيمان والعمل.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلبك ثقة في وعد الله .أنت تدعو الله، وتنتظر الإجابة .هذه الآية تؤكد لك أن الإجابة آتية .هذا الشعور يزيدك إيمانًا ويقينًا.
· الرسالة التربوية: دل أبناءك على الدعاء، واربطهم بالله .قل لهم: "ادعوا الله بكل ما تريدون، وآمنوا به، واعملوا صالحًا، وسيستجيب لكم".
· الرسالة العملية: أكثر من الدعاء في كل حين .في سجودك، في طريقك، قبل نومك، وعند استيقاظك .واجعل لسانك رطبًا بذكر الله ودعائه.
**المحور الخامس: دلالة (وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ) وبيان الكرم الإلهي

بعد أن يستجيب الله لهم، لا يقف الأمر عند هذا الحد. بل يزيدهم من فضله. يعطيهم فوق ما طلبوا، وأكثر مما أملوا. إنه كرم إلهي لا حدود له. فضله واسع، لا يقتصر على إجابة الدعاء، بل يتجاوزه إلى مزيد من النعم والخيرات والتوفيق. هذه الزيادة من الفضل هي التي تجعل المؤمن في نعيم دائم وسعادة لا توصف.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يزيدهم" مضارع للدلالة على كثرة الزيادة وتجددها.
· "من فضله" إشارة إلى أن الزيادة ليست استحقاقًا من العبد، بل هي محض تفضل وإنعام من الله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تملأ قلبك طمأنينة وسكينة .أنت لست فقط تحصل على ما تطلب، بل سيزيدك الله من فضله .هذا يجعلك دائم الرجاء، واسع الأمل.
· الرسالة التربوية: شجع أبناءك على الدعاء، وذكرهم بأن الله كريم، يعطي فوق ما يُسأل.
· الرسالة العملية: لا تحدد طلباتك .اطلب من الله ما شئت، وثق بأنه سيعطيك ويزيدك.

**المحور السادس: دلالة (وَالكافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) والمقابلة بين الفريقين

بعد أن ذكر حال المؤمنين وما ينتظرهم من استجابة وزيادة في الفضل، يختم الآية بذكر ما ينتظر الكافرين. وهذه هي المقابلة القرآنية البديعية. ففي الوقت الذي ينعم فيه المؤمنون بفضل الله، يعاني الكافرون من عذابه. إنه عذاب شديد، لا هوادة فيه ولا راحة. هذا التحذير يدفعك للتمسك بالإيمان و العمل الصالح.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الجملة الاسمية "والكافرون لهم عذاب شديد" تفيد الثبات والدوام .فالعذاب مقيم عليهم ثابت.
· وصف العذاب بـ "شديد" مبالغة في التخويف والترهيب.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تخوفك من سوء العاقبة .هذا الخوف المحمود يدفعك للتمسك بالإيمان، والبعد عن الكفر والمعاصي.
· الرسالة التربوية: استخدم أسلوب الترغيب والترهيب في تربية أبنائك .كما تبشرهم بالجنة، خوفهم من النار.
· الرسالة العملية: انظر إلى حال الكافرين في الدنيا؛ إنهم في عذاب نفسي وضنك، ينتظرهم عذاب أشد .احمد الله على نعمة الإيمان، واسأله الثبات.

**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية التوبة والرجوع إلى الله: تعالج الآية الأولى عقدة الذنب عند الإنسان، وتفتح باب الأمل بـ التوبة والعفو.
.2قضية الدعاء والإجابة: تعالج الآية الثانية حاجة الإنسان للدعاء، وتربط بين الإجابة والإيمان والعمل الصالح.
.3قضية العدالة الإلهية في الجزاء: توازن الآيتان بين الترغيب للمؤمنين والترهيب للكافرين، مما

يرسخ مفهوم العدالة المطلقة.
.4قضية قيمة الفضل الإلهي: التأكيد على أن ما يناله المؤمن هو فضل من الله، وليس مجرد حق أو ثمن.
*القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة الرجاء في الله وعدم اليأس: وهي أعظم قيمة تمنحها الآية الأولى.
.2قيمة مراقبة الله في السر والعلن: والوعي بأنه يعلم ما نفعله.
.3قيمة الدعاء والتضرع: وإدامة الصلة بالله من خلال الدعاء.
.4قيمة العمل الصالح: كشرط أساسي لاستجابة الدعاء ونيل الفضل.
**أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة أن الله تواب رحيم، سميع الدعاء، كريم المنح، شديد العقاب.
.2البعد النفسي: خلق طمأنينة نفسية عظيمة عند المؤمن، بأن ذنوبه قابلة للعفو، ودعاءه مقبول، ورزقه مضمون.
.3البعد الاجتماعي: لو سادت هذه القيم في مجتمع، لانتشر العفو والتسامح، ولغلب على أفراده الأمل والسعي.
.4البعد التربوي: تقديم منهج متوازن في التربية، يجمع بين الترغيب والترهيب.

**أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم قبول التوبة: أنه وعد إلهي ثابت لا يتخلف.
· مفهوم العفو: أنه محو الذنب وعدم المؤاخذة.
· مفهوم الفضل: أنه عطاء زائد عن الجزاء العادل.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النفس على سرعة التوبة: وعدم التسويف.
· تربية اللسان على كثرة الدعاء والاستغفار.
· تربية القلب على التوازن بين الخوف والرجاء.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم السكينة والطمأنينة: التي تغمر قلب التائب والداعي.
· مفهوم الانشراح: الذي يأتي بعد العفو.

**دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان متصالح مع ربه ومع نفسه: إنسان يتوب من ذنبه، فيرتاح ضميره، ويقبل على ربه.
.2بناء مجتمع متراحم: مجتمع يكثر فيه العفو والصفح، ويقل فيه الحقد والضغينة.
.3بناء حضارة إنسانية متفائلة: حضارة لا تعرف اليأس، بل تسير نحو مستقبلها بثقة وطمأنينة.

**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعود إليه. يريدنا أن نتوب من ذنوبنا، ونستغفره من سيئاتنا. يريدنا أن ندعوه ونسأله من فضله. يريدنا أن نوقن بأن بابه مفتوح، وأن رحمته وسعت كل شيء.

كيف نعيش هذه الآيات عمليًا؟

.1خصص وقتًا للتوبة والاستغفار يوميًا: في السحر، أو بين الأذان والإقامة، أو بعد كل صلاة .قل: "أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه".
.2اكتب ذنوبك: قد تشعر بثقل الذنوب .جلسة صادقة مع النفس، تكتب فيها ما تعلمه من ذنوبك، ثم ترفع يديك وتقول: "اللهم هذه ذنوبي، وأنا تائب منها، فاغفر لي ولمن اغتبته".
.3أكثر من الدعاء: خذ دفترًا واكتب فيه ما تتمناه من خيري الدنيا والآخرة .وادع الله به في سجودك وفي خلواتك .وانتظر الإجابة والزيادة.

.4اعفُ عن الناس: ابدأ من اليوم .سامح كل من ظلمك، أو أغضبك .اجعل قلبك نقيًا من الأحقاد، حتى يعفو الله عنك.
.5لا تقنط من رحمة الله: مهما تكرر ذنبك، عد وتكرر بتوبتك .فالله يحب العبد المذنب التواب، ويفرح بتوبته.

أيها الحبيب في الله، هاتان الآيتان هما نبع من الرجاء لا ينضب. عش بهاتين الآيتين، ورددهما على قلبك كلما شعرت باليأس من ذنوبك. إن رحمة الله أوسع وأعظم. أقبل عليه، يَقبل عليك.

المبحث الثانى

أيها المؤمن الباحث عن حكمة الله في أقداره، والمتشوق لرؤية رحمته في آياته، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب ثلاث آيات من سورة الشورى، تكشف لك عن جوانب عظيمة من تقدير الله لمعاش عباده، ومن رحمته التي تتجلى في إنزال الغيث، ومن قدرته الباهرة في بث الحياة في أرجاء الكون. لقد تحدثت الآيات السابقات عن التوبة والدعاء والفضل، وها هي الآن ترسم لك مشاهد ثلاثة من مشاهد الربوبية والعناية الإلهية. إنها الآيات السابعة والعشرون إلى التاسعة والعشرين:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى:27)
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ﴾ (الشورى:28)
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (الشورى:29)

إن هذه الآيات الثلاث، أيها القارئ الكريم، هي مفتاح لفهم حكمة الله في توزيع الأرزاق، وسبب منعها عن بعض عباده، وكيف أن رحمته تتجلى بأبهى صورها عند الشدائد. إنها تجيب عن السؤال الذي يراود الكثيرين: لماذا لا يعمم الله الرزق؟ ولماذا يبتلي بالفقر؟ وما هي العلاقة بين إنزال المطر و البعث بعد الموت؟ دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستخرج دررهما، ونجعل منها بوصلة لفهم أقدار الله في حياتنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها
في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1فهم حكمة الله في تقدير الأرزاق ومنعها: أن ندرك بعمق أن الله لا يمنع الرزق عن عباده بُخلا ً، بل ليمنع طغيانهم وبغيهم، وأن هذا هو عين الحكمة واللطف.
.2استشعار رحمة الله في إنزال الغيث بعد القنوط: أن نتعلم أن الفرج يأتي بعد الشدة، وأن الله "الولي الحميد" لا ينسى عباده.
.3إدراك دلالة بث الدواب في الكون على قدرة الله على البعث: أن نوقن بأن الذي بث الحياة في أرجاء الكون قادر على جمع الخلائق ليوم الحساب.
.4التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم الرضا بقسمة الله، وحسن الظن به، والثقة في تدبيره، والتأمل في آياته الكونية.
**تحليل الآيات وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآيات العظيمات، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.
**المحور الأول: دلالة قوله (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ) وحكمة تقدير الأرزاق

يبدأ الله هذه الآية بأداة الشرط "لو" التي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط. فالله لم يبسط الرزق لكل عباده، لأنه لو فعل ذلك لوقع البغي والطغيان. هذه الآية تقدم لك تفسيرًا ربانيًا لسؤال لطالما حيّر البشر: لماذا لا يكون الجميع أغنياء؟

ما هو البغي المذكور؟
البغي هو الظلم والطغيان والتجاوز. والمراد هنا أن الإنسان إذا وسع الله عليه رزقه، فإنه غالبًا ما يطغى ويتكبر ويعصي الله. كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾. فسعة الرزق قد تكون سببًا للانحراف الأخلاقي والاجتماعي. والبغي له صور متعددة: من الكفر بالله، إلى ظلم العباد، إلى الترف المسرف، إلى احتقار الفقراء، إلى الحروب والصراعات على الموارد. وهذا كله قد حدث في الأمم السابقة التي بسط الله لها الرزق فطغت وبغت.

لو تأملنا في قوله "لَبَغَوْا"، لوجدنا عجبًا! إنه ليس خبرًا عن قوم مضوا، بل هو قانون إلهي في النفس البشرية. فالإنسان بطبيعته يطغى إن استغنى. فمنع الله الرزق عن الكثيرين، ليس بخلًا منه، بل رحمة

بهم وحفظًا لهم من الطغيان. فكم من إنسان كان فقره سبب صلاحه، وكم من إنسان كان غناه سبب هلاكه! إنه سبحانه يعلم أن المال قد يكون فتنة وبلاء، فأعطى من يصلحه المال، ومنع من لا يصلحه. وكلاهما رحمة في حق من هو أهل لهما.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· أسلوب الشرط بـ "لو" الامتناعية التي تدل على أن الله بحكمته لم يفعل ذلك.
· "لَبَغَوْا" فعل ماض في جواب الشرط، للدلالة على تحقق البغي فور بسط الرزق.
· جملة "لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ" تدل على انتشار البغي وعمومه، فيشمل الفساد في الأرض كلها.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تزيل الحسد من قلبك .عندما ترى غيرك موسعًا عليه في الرزق، فتذكر أنه ربما كان هذا الرزق فتنة له .وعندما ترى نفسك فقيرًا، فتذكر أن فقرك قد يكون عصمة لك من الطغيان .هذا الشعور يريح قلبك، ويجعلك راضيًا بقسمة الله.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على القناعة والرضا .قل لهم: "لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، فرب ضارة نافعة" .واشرح لهم أن الله يمنع عن بعض الناس لما يعلمه من أحوالهم.
· الرسالة العملية: إذا وسع الله عليك في الرزق، فاحذر البغي والطغيان .كن شاكرًا متواضعًا، واقضِ حوائج الفقراء، واعلم أن هذا المال ابتلاء.

***المحور الثاني: دلالة (وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) وبيان مبدأ التقدير الإلهي

بعد أن بين الله أنه لم يبسط الرزق لكل عباده حكمة، ينتقل ليقرر أنه ينزل الرزق بقدر، أي بمقدار محدد معلوم، بحسب مشيئته. "ينزل" هنا من "الإنزال" الذي يشمل إنزال المطر من السماء، وتقدير الأقوات من الأرض. فهو الرزاق، يرزق من يشاء من عباده بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص.

"بقدر ما يشاء":
هو سبحانه يقدر الأرزاق بحكمته وعلمه. فليس الرزق عشوائيًا، بل هو مقدر بمقادير دقيقة، تشاؤها حكمته البالغة. فمن الناس من يصلحه الغنى، ومنهم من يصلحه الفقر، ومنهم من يصلحه التوسط. و الله وحده يعلم ذلك، فيقدر لكل إنسان ما يناسبه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ينزل" فعل مضارع للدلالة على تجدد الرزق واستمراره.
· "بقدر" أي بتقدير وحكمة، لا عبثًا ولا عشوائيًا.
· "ما يشاء" إشارة إلى أن المشيئة الإلهية هي الحاكمة في توزيع الأرزاق.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تريح قلبك من القلق على الرزق .رزقك مقدر، آتٍ لا محالة .فلا تتعب نفسك بـ الحسد والطمع .عش مطمئنًا، واعمل واسعَ، ورزقك سيأتيك بقدره.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن الله هو الرزاق .لا يتعلقوا بالأسباب وينسوا المسبب .شجعهم على العمل والاجتهاد، ولكن اربط قلوبهم بـالله.
· الرسالة العملية: لا تسخط على قدر الله في الرزق .إن كنت فقيرًا فاصبر، وإن كنت غنيًا فاشكر . وارضَ بما قسمه الله لك.
**المحور الثالث: دلالة (إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ) وكمال العلم الإلهي

لقد ختم الله الآية بهذين الاسمين العظيمين، وهما يبينان علة الحكم السابق. فـالله لم يمنع الرزق عن البعض وبسطه للبعض الآخر عبثًا، بل لأنه "خبير" بأحوال عباده، يعلم ما يصلحهم وما يفسدهم، "بصير" بما تنطوي عليه نفوسهم، يعلم من يشكر ومن يكفر، ومن يصلح ومن يطغى. فمنعه للرزق ليس جهلا ً منه بحاجة العبد، بل هو علم تام بما يصلحه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "خبير" صيغة مبالغة، للدلالة على سعة علم الله بدقائق الأمور وخوافيها.
· "بصير" للدلالة على إحاطة علمه بالمبصرات وبواطن الأمور.

· تقديم "بعباده" على الاسمين يفيد الاختصاص، فهو خبير بأحوالهم، بصير بما يصلحهم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا يزيدك ثقة ويقينًا .أنت تعلم أن الله لم يمنعك الرزق لأنه يبغضك، بل لأنه يعلم أن الفقر خير لك من الغنى .هذا الشعور يريحك، ويجعلك تحسن الظن بالله.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك حسن الظن بالله .إذا منعهم شيئًا، فليقولوا: "لعل الله يعلم أن فيه شرًا لنا"، كما قال تعالى عن الوالدين في قصة الخضر.
**المحور الرابع: دلالة قوله (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) ورحمة الله بعد الشدة

ينتقل القرآن إلى مشهد آخر من مشاهد لطف الله ورحمته: إنزال الغيث. والغيث هو المطر الذي يأتي بعد الجفاف والقحط. وتأمل هذا الوصف: "من بعد ما قنطوا". والقنوط هو شدة اليأس وانقطاع الرجاء. فهم قد وصلوا إلى حالة من اليأس الشديد من نزول المطر. فجفّت الأرض، ومات الزرع، وهلك الضرع، وعمّ الجدب. وفي هذه اللحظة الحرجة، يأتي الفرج! ينزل الله الغيث، فيحيي الأرض بعد موتها. إن هذا المشهد يتكرر في حياتنا: القنوط من الشفاء، القنوط من زوال الهم، القنوط من الفرج... ثم يأتي الله برحمته فيبدل الحال. إنها دعوة ألا نيأس أبدًا من روح الله.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ينزل" مضارع للتجدد، فالغيث يتجدد كل عام، وهو آية متكررة.
· "من بعد ما قنطوا" لبيان شدة اليأس، ليكون وقع الرحمة أعظم وأبلغ.
· "الغيث" هو المطر المغيث، فهو لفظ يدل على غاية النفع والرحمة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تملأ قلبك رجاءً في أشد لحظات اليأس .لا تقنط أبدًا من رحمة الله . فكما أن الله ينزل الغيث من بعد ما تقنط القلوب، فإنه قادر على أن يفرج همك ويفك كربتك ولو بعد حين .لا تيأس.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا ييأسوا .إذا فشلوا، إذا مرضوا، إذا ضاقت بهم الدنيا، ذكرهم بأن "الغيث ينزل من بعد ما قنطوا" .اربطهم بالله وحده.
· الرسالة العملية: عند الشدائد، زد في الدعاء والتضرع، ولا تيأس .انتظر الفرج من الله، فهو قريب . وكما قال يعقوب: "يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ اللَّهِ".

*-المحور الخامس: دلالة (وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) واتساع دائرة الرحمة

بعد إنزال الغيث، ينشر الله رحمته. "ينشر" أي يبسطها ويوسعها. فرحمته لا تقتصر على إنزال المطر، بل تمتد لتشمل كل آثار هذا المطر: خصب الأرض، ونمو الزرع، وامتلاء الضروع، وسعادة القلوب، وتوفر الأقوات. "ورحمتي وسعت كل شيء"، فهي رحمة عامة تنتشر في الآفاق، وتصيب القاصي و الداني، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ينشر" مضارع للتجدد، فرحمته تنشر وتتسع في كل حين.
· "رحمته" معرفة بالإضافة، للدلالة على عظمتها وسعتها.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تجعلك تتفاءل وتتسع رحمتك للناس .كما أن الله ينشر رحمته، فكن رحيمًا .كن سببًا في إدخال السرور على القلوب، ونشر الخير بين الناس.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على الرحمة .الرحمة بالحيوان، بالفقير، بالجار .اشرح لهم أن الله رحيم، ويحب الرحماء.

**المحور السادس: دلالة ختام الآية (وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) وثمرة التدبر

يختم الله الآية بهذين الاسمين الكريمين. "الولي" الذي يتولى أمور عباده برحمته ولطفه، ويدبر لهم شؤونهم، ويتولى نصرهم وإعانتهم. "الحميد" الذي يستحق الحمد كله، على كل نعمة أنعم بها، وكل بلية

دفعها. فالغيث المنزل من أعظم النعم التي يستحق الله عليها الحمد والشكر.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "الولي الحميد" اسمان مقترنان، فالله يتولى عباده، وهو محمود على ولايته وتدبيره.
· "الحميد" صيغة مبالغة، فهو المستحق للحمد المطلق الدائم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا يملؤك طمأنينة وحبًا لله .تعلم أن لك وليًا حميدًا، يتولى أمرك، ويستحق حمدك .فاحمده في كل حال، وارضَ بكل ما يقدره لك.
· الرسالة العملية: أكثر من حمد الله .قل: "الحمد لله رب العالمين" بقلب حاضر، مستشعرًا نعم الله عليك، وفي مقدمتها نعمة الهداية للإسلام.

**المحور السابع: دلالة (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ) ودلالة الخلق على البعث

ينتقل بنا الله من التذكير بنعمته إلى لفت أنظارنا إلى عظيم قدرته. "ومن آياته"، أي علاماته الدالة على قدرته وعظمته ووحدانيته. وهنا يخص بالذكر "خلق السماوات والأرض" على عظمهما وسعتهما، و "ما بث فيهما من دابة". "بث" أي نشر وفرق وأكثر. فكل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطائر وحشرات، هو من آيات الله. هذا البث العجيب، والتنوع المذهل، والخلق المتقن، يدل على قدرة الخالق العظيمة.

العلاقة بين بث الدواب والقدرة على البعث:
الآية تشير إلى أن الذي قدر على خلق هذه الأعداد الهائلة من الدواب، وبثها في أرجاء الأرض، قادر على جمعها وحشرها يوم القيامة. فلماذا يستبعد الكفار البعث؟ إن إعادة الخلق أهون من ابتدائه. وهذا هو منهج القرآن في الاستدلال على البعث من خلال آيات الخلق.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "بث" لفظ يدل على الكثرة والانتشار والتفرق.
· "دابة" تشمل كل ما يدب على الأرض، لإظهار سعة القدرة الإلهية.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تجعلك تتأمل في الكون من حولك .كل دابة تراها، هي آية من آيات الله .هذا يزيد إيمانك ويقينك.
· الرسالة التربوية: اصطحب أبناءك في نزهات إلى الطبيعة .تأملوا معًا خلق الله .علمهم أن يتفكروا في آيات الله، فهذا يبني فيهم الإيمان الراسخ.

**المحور الثامن: دلالة (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) والقدرة على الحشر

يختم الله الآية بهذا التهديد والوعيد للكافرين، والتذكير للمؤمنين. "وهو على جمعهم" أي جمع الخلائق كلهم يوم القيامة، في صعيد واحد. "إذا يشاء" أي إذا أراد ذلك وكان الوقت المعلوم. "قدير" أي بالغ القدرة، لا يعجزه شيء. فكما قدر على خلقهم وبثهم في الأرض أول مرة، فهو قادر على جمعهم في ا لآخرة.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "قدير" صيغة مبالغة، للدلالة على كمال قدرته.
· تقديم الجار والمجرور "على جمعهم" يفيد الاختصاص، أي أن قدرته على جمعهم خاصة، لا يشاركه فيها أحد.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تذكرك بيوم الحشر، وتخوفك من هوله، وتحفزك للاستعداد له .يوم يجمع

الله الأولين والآخرين، وتحاسب على كل صغيرة وكبيرة .هذا الشعور يدفعك للعمل الصالح.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك الإيمان باليوم الآخر .حدثهم عن الحشر والنشر، وعن الجنة والنار .هذا يزرع في قلوبهم الخوف والرجاء.
**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيات

.1قضية الحكمة الإلهية في توزيع الأرزاق: لماذا يكون الفقر والغنى؟ والجواب: لحكمة يعلمها الله، ولدفع الطغيان والبغي.
.2قضية الرجاء وعدم اليأس: استعراض مشهد إنزال الغيث من بعد القنوط، كأعظم مثال على أن الفرج قريب.
.3قضية الاستدلال بالخلق على البعث: ربط الآيات الكونية) خلق السماوات والأرض وبث الدواب (بالإ يمان بالبعث والحشر.
.4قضية الألوهية والربوبية: إظهار أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت القادر على كل شيء، مما يوجب إفراده بالعبادة.
**القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيات

.1قيمة القناعة والرضا: بقسمة الله في الرزق.
.2قيمة الأمل وحسن الظن بالله: وعدم القنوط من رحمته.
.3قيمة التفكر والتدبر: في آيات الله الكونية.
.4قيمة الاستعداد للآخرة: من خلال الإيمان بالبعث والحشر والجزاء.
**أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة القضاء والقدر، والإيمان بربوبية الله وألوهيته وقدرته.
.2البعد النفسي: غرس السكينة والطمأنينة، وإزالة الحسد والقلق.
.3البعد الاجتماعي: القناعة والرضا يولدان مجتمعًا مستقرًا ومتراحمًا.
.4البعد الكوني: بناء نظرة متأملة في الكون، تربط بين العلم والإيمان.

**أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم تقدير الرزق لحكمة: الفقر والغنى ليسا عشوائيين.
· مفهوم القنوط: أنه نهاية الأمل، والتحذير منه.
· مفهوم البعث والجمع: أنه حق لا مرية فيه.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النفس على القناعة.
· تربية القلب على الرجاء وعدم القنوط.
· تربية العقل على التفكر في آيات الله.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الطمأنينة بالرزق المقدر.
· مفهوم الفرح برحمة الله.
· مفهوم الخوف من سوء الخاتمة.

**دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان قانع شاكر: يسعى في الأرض ولا يتعلق قلبه بها.
.2بناء مجتمع متكافل متحاب: لا يسوده الحسد والبغي.
.3بناء حضارة كونية إيمانية: تنظر إلى الكون نظرة المؤمن المعتبر.
**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نثق بعدله وحكمته في تدبيره لأرزاقنا. يريدنا ألا نيأس أبدًا من رحمته، مهما اشتدت بنا الظروف. يريدنا أن نتأمل في آياته من حولنا، فنزداد إيمانًا وقربًا منه. يريدنا أن نستعد للقائه في يوم يجمعنا فيه جميعًا للحساب.

كيف نعيش هذه الآيات عمليًا؟

.1تحلّ بالقناعة: كرر في نفسك كل صباح: "اللّهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر" .هذه الكلمات تذكرك بأن النعم من الله.
.2لا تيأس أبدًا: اكتب هذه الآية وعلقها في مكان تراه: "وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا" . كلما داهمك اليأس، انظر إليها وتذكر أن الفرج قادم.
.3خصص وقتًا للتأمل: ولو مرة في الأسبوع، اخرج إلى الطبيعة، تأمل في السماء والأرض والجبال و النبات، وقل: "سبحان الله، هذا من آياته".
.4عش ذاكرًا ليوم الحشر: تخيل ذلك اليوم، واسأل نفسك: "ماذا أعددت له؟" .هذا يدفعك للتوبة و العمل الصالح.
.5انشر الخير والرحمة: كن رحيمًا بمن حولك، كما أن الله ينشر رحمته .ساعد المحتاج، وامسح دمع اليتيم، وارحم الفقير.

أيها الحبيب في الله، هذه الآيات الثلاث هي بلسم للقلوب، ونور للعقول. من فقهها، علم أن الله يرزقه بحكمة، ويرحمه من حيث لا يحتسب، وأنه قادر على إعادته وجزائه. عش بهذه الحقائق، تكن من المطمئنين الفائزين.

المبحث الثالث

تفسير الايه 31-30

أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق لفهم حكمته في أقداره المؤلمة، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آيتين كريمتين من سورة الشورى، تكشفان لك عن قانون إلهي عظيم، وتفتحان لك باب الرجاء على مصراعيه، وتزرعان في قلبك الطمأنينة والسكينة. بعد أن بيّن الله حكمته في تقدير الأرزاق ومنعها، يأتي هذا المقطع القرآني ليبين الأصل الأعظم للمصائب والبلاءات، وليخبرك عن عظيم عفوه وحلمه، ثم ليذكرك بحقيقة قدرة البشر وحقيقة ولايته سبحانه. إنها الآيتان الثلاثون والحادية والثلا ثون:

.﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ الشورى:(30
.﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الشورى:(31

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما ميزان دقيق لفهم البلاء، ودواء ناجع لجراحات القلب عند الشدائد. إنهما تجيبان عن السؤال المحير: "لماذا أنا مصاب؟"، وتقدمان لك وصفة التعافي بالتوبة والا ستغفار والتوكل. دعنا نغوص في أعماق هاتين الآيتين، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما بوصلة لحياتنا عند الشدائد.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1فهم قانون المصائب والذنوب: أن ندرك العلاقة الوثيقة بين ما يصيبنا من مصائب وما كسبته أيدينا من ذنوب وخطايا، دون أن نجعل ذلك مدعاة لليأس، بل للرجوع إلى الله.
.2استشعار سعة العفو الإلهي: أن نوقن بأن الله يعفو عن كثير من ذنوبنا، ولا يعاقبنا عليها، وأن ما يصيبنا هو أقل بكثير مما تستحقه ذنوبنا.
.3إدراك عجز البشر وقدرة الله: أن نعلم أننا لا نستطيع الفرار من قضاء الله وقدره، وألا ملجأ لنا ولا منجى إلا إليه.
.4التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نواجه المصائب بالتوبة والاستغفار، ونتحلى بالصبر، ونتوكل على الله وحده.
*تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.
*المحور الأول: دلالة قوله (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) وبيان قانون المصائب و الذنوب

يبدأ الله هذه الآية بأسلوب حصر وتوكيد: "وما أصابكم... فبما..." أي أن كل مصيبة تصيبكم، في أنفسكم أو أهليكم أو أموالكم، فإنما هي بسبب ذنوبكم وخطاياكم. هذا هو الأصل: أن المصائب عقوبات على الذنوب. وهذا القانون الإلهي يذكرك بعدل الله المطلق، فالله لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون. فما قدره الله من مصائب هو محض عدل، وما عفا عنه فهو محض فضل.

المراد بـ "ما كسبت أيديكم":
"كسبت أيديكم" هو تعبير عن كل ما يفعله الإنسان من ذنوب ومعاص. وخص الأيدي بالذكر لأن أغلب الأعمال تزاول بها. والمصائب هنا تشمل كل مكروه: من مرض، وفقر، وهم، وغم، وفقد حبيب، وهزيمة أمام عدو. وهذا كله أثر من آثار الذنوب. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ، حَتَى الشَوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلا كفرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ". إن المصائب إذن هي كفارات للذنوب، وليست مجرد عقوبات عشوائية. إنها في حقيقتها رحمة من الله، لأنها تمحص المؤمن وتطهره من ذنوبه، ليلقى الله طاهرًا نقيًا.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· أسلوب الحصر بـ "ما ...فبما..." يؤكد أن علة المصاب هي الذنب حصرًا، وهذا من عدل الله.
· "أصابكم" من الإصابة، وهي إحاطة الشيء بالشيء، إشارة إلى إحاطة المصيبة بالإنسان.
· "كسبت أيديكم" مجاز عن كل عمل، للتذكير بأن الجوارح هي آلة الكسب.
· جملة "فبما كسبت أيديكم" جملة خبرية، لتقرير الحقيقة وقطع الشك باليقين.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تغير نظرتك للمصائب .بدلا ً من التذمر والسخط، تدفعك هذه الآية لمحاسبة نفسك .تقول لنفسك: "ماذا فعلت من ذنوب حتى أصابني هذا؟" .هذا الشعور يجعلك ترجع إلى الله بالتوبة، فتتحول المصيبة إلى تطهير ورحمة.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك هذا القانون .إذا أصابهم مكروه، ذكرهم بأنه ربما كان بسبب خطأ ارتكبوه، ليتوبوا ويستغفروا .هذا يربيهم على تحمل المسؤولية، لا على إلقاء اللوم على الآخرين.
· الرسالة العملية: عند وقوع المصيبة، بادر فورًا بالتوبة والاستغفار .ولا تشغل نفسك بالسخط على القدر .كن قدوة في الصبر والاحتساب.
**المحور الثاني: دلالة (وَيَعْفُو عَن كثِيرٍ) وسعة العفو الإلهي

هذه هي اللمسة الثانية التي تملأ القلب رجاءً. إن الله لا يعاقب على كل الذنوب. فلو كان الأمر كذلك، لأهلك الله أهل الأرض جميعًا. ولكن من رحمته أنه يعفو عن كثير من الذنوب، ولا يعاقب بها. فما يصيبك من مصائب هو بسبب بعض ذنوبك التي اقتضت حكمته أن يكفرها عنك في الدنيا، أما أكثر ذنوبك فيعفو عنها ويسترها ولا يعاقبك عليها. وهذا دليل على أن رحمة الله سبقت غضبه. فأنت ترى المصيبة ولا ترى كم من ذنب عوفيت منه وستر عنك. كم من ذنب عظيم أحاط بك، ولكن الله صرفه عنك وعفا عنه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يعفو" فعل مضارع للدلالة على كثرة العفو وتجدده.
· "عن كثير" نكرة للتهويل، فالله يعفو عن ذنوب كثيرة جدًا لا يعلم عددها إلا هو.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الجملة تريح قلبك وتطمئنه .لا تظن أن كل مصيبة هي عقاب على ذنب معين بذاته، فلعلها تكفير ورحمة .ولعل الله يعفو عن ذنوبك الأخرى .هذا الشعور يمنعك من اليأس، ويملؤك رجاءً.
· الرسالة التربوية: إذا رأيتَ شخصًا مصابًا، فذكره بأن الله يعفو عن كثير، وربما كانت مصيبته تكفيرًا لذنوبه .هذا يخفف عنه ويصبره.
· الرسالة العملية: استغفر الله دائمًا .حتى لو لم تكن ترى ذنوبك، فالله يعلمها .أكثر من قول: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني".
**المحور الثالث: دلالة (وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ) وبيان حقيقة القدرة

بعد الحديث عن قانون المصائب والعفو، ينتقل الخطاب الرباني ليذكرك بحقيقة قدرة البشر. "وما أنتم بمعجزين في الأرض". أي أنكم أيها البشر، لا تستطيعون الفرار من قدر الله وقضائه. فأنتم في قبضته ، تحت سلطانه، ولا تستطيعون أن تمنعوا ما أراد الله أن يقع بكم من مصائب. إنها رسالة تذكير بـ الضعف البشري المطلق أمام القدرة الإلهية المطلقة.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ما أنتم بمعجزين" أسلوب توكيد بالنفي والباء، لإفادة القطع بأن البشر لا يعجزون الله.
· "في الأرض" ظرف مكان، للدلالة على أنهم لا يعجزونه هربًا في أي بقعة من الأرض.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تريحك من وهم السيطرة .أنت لست المسيطر على حياتك، بل الله هو المسيطر .هذا الشعور يجعلك تتوكل على الله، وتفوض أمرك إليه، وتستسلم لقضائه برضا وطمأنينة.
· الرسالة التربوية: اغرس في نفسك وأبنائك هذا المعنى: "نحن ضعفاء، لا حول لنا ولا قوة إلا بالله" . هذا يربينا على التواضع وعدم الاغترار بالقوة.
· الرسالة العملية: لا تجزع عند المصيبة وكأنك قادر على دفعها .بل استسلم لقضاء الله، وارضَ به.
**المحور الرابع: دلالة (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) والتعلق بالله وحده

ويختم الله الآية بهذه الحقيقة الكبرى. "وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير". أي ليس لكم يا معشر البشر، من دون الله، أي من غيره، أحد يتولى أموركم، ويدفع عنكم البلاء، وينصركم على أعدائكم. فالولي هو الذي يتولى رعايتك وحفظك، والنصير هو الذي ينصرك ويدفع عنك السوء. ولا أحد يملك ذلك إلا الله. فإذا أصابتك مصيبة، لا تلتفت إلى غير الله. لا تطلب النصرة والعون والغوث إلا منه. فهو وحده الولي، وهو وحده النصير.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· النفي بـ "ما" و"من" الاستغراقية: "وما لكم ...من ولي ولا نصير" نفي قاطع لأي ولي أو نصير من دون الله.
· تقديم الجار والمجرور "من دون الله" يفيد التوكيد والاختصاص التام لله بالولاية والنصرة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تجعلك تلجأ إلى الله وحده .لا تلجأ في المصائب والكربات إلى مخلوق ضعيف مثلك .الله هو ملجؤك، وهو وليك ونصيرك .هذا الشعور يملأ قلبك قوة ويقينًا.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يلجأوا إلا إلى الله .إذا خافوا، إذا مرضوا، إذا ضاقت بهم الدنيا، فليقولوا: "يا رب"، وليلجأوا إليه.
· الرسالة العملية: عند وقوع المصيبة، وحد الله .لا تقل: "يا فلان أنقذني"، أو "لولا فلان لهلكت"، بل قل: "حسبي الله ونعم الوكيل، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم".
**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية البلاء والذنوب: تربط الآية الأولى بشكل واضح بين المصائب والذنوب، وتقدم تفسيرًا عميقًا لسبب البلاء في حياة المؤمن.
.2قضية العفو والمغفرة: تفتح الآية باب الرجاء بإظهار سعة عفو الله، وأنه لا يعاقب عباده بكل ذنوبهم.
.3قضية القدرة والعجز: تواجه الآية الثانية غرور الإنسان بقدرته، وتذكره بضعفه المطلق، مما يدفعه للتوكل على الله.
.4قضية الولاية والنصرة: ترسخ الآية أن الله وحده هو الولي والنصير، فتقطع على الإنسان أية علا قة تعلق بغير الله في الشدائد.
**القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة محاسبة النفس: فالمصائب تدعو لمراجعة الذات والتوبة عن الذنوب.
.2قيمة الرجاء في عفو الله: وعدم اليأس من رحمته.
.3قيمة التواضع: والاعتراف بالعجز البشري أمام القدرة الإلهية.
.4قيمة التوكل على الله: في كل الأحوال، وفي السراء والضراء.
**أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة القضاء والقدر، والإيمان بعدل الله ورحمته.
.2البعد التربوي: تقديم منهج للتعامل مع الأخطاء والمصائب، يقوم على التوبة لا اللوم، والاستغفار لا السخط.
.3البعد النفسي: غرس حالة من الطمأنينة والرضا، والتحرر من قيود الغرور والخوف من المخلوقين.
.4البعد الاجتماعي: بناء مجتمع متواضع، متصالح مع ذاته، متعاون على البر والتقوى، لا على الإثم و

العدوان.
**أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم قانون المصائب: أن المصائب غالبًا ما تكون أثرًا للذنوب.
· مفهوم العفو الإلهي: أن الله يعفو عن كثير من الذنوب.
· مفهوم العجز البشري: أن البشر لا يعجزون الله في الأرض.

ثانيا: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية النفس على سرعة التوبة: عند أي مصيبة.
· تربية القلب على التوكل: وعدم الالتفات لغير الله.

ثالثا: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الطمأنينة عند البلاء: الناتجة عن فهم حكمة البلاء.
· مفهوم الأنس بالله: الناتج عن اليقين بأنه الولي والنصير وحده.
*-دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان صبور محتسب: يعرف كيف يتعامل مع المصائب بإيمان وثبات.
.2بناء مجتمع نظيف من الذنوب: يبادر أفراده إلى التوبة والاستغفار.
.3بناء حضارة إيمانية راسخة: لا تهتز بالشهوات ولا تذل للمخلوقين.

**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعود إليه. يريدنا أن ننظر إلى المصائب على أنها مواعظ وتذكير، لا نقم وحقد. يريدنا أن نطهر أنفسنا بالاستغفار، ونقوي قلوبنا بالتوكل عليه وحده. يريدنا ألا نهلع من مصائب الدنيا، وألا نغتر بأسبابها.

كيف نعيش هذه الآيات عمليًا؟

.1ساعة المصيبة ...ساعة التوبة: لا تؤخر التوبة .بمجرد أن تحل بك مصيبة، حتى لو كانت شوكة أشاكها قدمك، سبّح واستغفر .قل: "اللهم اغفر لي ذنبي الذي أصابني به هذا، واعفُ عني وعافني".
.2راجع دفترك الخفي: خصص وقتًا -ولو شهريًا- تراجع فيه أبرز الذنوب التي تقع فيها .اكتبها، وحاول أن تقلع عنها .هذا يمنع المصائب قبل وقوعها.
.3اجعل الاستغفار عادة: النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله في اليوم أكثر من مئة مرة . اجعل الاستغفار على لسانك دائمًا، تتنزل به الرحمات، وتندفع به البليات.
.4لا تشكُ لأحد: عند المصيبة، لا تشكُ همك إلا لله .ادعُه وأنت موقن بالإجابة .واعلم أنه لا أحد يستطيع أن يدفع عنك قدر الله، لا ولي ولا نصير، إلا هو.
.5كن وليًا ونصيرًا للخير: كما أن الله ولي المؤمنين، كن وليًا للمؤمنين .انصر الضعيف، واعن الملهوف، وكن سببًا في تفريج كربة عن أخيك، ليفرج الله كربك.

أيها الحبيب في الله، هاتان الآيتان هما أشعة نور تخترق ظلمات المصائب. عش بهما، واستنر بهداهما، واجعل حياتك بين توبة نصوح، وتوكل صادق.

المبحث الرابع

أيها المتأمل في آيات الله في الآفاق، والمتشوق لرؤية قدرته الباهرة في الكون، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب أربع آيات من سورة الشورى، تأخذك في رحلة بحرية إيمانية، وترسم لك مشهدًا من مشاهد القدرة والعظمة، وتربطك بربك بخيط من الخوف والرجاء. بعد أن بيّن الله تعالى قانون المصائب والذنوب، يأتي هذا المقطع القرآني ليفتح أمام عينيك كتاب الكون المفتوح، ويجعلك تبصر آياته في البحر، لتتعلم منها التوحيد، والصبر، والشكر. إنها الآيات من الثانية والثلاثين إلى الخامسة و الثلاثين:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (32)
﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (33)
﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ (34)

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (35)

إن هذه الآيات الأربع، أيها القارئ الكريم، هي لوحة فنية ربانية، ترسم لك مشهد البحر والسفن، وتكشف لك عن سنن الله في الكون والنفس. إنها تقول لك: كما أن السفن الجارية في البحر هي من آيات الله، فإن حياتك كلها آية. وكما أن الريح إذا سكنت وقفت السفن، فإن حياتك إذا حُرمت روح الله وفضله توقفت. وكما أن للسفن قانونًا في النجاة والهلاك، فإن لك قانونًا في الهداية والضلال. دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستخرج دررهما، ونجعل منهما بوصلة لحياتنا في خضم بحر الحياة المتلاطم.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1. التفكر في آيات الله الكونية: أن نتعلم كيف ننظر إلى البحر والسفن والرياح بمنظار الإيمان، لا بمنظار المادة فقط.
2. فهم قانون التسخير والتوقف: أن ندرك أن حياتنا بكل تفاصيلها متوقفة على إرادة الله، فكما توقِف الريحُ السفنَ، توقف مشيئة الله أي شيء في حياتنا.
3. استشعار قانون الذنوب والهلاك: أن نوقن بأن الهلاك والعذاب مرتبطان بكسب الأيدي، وأن النجاة مرتبطة بالعفو الإلهي.
4. إدراك مصير المجادلين في آيات الله: أن نعلم أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حق، ليس لهم مهرب ولا منجى من عذابه.
5. التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم الصبر والشكر، وأن نراقب ذنوبنا، ونجتنب الجدال في آيات الله.

تحليل الآيات وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآيات العظيمات، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.

*المحور الأول: دلالة قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) والتأمل في السفن

يبدأ الله هذا المقطع بقوله: "ومن آياته"، أي ومن علاماته الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته. فهذه الآيات لا تقتصر على ما في السماوات والأرض من خلق وبث دواب، بل تمتد لتشمل "الجوار في البحر". "الجوار" هي السفن الجارية، التي تمخر عباب الماء. ووصفها بأنها "كالأعلام" تشبيه بديع. فالأعلام هي الجبال الشاهقة، أو الرايات العظيمة. فالسفن في البحر، على ضخامتها، تسير كأنها جبال عائمة.

تأمل في عظمة قدرة الله:
من الذي جعل هذه الكتل الضخمة من الحديد تطوف فوق الماء ولا تغرق؟ إنه الله. لقد خلق الماء على كثافته، وخلق الريح على قوتها، وخلق في الإنسان العقل ليصنع السفن، وهذا كله من آياته. ألا ترى أن هذه السفينة العملاقة وهي تمخر عباب البحر، تحمل آلاف الأطنان، ولا يمسكها إلا الله؟ إنها تذكير دائم بأن الله وحده هو الحافظ، وهو القادر، وهو المدبر.

اللمسات البيانية والبلاغية:

- "الجوار" صيغة مبالغة للدلالة على استمرار جريانهن، فكأنهن يجرين دائمًا.
- "كالأعلام" تشبيه تمثيلي رائع، يجمع بين العظمة والارتفاع، فالجبل في البحر آية، والسفينة التي بحجم الجبل آية أعظم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

- الرسالة النفسية: عندما ترى سفينة في البحر، أو صورة لها، تذكر أن هذه آية من آيات الله. هذا يملأ قلبك إجلالاً وتعظيمًا لله الذي سخر لك هذا. ويذكرك بأنك في سفينة الحياة، والله هو الذي يمسكها.
- الرسالة التربوية: اصطحب أبناءك إلى البحر، أو تأملوا معًا صور السفن، وذكرهم بأن هذه من آيات الله. هذا يزرع في قلوبهم عظمة الخالق.

· الرسالة العملية: إذا ركبت سفينة، فاذكر الله، واستشعر أنك في آية من آياته، وادعُ بدعاء السفر، وتوكل على الله.

*-المحور الثاني: دلالة (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ) وإدراك قانون التسخير و التوقف

بعد أن بين الله آية الجواري، ينتقل ليقرر أن حركتها وسكونها متوقفان على مشيئته. "إن يشأ يسكن الريح"، فيهدأ الهواء وتقف حركته. "فيظللن" أي فتبقى السفن "رواكد" أي ثوابت لا تتحرك، واقفات على ظهر البحر. لقد كانت قبل قليل تجري، فلما سكنت الريح، توقفت. فحركتها ليست ذاتية، بل هي متوقفة على إذن الله. وهذا هو قانون التسخير والتوقف في الكون كله: لا شيء يتحرك إلا بإذن الله، ولا شيء يقف إلا بإذنه.

الانتقال من المادي إلى المعنوي:
هذا المشهد الحسي هو استعارة تمثيلية لحياة الإنسان كلها. فأنت في سفينة الحياة، تجري بك الأ قدار. فإذا شاء الله أن يوقف أمرًا من أمورك، سكنت ريحه، فوقفت السفينة. قد تخطط وتجتهد وتعمل، ولكن إذا لم يأذن الله لك بالحركة، فلن تتحرك قيد أنملة. وهذا يملأ قلبك طمأنينة وتوكلا ً. فأنت تعلم أن الأمور كلها بيده، فلا تحزن على ما فات، ولا تقلق على ما هو آت.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "إن يشأ" تعليق للأمر بالمشيئة الإلهية، للدلالة على كمال القدرة والتصرف.
· "يسكن" و"يظللن" و"رواكد" كلها ألفاظ تدل على الهدوء التام بعد الحركة، مما يبرز التبدل الكلي.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تريح قلبك من القلق على الرزق والمستقبل. أنت في سفينة، وربانها هو الله. إن شاء أجراها، وإن شاء أوقفها. لا تخف. ثق في ربانك.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك التوكل على الله. إذا أخفقوا في أمر، ذكرهم بأن الله لم يأذن لهذا الأ مر أن يتم، وسيأذن بخير منه.
· الرسالة العملية: في كل صباح، قل: "اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور". سلم مقاليد يومك لله.
**المحور الثالث: دلالة (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) وارتباط الصبر والشكر بالآيات

يختم الله الآية ببيان من ينتفع بهذه الآيات: "إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور". فليس كل أحد ينتفع بآيات الله الكونية ويستخلص منها العبر. إنما ينتفع بها "الصبار" في الضراء، و"الشكور" في السراء. فالصبار هو الذي يحبس نفسه عن الجزع، ويصبر على البلاء والمصائب، ويعلم أنها بقدر الله. والشكور هو الذي يعترف بنعمة الله ويثني عليه بها، ويعمل بموجبها في طاعته. فالمؤمن حاله بين هذين الحالين: إن أصابته ضراء صبر، وإن أصابته سراء شكر. وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ... إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "إنّ" و"اللام" في "لآيات" للتوكيد، للدلالة على عظم هذه الآيات.
· صيغتا المبالغة "صبّار" و"شكور" للدلالة على كثرة الصبر والشكر، فلا ينتفع بالآيات إلا من كان كثير الصبر دائم الشكر.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنحك مقياسًا لإيمانك. انظر إلى قلبك عند الشدائد: هل أنت صبار؟ انظر إلى قلبك عند النعم: هل أنت شكور؟ فإن كنت كذلك، فأبشر بالخير.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على هذين الخلقين العظيمين. علمهم كيف يصبرون على الأذى و المصائب، وكيف يشكرون على النعم. هذا يبنى فيهم شخصية متوازنة.
· الرسالة العملية: دوّن في دفتر يومياتك: "اليوم، ما هي النعمة التي شكرت الله عليها؟ وما هو البلاء الذي صبرت فيه لله؟". هذا التمرين يجعلك تراقب قلبك، ويحفزك على الصبر والشكر.

**المحور الرابع: دلالة (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ) وقانون الهلاك والذنوب

بعد أن بين الله أنه قادر على إسكان الريح فتتوقف السفن، ينتقل ليقرر أنه قادر على إهلاكها وإغراقها. "أو يوبقهن" أي يهلكهن ويغرقهن. وهذا الهلاك ليس عشوائيًا، بل هو "بما كسبوا" أي بسبب ذنوب أصحابها وركابها. وهذا يذكرنا مباشرة بقول الله السابق في الآية (30): "وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ". فقانون المصائب والذنوب واحد، سواء في البر أو في البحر.

"ويعفو عن كثير":
ثم يأتي الرجاء: "ويعفو عن كثير". فالله لا يهلك الناس بكل ذنوبهم، بل يعفو عن الكثير منها. فلولا عفوه، لما سلمت سفينة من الغرق، ولما سلم إنسان من هلاك. هذه الجملة تملأ قلبك رجاءً وخوفًا في آن واحد. خوفًا من أن تكون ذنوبك سببًا في هلاكك، ورجاءً في أن يعفو الله عن كثير من ذنوبك.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يوبقهن" فعل مضارع للدلالة على أن هذا قانون مستمر، فما تزال السفن تغرق بسبب ذنوب أصحابها.
· الربط بين "يوبقهن" و"ويعفو عن كثير" هو من باب الترهيب والترغيب معًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: على الرغم من هول المشهد، إلا أن "ويعفو عن كثير" تريح قلبك. فالله ليس معاقبًا لكل أحد على كل ذنب، بل هو عفو رحيم.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يستغفروا الله قبل أن يركبوا البحر أو الطائرة، وأن يتوبوا من ذنوبهم، خوفًا من أن تكون سببًا في هلاكهم.
· الرسالة العملية: استشعر هذا المشهد وأنت ترى حوادث السير، وحوادث الطائرات والسفن. قل: "اللهم لا تؤاخذنا بما فعله السفهاء منا".
*-المحور الخامس: دلالة (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) ومصير المجادلين المحتوم

يختم الله هذا المقطع القرآني ببيان الحكمة من هذا التخويف والإهلاك أحيانًا، وهو أن يعلم هؤلاء المجادلون في آيات الله أنهم لا ملجأ لهم ولا منجى من عذابه إذا جاء. "الذين يجادلون في آياتنا" أي الذين يخاصمون في القرآن وينكرون آيات الله الواضحة. "ما لهم من محيص" أي ليس لهم مهرب ولا منجى ولا ملاذ. فالسفن التي يركبونها، والبحار التي يطغون فيها، ليست بمنجاة لهم من عذاب الله. إن الله قادر على أن يأخذهم في البر أو في البحر، وهم لا يعجزونه.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ويعلم" معطوفة على محذوف، والتقدير: "ليكون هذا في علمهم ويقينهم".
· "ما لهم من محيص" نفي قاطع بأسلوب "ما" و"من" الاستغراقية، فلا محيص لهم أبدًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إنها تخوفك من الجدال في دين الله، وتحذرك من أن تكون ممن يجادلون في آيات الله بغير حق. هذا الخوف المحمود يجعلك تتلقى آيات الله بالتسليم والإذعان.
· الرسالة التربوية: ربِّ أبناءك على التسليم لآيات الله، وعدم الجدال فيها بغير علم. اشرح لهم أن الجدال في آيات الله قد يؤدي إلى سوء الخاتمة.
· الرسالة العملية: إذا عرضت لك شبهة في دين الله، فلا تجادل بها، بل اسأل العلماء واسكت. واعلم أن الجدال بغير علم هو من صفات المنافقين.
**القضايا الكبرى التي تعالجها الآيات

1. قضية آيات الله الكونية ودلالتها على التوحيد: تعرض الآيات نموذجًا من آيات البحر، لتدعو إلى التفكر في قدرة الله.
2. قضية قانون التسخير والتوقف: كل ما في الكون متوقف على مشيئة الله، لا يتحرك ولا يسكن إلا بإذنه.
3. قضية قانون الذنوب والهلاك: ربط المصائب والهلاك بكسب الأيدي، لتأكيد مبدأ المسؤولية الفردية.

.4قضية مصير المجادلين في آيات الله: بيان أن عاقبتهم وخيمة، ولا مهرب لهم من الله.
**القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيات

.1قيمة التفكر والتدبر في آيات الله الكونية.
.2قيمة التوكل على الله: في كل حركة وسكون.
.3قيمة الصبر والشكر: كمقياسين للإيمان.
.4قيمة الخوف والرجاء: من خلال قانون الهلاك والعفو.
.5قيمة التسليم لآيات الله وعدم الجدال فيها.
**أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة التوحيد بالقدرة، والاستسلام لله.
.2البعد الأخلاقي: تربية النفس على الصبر والشكر.
.3البعد النفسي: غرس الطمأنينة والثقة في تدبير الله، وإزالة القلق.
.4البعد الكوني: فتح آفاق النظر في الكون على أنها آيات دالة على الله.
**أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم التسخير الإلهي: كل ما في الكون مسخر بأمر الله.
· مفهوم الذنوب والمصائب: أن الذنوب سبب للهلاك والعقوبات.
· مفهوم المجادلة المذمومة: الجدال في آيات الله بغير علم.

ثانياً: المفاهيم التربوية السلوكية والقيمية:

· تربية ملكة التفكر: في آيات الله المنظورة.
· تربية خُلقي الصبر والشكر.
· تربية اللسان عن الجدال بالباطل.

ثالثاً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم الطمأنينة بالتوكل.
· مفهوم الرجاء والخوف المتوازن.

*-دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان ذي قلب حي: يتفكر في آيات الله، فيزداد إيمانًا.
.2بناء مجتمع صبّار شكور: يواجه الشدائد بالصبر، ويقابل النعم بالشكر.
.3بناء حضارة كونية: تنظر إلى الكون على أنه كتاب مفتوح، وتستفيد من خيراته بتسخير الله.
**ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نقرأ كتاب الكون مع كتاب الوحي. يريدنا أن ننظر إلى البحر والسفن، فنرى آياته، فنخافه ونرجوه. يريدنا أن نكون صابرين شكورين. يريدنا أن نراقب ذنوبنا، ونجتنب الجدال في دينه. يريدنا أن نوقن بأنه لا مهرب منه إلا إليه.

كيف نعيش هذه الآيات عمليًا؟

.1خصص وقتًا للتأمل في البحر أو صوره: تأمل في السفن وهي تجري، واسأل نفسك: من يمسكها؟ من يجريها؟ من يسكنها؟ هذا التأمل يزيد إيمانك.
.2عش الصبر والشكر: في كل ليلة، اسأل نفسك: "هل أنا اليوم صبار شكور؟" .اكتب ثلاثة أشياء تشكر الله عليها، وثلاثة أشياء صبرت فيها لله.
.3استغفر الله عند ركوب البحر أو الطائرة: تذكر أن الذنوب قد تكون سببًا للهلاك .قل: "سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون".
.4لا تجادل في آيات الله بغير علم: إذا سمعت شبهة، أو مر بك أمر غامض، فقل: "آمنت بالله ورسوله"، واسأل أهل الذكر.

أيها الحبيب في الله، هذه الآيات تأخذك من شاطئ الدنيا إلى لُجّة بحر الإيمان. عش معانيها، تكن من الصابرين الشكورين، وتنجُ من أهوال الدنيا والآخرة.

المقطع الثالث
القسم الاول
المبحث الأول
أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق لتزكية قلبه عن حب الفانيات، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آية كريمة من سورة الشورى، تتمم ذلك البناء الإيماني المتين، وتجلي لك حقيقة الدنيا والآخرة ، وتقدم لك العلاج الشافي لآلام الفقد وحرقة المصائب .بعد أن عرضت الآيات السابقة مشهدًا كونيًا باهرًا يُذكرك بقدرة الله المطلقة ورحمته الواسعة، حيث يُنزّل الغيث من بعد ما قنط الناس، وينشر رحمته في الآفاق والأنفس، ويُذكر بملكه المهيمن على كل دابة في السموات والأرض، يأتي هذا المقطع القرآني ليُعيد ترتيب قيمك وأولوياتك، وليُصوّب نظرك نحو الهدف الأسمى والأبقى .إنها الآية السادسة والثلاثون:

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الشورى:(36

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي بلسم القلوب التي أنهكتها الحسرات على زينة الحياة الدنيا، وهي دواء الصدور التي ضاقت بفوات شيء منها .إنها تخبرك بوضوح، استناداً إلى يقينك بأن الله هو الولي الحميد القادر على كل شيء: كل ما أوتيته، وكل ما فقدته، وكل ما تخاف فواته ...ليس إلا متاعًا زائلًا .وما ينتظرك عند الله هو خيرٌ منه وأبقى .إنها آية تعيد تعريف "الخسارة" و"الربح"، وتجعل من التوكل على الله -الذي بيده الغيث والرزق- جوازَ المرور إلى الرضا المطلق .دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، ونستخرج دررها، ونجعل منها بوصلة لقلوبنا في زمن الفتن والشهوات.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1.فهم حقيقة الدنيا وزوالها: أن ندرك بعمق أن كل ما في هذه الحياة من مال وجاه وصحة وبنين هو متاع زائل، فلا نجعله محور همنا ولا غاية حزننا.
2.استشعار عظمة ثواب الله ودوامه: أن نقارن بين الفاني والباقي، فنشتاق إلى ما أعده الله لعباده المتوكلين، ونسعى إليه سعيه.
3.ترسيخ قيمة التوكل العملي: أن نتعلم كيف يكون التوكل على الله ثمرةً للإيمان بقدرته على كل شيء، وقناعةً قلبيةً بالتعويض الإلهي عن كل فائت.
4.التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نواجه الفقد والمصائب، بل وحتى النعم، بمنطق الآخرة لا بمنطق الدنيا، محولين الحسرة إلى طمأنينة، والتعلق إلى توكل.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.
*المحور الأول: دلالة قوله) فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (وبيان حقيقة الدنيا

تأتي هذه الآية بالفاء التفريعية، لتبني على ما سبقها مباشرة من آيات القدرة والملك والرحمة) الآيات 34-35(بعد أن ذكر الله أنه يُنزل الغيث من بعد قنوط، وأنه الخالق المالك القادر على كل شيء، فرّع على ذلك بالنتيجة المنطقية: "فما أوتيتم من شيء..." أي: إذا كان الله هو المالك وحده، القادر وحده، الرازق وحده، فكل ما أعطيتموه أنتم ليس إلا متاعًا زائلًا .إنه ليس ملكًا حقيقيًا لك، بل عارية مستردة .كلمة "فما أوتيتم" تشمل كل ما يُعطاه الإنسان: المال، الأولاد، الصحة، المناصب، الجمال ...كل ذلك داخله .ثم يأتي الجواب القاطع: "فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" .إنه ليس إلا متاعًا، كمتاع المسافر الذي ينتفع به مدة ثم يتركه ويمضي.

المراد بـ "متاع الحياة الدنيا":
المتاع هو ما يُتمتّع به وينتَفع به زمنًا ثم يفنى .والمتاع هنا ليس مذمومًا لذاته، فالله هو الذي منحه، ولكن المذموم هو جعله الغاية القصوى والاهتمام الأكبر .إنه يُشبِه زاد المسافر الذي يحتاجه ليبلغ غايته، فلا يعقل أن يتوقف المسافر عن السفر ليتأمل زاده ويبكي عليه! وهكذا المؤمن، ينتفع بمتاع الدنيا ليعبد الله ويصل إلى رضوانه، ولا يبكي على ما فاته منه، لأنه يعلم حقيقته.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الفاء في "فما أوتيتم": للتفريع والربط بما سبق مباشرة) مشهد تنزيل الغيث وخلق السموات والأ

أرض .(فبعد أن تبيّن أن المالك والقادر هو الله، تبيّن أن ما بأيديكم زائل.
· أسلوب الشرط بـ "ما": "ما أوتيتم" شرط، و"فمتاع الحياة الدنيا" جوابه .هذا يفيد العموم، فكل ما أوتيه الإنسان داخل في هذا الحكم.
· تنكير "شيء": لتحقير كل ما في الدنيا، فكل ما يُعطاه الإنسان -مهما عظُم- هو "شيء" قليل حقير بـ القياس إلى ملك الله.
· تعريف "متاع الحياة الدنيا": بإضافة المتاع إلى الحياة الدنيا، لبيان أنه خاص بها، لا يتجاوزها إلى ا لآخرة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تحررك من عبودية الأشياء .عندما تؤمن أن كل ما تملكه هو "متاع" مؤقت، يهدأ قلقك من الفقد، ويزول خوفك من المستقبل .أنت لا تملك شيئًا حقيقيًا، بل أنت مستخلف فيه .هذا الإدراك يمنحك طمأنينة عجيبة.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يقيسوا قيمتهم بما يملكون .قل لهم: "وجود اللعبة أو ذهابها لا يزيد من قدرك ولا ينقص .قيمتك عند الله هي الأهم." هكذا يتربى الطفل على الزهد المبكر.
· الرسالة العملية: عندما تفقد شيئًا عزيزًا، قل لنفسك فورًا: "هذا متاع الحياة الدنيا" .درّب قلبك على هذا الاستحضار حتى يصبح رد فعلك التلقائي هو التسليم والرضا، لا الجزع والسخط.
**المحور الثاني: دلالة) وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (وسعة الرجاء في ثواب الله

هذه هي اللمسة الثانية التي تملأ القلب أملًا واشتياقًا للآخرة .بعد أن أخبر الله عن زوال متاع الدنيا، أخبر عما عنده سبحانه ."وما عند الله" أي ما ادخره لعباده المؤمنين في الآخرة من نعيم، هو "خير" من حيث النوع والكيف واللذة، وهو "أبقى" من حيث المدة والزمن .إنها مقارنة تسحق في قلب المؤمن أي حسرة على فاني .كيف تحزن على قطرة ماء ضاعت منك، والله الذي أنزل الغيث بقدرته قادر على أن يسقيك نهرًا جاريًا لا ينقطع؟ كيف تكتئب لفقد منصب زائل، والله الذي له ملك السموات والأرض يعدك بملك لا يبلى؟

اللمسات البيانية والبلاغية:

· تقديم الجار والمجرور "وما عند الله": لإفادة الاختصاص والتوكيد على أن ما عند الله وحده هو الذي يستحق أن يُسمى خيرًا وأبقى.
· اسم التفضيل "خير": يدل على أن ما عند الله أفضل في كل شيء: في اللذة، في الشرف، في النقاء.
· صفة "أبقى": تؤكد الدوام والخلود، في مقابل زوال متاع الدنيا وفنائه.
· الاقتران بين "خير" و"أبقى": جمع الله في ثوابه بين كمالين: كمال الجودة والنفع) خير(، وكمال المدة والبقاء) أبقى.(

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الجملة تريح قلبك من الحسرات .بدلًا من أن تقول "يا حسرتا على ما فرطت"، قل: "الله خير وأبقى" .إنها تولد في النفس شعورًا بالغبطة والسرور بما عند الله، أكبر من شعور الحزن على فوات الدنيا.
· الرسالة التربوية: عندما ترى ابنك متعلقًا بشيء فانٍ، لا تحرمه منه فحسب، بل ذكره بما هو أفضل وأجمل عند الله .ازرع في قلبه الشوق إلى الجنة، فهذا هو الدافع الحقيقي للترك لا الحرمان.
· الرسالة العملية: عندما تُتخذ منك الدنيا قسرًا، أو تتركها طوعًا، فاملأ وقت الفراغ الذي كان لها بذكر الله والعمل لما عنده .استثمر وقتك في طلب "ما عند الله" لتعوض نفسك بأفضل مما تركت.
**المحور الثالث: دلالة) لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (وشروط نيل هذا الخير

هنا الشرف العظيم والشرط النفيس .هذا الثواب العظيم، وهذا الخير الأبقى، ليس لكل أحد، بل هو خاص بـ "الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون" .الإيمان هو الأصل، والتوكل هو الثمرة العملية للإيمان بقدرة الله وتفرده بالملك .فمن آمن بأن الله هو الذي ينزل الغيث وينشر الرحمة ويخلق السموات والأ رض، توكل عليه وحده .وتوكلهم لا يمنعهم من العمل للأسباب، بل يدفعهم إليها، مع تفويض قلوبهم لله لا للأسباب .إنهم يوقنون أن الرزق والنصر والسعادة بيد الله، لا بما اكتسبوا .وهذه الصفة هي سمة المؤمنين الصادقين الذين لم تجعلهم الدنيا يغترون، ولم تفتنهم المصائب فيتعلقوا بالخلق.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الجار والمجرور "للذين آمنوا": متعلق بـ "خير وأبقى"، أي هذا الخير مستقر ومُعدّ خصيصًا للذين آمنوا.
· تقديم الجار والمجرور "وعلى ربهم": للتوكيد على حصر التوكل في الله وحده، فلم يتوكلوا على الأسباب أو على المخلوقين.
· صيغة الفعل المضارع "يتوكلون": تدل على التجدد والاستمرار، فهم دائمًا في حالة توكل على الله في كل شؤونهم.
· الجمع بين الإيمان والتوكل: الإيمان اعتقاد، والتوكل عمل قلبي وسلوكي .فكأن الآية تقول: الإيمان الكامل بقدرة الله وملكه يثمر توكلا ً خالصًا عليه.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا الشرط يُشعرك بالفخر والانتماء .أنت لست مجرد تارك للدنيا كارهًا لها، بل أنت تارك لها رغبةً فيما هو خير وأبقى، وواثقًا بوعد الله القادر .هذا الشعور يحول الزهد من مشقة إلى متعة.
· الرسالة التربوية: علم نفسك وأبناءك أن كل ترك للحرام أو للفضول هو نوع من التوكل .عندما تترك كسبًا مشبوهًا، فأنت تتوكل على الله أنه سيعوضك خيرًا منه .هذا يبني شخصية قوية لا تبيع دينها بدنياها.
· الرسالة العملية: اجعل التوكل مقرونًا بالدعاء والعمل .عند كل قرار، قل: "اللهم إني توكلت عليك" .ثم امضِ في طريقك مطمئنًا، عالمًا أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.
**المحور الرابع: ارتباط هذه الآية بسياقها المباشر) الآيات34 -(35

دعنا الآن نقف وقفة التدبر لنرى جمال النظم القرآني .إن ارتباط الآية (36) بالآيات التي تسبقها مباشرة34) - (35هو من أبدع ما يكون .تأمل معي:

· لقد بدأ السياق) آية (34 بقوله: ﴿وَهُوَ الذي يُنَزّلُ الغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ﴾ .هذه الآية تعالج أصل القلق الإنساني: الخوف من الفقر وفقد الرزق بعد اليأس و القنوط .فالله هنا هو الذي يرزق بعد اليأس.
· ثم تأتي الآية (35) لتؤكد قدرته المطلقة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ .فإذا كان الله خالق كل شيء والقادر على كل شيء، فهل يُعجزه رزقك؟
· هنا يأتي الاستنتاج العظيم في الآية(36) : ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ...﴾ .كأن الآية تقول لك: "أأنت خائف على رزقك بعد أن عرفت من هو الرزاق؟ أتحزن على ما فاتك من متاع، وهو الذي يملك خزائن السموات والأرض؟ إذا كان الأمر كذلك، فكل ما أوتيته ليس إلا متاعًا، وما عند الله خير وأبقى" .فالسياق ينتقل بك من "الخوف من القحط وفقد الرزق" إلى "التحرر من التعلق بالرزق" .إنها نقلة نفسية هائلة .فبعد أن طمأنك على رزقك بأن بيده الغيث، يطمئنك على قلبك بأن لا تجعل هذا الرزق أكبر همك، فما عند الله أعظم .وهذا منتهى التكامل والترابط.

المحاور الإضافية: دروس الآية في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية القيمة والمعنى: تعالج الآية سؤال: ما الذي يستحق أن نعيش لأجله؟ فتردّ بأن القيمة الحقيقية ليست في متاع الدنيا، بل في رضا الله ونعيم الآخرة.
.2قضية الحزن والفقدان: تقدم الآية تفسيرًا مريحًا للفقدان: ما فقدته هو متاع زائل، وما ستناله عند الله أعظم .فلماذا الحزن إذن؟
.3قضية العلاقة بين الإيمان والعمل: تربط الآية بشكل وثيق بين الإيمان والتوكل .التوكل هو الإيمان في حالة حركة.
.4قضية الزهد الحقيقي: ليس الزهد أن تحرم نفسك الطيبات، بل أن توقن بأن ما في يد الله خير مما في يدك، فتكون الدنيا في يدك لا في قلبك.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة الاستعلاء بالله: أن تستعلي بقلبك على متاع الدنيا الفاني، لا تكبرًا على الخلق، بل شعورًا بأن قلبك معلق بما هو أعظم.
.2قيمة اليقين بالتعويض: الثقة المطلقة بأن الله يعوضك في الدنيا أو الآخرة خيرًا مما فقدت، وهذا

يولد سكينة.
.3قيمة التوكل كمنهج حياة: ليس التوكل كلمة تقال عند الشدة، بل هو حالة قلبية دائمة وتصرف عملي مستمر.
.4قيمة البصيرة: أن ترى حقيقة الأشياء: هذا فان، وهذا باق، فتعمل للباقي.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: رسوخ عقيدة أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن ما عنده هو النعيم المطلق.
.2البعد التربوي: تعليم النفس الصبر على الإيثار: إيثار ما عند الله على ما في النفس من شهوات.
.3البعد النفسي: التحرر من الضغط النفسي الناتج عن المقارنات الاجتماعية والتنافس على متاع الدنيا.
.4البعد الاجتماعي: بناء مجتمع لا يقتتل على حطام الدنيا، بل يتسابق إلى الخيرات الباقيات.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· المفهوم الفكري: "تفاهة الدنيا أمام الآخرة": وهو مفهوم يقلب موازين التفكير .فكل هموم الدنيا تصبح "شيئًا" حقيرًا أمام أفق الأبدية.
· المفهوم النفسي الإيماني: "التوكل التعويضي": أن يشعر قلبك بأن الله يعوضك خيرًا مما فقدت بمجرد توكلك عليه، وهذا يجعلك تفرح بالمصيبة لما بعدها من خير.
· المفهوم التربوي السلوكي: "الاستثمار في الباقي": تحويل كل طاقة الحزن على الفقدان إلى طاقة عمل للآخرة.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان حرّ: حر من عبودية الدرهم والدينار، وحر من عبودية المنصب والجاه.
.2بناء مجتمع كريم: أفراده لا يتنافسون على الفاني، بل يتعاونون على البر والتقوى.
.3بناء حضارة راقية: حضارة لا تقوم على التكديس الاستهلاكي، بل على الإنتاج الأخروي، فتسخر الدنيا للآخرة.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآية في حياتنا العملية؟) مهارات معرفية وعملية(

هنا نصل إلى فصل التدريب العملي، حيث ننقل هذه المعاني من الإطار النظري إلى التطبيق اليومي لبناء إنسان متوازن ومناعة نفسية راسخة.

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة فرز المتاع والغاية) التمييز(: تتعلم من هذه الآية مهارة ذهنية بالغة الأهمية، وهي أن تميز بشكل واعٍ بين "وسائل" الحياة و"غاياتها" .المال، الشهادة، المنصب، الصحة، كلها "متاع الحياة الدنيا" أي وسائل لبلوغ الغاية .أما الغاية فهي "ما عند الله" من رضوان وجنة .في أي موقف، اسأل نفسك: هل ما أفعله الآن يقربني من الغاية الباقية أم أنه مجرد استمتاع بالوسيلة الفانية؟ هذا السؤال وحده سيغير جودة قراراتك.
· مهارة تحليل الخسارة والربح الحقيقي) إعادة التأطير(: عندما تتعرض لخسارة مالية أو فقدان شيء، يعمل عقلك تلقائيًا على تصنيف الحدث ك "مصيبة" .هذه الآية تعطيك مهارة "إعادة التأطير المعرفي" . تطبقها كالتالي: أمام أي خسارة، قل لنفسك: "وفق المنطق القرآني، أنا لم أخسر شيئًا حقيقيًا .ما ضاع مني هو متاع زائل، والمكسب الحقيقي هو ما عند الله .إذن، هذه الخسارة الظاهرية قد تكون بوابة لربح حقيقي إن أحسنت التعامل معها بالصبر والتوكل" .هذا التحليل يقتلع جذور الحزن والندم من قلبك.
· مهارة الربط بين العقيدة والواقع) التفسير الإيماني للأحداث(: تتعلم كيف تفسر أحداث حياتك من منظور الصفات الإلهية التي مرت في السياق .عندما تشعر بالقنوط من شيء، تستحضر أن الله هو "الولي الحميد" الذي ينزل الغيث من بعد القنوط .عندما تخاف على رزقك، تستحضر أن الله هو "الخالق" و"القدير على كل شيء" .هذا يخلق لك رؤية متكاملة للأحداث، لا سطحية ولا مادية بحتة، بل متصلة بالله مباشرة.

ثانيا: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "التوكل الإجرائي") تحويل القلق إلى عمل(: بدلا ً من القلق السلبي على المستقبل أو الرزق، طبق هذه المهارة المكونة من ثلاث خطوات:

1. النية: اجعل نيتك في أي عمل أن تصل إلى "ما عند الله".
2. بذل السبب: اعمل بجد واتقان، فالله يحب إذا عمل أحدكم عملا ً أن يتقنه.
3. التفويض واليقين: بعد العمل، قل: "اللهم إني توكلت عليك، وأعلم أن ما عندك خير وأبقى، فارزقني من واسع فضلك" .ثم نم قرير العين .هذه المهارة تقضي على القلق والأرق.

· مهارة "تحويل الحسرة إلى استثمار أخروي": هذه مهارة عملية تبدأ لحظة الشعور بالألم .عند أي خسارة) سيارة تعطلت، فرصة عمل ضاعت، خسارة في السوق(، بدل أن تطلق العنان للحسرة، افتح تطبيق المصحف أو ارفع يديك، وقل: "اللهم إن هذا متاع الحياة الدنيا، وما عندك خير وأبقى، فاللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها" .ثم قم بعمل صالح بسيط وفوري) صدقة، استغفار، صلاة ركعتين (ونوا بها أن تكون استثمارًا في "ما عند الله" .بهذا تحول لحظة الألم إلى مكسب دائم.

· مهارة "التخطيط المبني على الباقي": عندما تخطط لأسبوعك أو شهرك أو عامك، لا تخطط فقط للمتاع الفاني) الراتب، الشراء، الإجازة .(بل افتح مفكرة، واكتب جانبًا منها بعنوان: "استثماراتي في الباقي لهذا الشهر" .واملأها بأعمال صالحة تخطط لها: ختمة قرآن، صلة رحم مقطوعة، مبلغ ادخاري للصدقة، دورة علم شرعي .هذه المهارة تجعل التخطيط الدنيوي والروحي متوازيين.

المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نرتقي بحياتنا .يريدنا ألا نكون ممن يعيشون ويحزنون ويفرحون لمتاع زائل، بل نعيش بالله ولله .يريدنا أن نكون من "الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون"، فنجد في ذلك الشرف العظيم والطمأنينة التامة.

كيف نعيشها في عصر الاستهلاك والتعلق؟

1.في عصر إغراءات السوشيال ميديا: عندما ترى صور النعيم الزائف التي يتباهى بها الناس، استحضر قوله: "فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا" .إنه متاع، ينقضي كالصورة على الشاشة .قل: "وما عند الله خير وأبقى" .هذا يعصم قلبك من الغيرة والحسد .ثم طبق مهارة عملية: افتح المصحف واقرأ صفحة، استثمارًا في الباقي بدل تضييع الوقت في التطلع للفاني.
2.عند الخسائر المالية أو الصحية: بدلًا من الانهيار، تذكر أن الغيث ينزل من بعد القنوط .هذه فرصتك للتطبيق العملي .كل خسارة في الدنيا هي جرس تذكير بأن ما عند الله خير وأبقى .تدرب على مهارة تحويل الحسرة إلى استثمار أخروي فورًا .قل: "إنا لله وإنا إليه راجعون .اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها".
3.في التخطيط للمستقبل: لا تخطط لمستقبلك الدنيوي منفصلًا عن أخراك .عندما تبحث عن وظيفة، أو تخطط لزواج، أو تشتري منزلا ً، اجعل نيتك الظاهرة في كل ذلك: "اللهم إني أريد أن أستعمل هذا المتاع في طاعتك ومرضاتك، لأصل به إلى ما عندك" .هذا التوكل العملي سيبارك لك في متاعك ويجعله وسيلة لسعادتك في الدنيا والآخرة.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآية هي مفتاح السعادة الحقيقية .إنها تعلمك أن تعيش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، تنتفع بالمتاع ولا تأسره في قلبك، وتشتاق إلى "ما عند الله" فتعمل له، وتتوكل على الله في كل صغيرة وكبيرة، مستمدًا يقينك من كونه وليك الحميد، ومنزل الغيث، وخالق كل شيء .اجعل هذه الآية نصب عينيك، تلاوةً وتدبرًا وعملًا، تكن من الفائزين بخير الدنيا وخير الآخرة، الذين كتب الله لهم الأمن والهدى.

الصفه الثالثه لمن يفوزون بما عند الله من خير في الاخره

أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق لتزكية قلبه وسلوكه، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آية كريمة من سورة الشورى، تكمل لنا بناء الشخصية الإيمانية المتكاملة، وتبين لنا باقي الصفات التي تؤهل العبد لنيل ذلك المتاع الحقيقي الدائم في الآخرة. بعد أن كشفت لنا الآية السادسة والثلاثون عن حقيقة الدنيا الفانية، وأن ما عند الله خير وأبقى، وذكرت أول صفتين لمن يستحقون هذا الخير، وهما الإيمان والتوكل، تأتي هذه الآية لتضيف صفتين عظيمتين أخريين، هما ثمرة الإيمان والتوكل، وعلامة صدقهما. إنها الآية السابعة والثلاثون:

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ الشورى:(37

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي ميزان دقيق لسلامة القلب واستقامة السلوك. إنها تجيب عن السؤال العملي: كيف يترجم المؤمن المتوكل إيمانه وتوكله إلى واقع عملي في علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس؟ إنها تخبرك أن الطريق إلى "ما عند الله" يمر عبر تجنّب أقذار الذنوب، والتحلي

بزينة العفو عند الغضب. دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، ونستخرج دررها، ونجعل منها خارطة طريق لتزكية نفوسنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1فهم معنى اجتناب كبائر الإثم والفواحش: أن ندرك بعمق أن هذه الصفة تعني تطهير قوى الإنسان الثلاث) العقل، والغضب، والشهوة (من الأوساخ التي تفسد فطرته وتمنعه من دخول الجنة الطيبة.
.2استشعار قيمة العفو عند المقدرة: أن نتعلم كيف يكون العفو عند الغضب خلقًا كريمًا متعمدًا، لا مجرد نسيان طبيعي، وكيف أنه من صفات الله التي يتحلى بها المؤمنون.
.3ربط الصفات الأربع ببعضها: أن نرى كيف أن الإيمان والتوكل هما الأصل، واجتناب الكبائر والعفو هما الثمرة العملية والسلوكية لهما.
.4التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نمارس تطهير أنفسنا من الذنوب، وكيف نروض غضبنا لنصل إلى مقام العفو، محولين المعرفة إلى سلوك يومي.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (وَالذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ) وبيان الصفة الثالثة: تطهير النفس من أوساخ الذنوب

بعد أن ذكر الله الصفتين الأولى والثانية في الآية السابقة (الإيمان والتوكل)، عطف عليهما بالواو هنا الصفة الثالثة: "والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش". إنها نقلة من عالم الاعتقاد والقلب (الإيمان و التوكل) إلى عالم السلوك والجوارح. "يجتنبون" تعني أنهم يبتعدون ابتعادًا تامًا، ويجعلون بينهم وبين هذه الذنوب حاجزًا وحصنًا منيعًا. و"كبائر الإثم" هي الذنوب العظيمة التي ورد عليها وعيد شديد في القرآن والسنة، والتي تهدم قوى الإنسان الثلاث (العقل، الغضب، الشهوة) وتفسد مقصود خلقه وهو العبودية لله. أما "الفواحش" فهي ما تفحش وعظم قبحه من الذنوب، وغالبًا ما تطلق على ما يتعلق بقوة الشهوة المحرمة.

المراد بـ "كبائر الإثم والفواحش" وتطهير قوى الإنسان الثلاث:
فإن كبائر الإثم والفواحش تستهدف القوى الثلاث التي ركب الله منها الإنسان، واجتنابها يعني تطهير هذه القوى لتكون أهلا ً للتكريم الإلهي.

.1تطهير قوة العقل) داء الشرك(: أعظم كبائر الإثم وأصلها هو الشرك بالله .وهو أوساخ تفسد المقصود من خلق الإنسان، إذ تذهب قوى العقل والعلم الإيمانية الروحية .فالشرك -سواء بالاستعانة بغير الله، أو طلب الغوث والنصرة من الأموات والأصنام، أو عدم امتثال أمر الله، أو وضع تشريعات من غير شرعه، أو ادعاء الولد لله- يُنزل الإنسان من مرتبة العبودية والتكريم إلى مرتبة الحيوانات التي لا تعقل .فالمقصود بخلق الإنسان هو العبودية لله، والشرك يجعله غير صالح لدخول الجنة الطيبة .مثال تقريبي: كمبيوتر صُمم ليعمل بنظام تشغيل معين، فإذا حُمّل بنظام مغاير تمامًا، تعطل وأصبح غير صالح للعمل .فالعقل البشري خُلق ليعرف الله ويعبده، والشرك يعطله عن وظيفته الأ ساسية .لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:.(13
.2تطهير قوة الغضب) داء القتل والعدوان(: من كبائر الإثم المتعلقة بقوة الغضب قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .فالله جعل قوام الإنسان بجسده، والقتل اعتداء يفسد هذا القوام .وكذلك كل الذنوب المتعلقة بالغضب كالضرب والإيذاء والظلم .مثال تقريبي: إنسان يملك سيارة فاخرة، فإذا انطلق غضبه فحطمها بيده، لكان الناس جميعًا يصفونه بالجنون .فكيف بمن يحطم نفسًا بشرية كرمها الله بسبب غضبه؟
.3تطهير قوة الشهوة) داء الزنا والفواحش(: الفواحش غالبًا ما تتعلق بقوة الشهوة والحب، وفي مقدمتها الزنا وما يندرج تحته من الفواحش .فالله جعل النكاح بالزواج تلبية للرغبة الشهوانية ولأجل التناسل، وبالتالي فإن اقتراف الزنا يُلوث قوام بقاء النوع الإنساني .وهي أوساخ تستهدف القوى الشهوانية التي ينبغي أن تخضع لمنهج الله .مثال تقريبي: نهر عذب صافٍ هو مورد الماء لمدينة بأكملها، فإذا أُلقي الناس فيه الأوساخ والقاذورات، تحول إلى مستنقع آسن يهلك من يشرب منه .ف الشهوة كالنهر، إن طُهّرت بالزواج كانت نعمة، وإن لُوّثت بالفواحش كانت نقمة.

فاجتناب هذه الكبائر يعني تطهير قلب الإنسان من إفساد عقله وجسده وقلبه، وهنا يصير أهلا ً

للتكريم الذي منحه الله للإنسان، وجعله أفضل من الملائكة وأمرهم بالسجود له تكريمًا.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الفعل "يجتنبون": مضارع يفيد التجدد والاستمرار، فهم دائمًا في حالة مجاهدة للنفس وابتعاد عن هذه الذنوب، وليس مجرد ترك مؤقت.
· كلمة "كبائر": جمع كبيرة، وهي ما عظم ضرره وإثمه .وفي هذا إشارة إلى أن هناك صغائر تكفرها الصلوات والطاعات، ولكن الكبائر تحتاج إلى توبة خاصة واجتناب تام .قال تعالى: ﴿إِن تجْتَنِبُوا كبَائِرَ مَا تنْهَوْنَ عَنْهُ نكفِّرْ عَنكمْ سَيِّئَاتِكمْ﴾ النساء:.(31
· الجمع بين "الإثم" و"الفواحش": الإثم عام يشمل كل ذنب، والفواحش خاص بالمبالغ في القبح . فكأنهم يجتنبون الذنوب عامة، وبالأخص ما كان فاحشًا قبيحًا منهم .وهذا من باب عطف الخاص على العام للدلالة على عظم قبحه.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنحك شعورًا بالعزة والكرامة .أنت لست مجرد مخلوق، بل أنت مكرم من الله .وكل ذنب ترتكبه هو أوساخ تنزل بك عن هذا المقام .إدراكك أنك تجتنب الذنوب لتكون أهلا ً للتكريم الإلهي يجعلك ترى الطاعات والاجتنابات ليس كقمع للرغبات، بل كصيانة لنفسك ونظافة لها.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن الابتعاد عن الحرام ليس حرمانًا، بل هو حفاظ على "نظافتهم الإ نسانية" .قل لهم: "كما تستحم لتغسل جسدك، فأنت تجتنب الذنوب لتغسل روحك وقلبك لتكون طيبًا نظيفًا، ولأن الجنة مكان طيب لا يسكنها إلا الطيبون." هذا يبني فيهم دافعًا داخليًا للطهارة الخلقية.
· الرسالة العملية: ضع قائمة بأبرز الكبائر التي قد تكون قريبًا منها) عقوق الوالدين، الربا، الغيبة، الزنا، الكذب (...واجعل لنفسك خطة عملية لاجتنابها، كمن يخطط لتجنب أمراض مهلكة .وفي كل مرة تنجح في الاجتناب، اشكر الله أن طهّرك وأبقاك أهلا ً لتكريمه.
*المحور الثاني: دلالة (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) وبيان الصفة الرابعة: العفو عند المقدرة

بعد أن طهّر الله قلوبهم وأجسادهم باجتناب الكبائر، أصبحت نفوسهم أهلا ً لأعلى درجات الكمال الخلقي، وهو العفو عند الغضب. هذه الصفة الرابعة ليست مجرد ترك للذنوب، بل هي إيجابية وفاعلية في التعامل مع الآخرين. "وإذا ما غضبوا هم يغفرون" أي أنهم إذا ثارت فيهم قوة الغضب الفطرية، ووصلوا إلى حالة الانفعال، فإنهم لا ينفذون مقتضى هذا الغضب بالانتقام، بل يتجاوزونه إلى العفو و المغفرة.

الفرق بين الحالة الطبيعية والحالة الخلقية
هذا النص القرآني يصف حالة خلقية متعمدة، وليست حالة طبيعية تلقائية. فهناك فرق جوهري:

· الحالة الطبيعية: هي حال الطفل الجاهل، أو الشخص الذي يغضب ثم ينسى سريعًا لانشغال ذهنه أو لضعف همته .هذا النسيان الطبيعي ليس فضيلة خلقية، لأنه ليس فيه مجاهدة للنفس ولا اختيار.
· الحالة الخلقية) المطلوبة في الآية(: هي أن يعفو الإنسان ويسامح مع قدرته الكاملة على الانتقام . إنه تهذيب للنفس ورياضة لها، حيث يكون الانتقام ميسورًا وممكنًا، ولكن المؤمن يختار العفو طواعية لله.

مثال تقريبي: ملك جبار على عرشه، يأتيه خادم فيخطئ خطأً كبيرًا أمام الجميع. فالملك هنا قادر تمامًا على عقابه بل وإهلاكه، ولا أحد يستطيع أن يمنعه. فإذا ما اختار هذا الملك العفو والصفح، فهذا هو الخلق الكريم. أما إن كان لا يستطيع الانتقام أصلا ً، فعفوه ليس كرمًا بل عجزًا. فالعفو القرآني هو عفو الملك القادر، لا عفو العاجز.

لماذا العفو والمغفرة؟
لأن المؤمن الحق قد امتلك زمام قوى غضبه ووجهها لله. فغضب المؤمن لله، لا لنفسه. وإذا كان الله -وهو القادر على كل شيء- يعفو ويغفر، فإن عباده المؤمنين أولى بأن يتحلوا بهذه الصفة. إن الإشارة إلى أن العفو والمغفرة هما من صفات الله تجعل المؤمن يتطلع إلى هذا المقام الرفيع. النفس البشرية بطبعها تحب الانتقام، وهذه غريزة فطرية، ولكن الإسلام لم يحرم الغضب لذاته، بل وجهه ليكون لله، وحث على التغلب عليه والعفو عند المقدرة. وجعل الشريعة حدودًا للانتقام لئلا يتجاوز الحد، فقال تعالى: ﴿وَلَكمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 179) وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ (النحل: 126).

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "إذا ما": أداة شرط تدل على التحقق والتأكيد، فالغضب سيحدث لا محالة، فما من إنسان إلا ويغضب.
· "هم يغفرون": جملة اسمية مؤكدة بضمير الفصل "هم" .هذا يفيد الاختصاص والتوكيد على أنهم هم خاصة الذين يغفرون، وأن صفة المغفرة فيهم راسخة ثابتة.
· وصل هذه الصفة باجتناب الكبائر: بعد تطهير القوى الثلاث، تصبح النفس مستعدة لهذا الخلق العظيم ، وهذا يدل على ترتيب منطقي في بناء الشخصية الإيمانية.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: تدرب نفسك على الشعور بلذة العفو التي هي أعظم من لذة الانتقام .عند الغضب، اسأل نفسك: "هل أنا قادر على الانتقام؟" إذا كان الجواب نعم، فقل: "اللهم إني أعفوا عن فلان ابتغاء وجهك." ستشعر بعدها بسكينة عجيبة وانتصار على نفسك أكبر من انتصارك على عدوك.
· الرسالة التربوية: في البيت، عندما يخطئ الأبناء أو الزوج، تدرب على العفو المتعمد لا العجز .بيّن لمن أخطأ أنك قادر على عقابه، ولكنك تعفو لله .هذا يزرع في البيت ثقافة العفو والكرامة.
· الرسالة العملية: سجّل مواقف غضبك في أسبوع .كم مرة غضبت وانتقمت؟ وكم مرة غضبت وعفوت وأنت قادر؟ اجعل لنفسك هدفًا أسبوعيًا "لأتمرن على العفو مرة واحدة على الأقل" مع استشعار أن الله يعفو عنك كما تعفو عن عباده.
**المحور الثالث: الربط بين الصفات الأربع (الإيمان، التوكل، اجتناب الكبائر، العفو)

هنا تكتمل اللوحة الإيمانية المتكاملة في بناء الشخصية التي تستحق "ما عند الله" من الخير الأبقى. دعنا نربط هذه الصفات لنرى كيف تبني الإنسان من الداخل إلى الخارج:

· الصفة الأولى) الإيمان(: هي صلة الروح بالله) .الذين آمنوا (أي صدقوا بالغيب .فاتصلت أرواحهم ب الله، فزالت الستائر التي تحجب اتصال النفخة بخالقها .فيصبحون يرون ما لا يرى الناس، لأن مشاعرهم وأرواحهم ترى اليوم الآخر وما ينتظرهم، فيبادرون إلى التزود لذلك اليوم .ومن هنا ينبع الصبر على المصائب والطمأنينة النفسية والثقة بالطريق والعلم والفهم لحقائق الأشياء، وتزول عنهم الأ وهام.
· الصفة الثانية) التوكل(: هي ثمرة الإيمان العملية .فالمؤمن يدرك أن الله مالك الكون والمتحكم به، ولذلك لا يخاف من أحد، ولا يخاف على المستقبل لأنه يدرك أن المستقبل الحقيقي هو في الآخرة .و لا يخاف من بطش الظالمين لأنه يدرك أن الله أعظم .ولا يضعف أمام المال لأنه يدرك أن التذلل للغني استضعاف واستعظام للمال وعبودية له، وهو ضعف لا يقبله المؤمن .ولهذا فهو يعتمد على ربه دون ما سواه، ويستعين به لأنه يدرك أن كل شيء بيد الله وبقضائه وبقدره، فلا يصيبه الفزع ولا العجز.
· الصفة الثالثة) اجتناب الكبائر(: هي ثمرة الإيمان والتوكل في تزكية النفس عمليًا .فمن آمن بالله وتوكل عليه، يجتنب ما حرمه .وهي صفة سلبية بمعنى "التطهير والتخلية"، حيث يُفرّغ المؤمن نفسه من الأوساخ التي تفسد إنسانيته .وهذا الاجتناب يولد في الإنسان العزيمة والثبات ومجاهدة النفس ومحاسبتها، ويستقيم السلوك، ويعود ذلك على المجتمع بالسعادة والاستقرار.
· الصفة الرابعة) العفو عند الغضب(: هي ثمرة التطهير، بل هي أرقى ثماره .وهي صفة إيجابية بمعنى "التحلية"، حيث يملأ المؤمن نفسه بالفضائل بعد أن فرّغها من الرذائل .فمن طهّر نفسه من كبائر الغضب) كالقتل والعدوان(، ارتقى إلى درجة العفو والمغفرة.

وباجتماع هذه الصفات الأربع، يكتمل بناء الإنسان القرآني: إيمان يربطه بالله، وتوكل يحرره من الخوف، واجتناب للذنوب يطهره، وعفو عن الناس يسمو به.
*-المحاور الإضافية: دروس الآية في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية تزكية النفس: تعالج الآية سؤال: كيف أطهر نفسي لأكون أهلا ً للجنة؟ فتبين أن الطريق هو الاجتناب الفاعل للكبائر، والتحلي بالعفو.
.2قضية استخدام قوى الإنسان: تقدم الآية منهجًا متكاملا ً لتنظيم القوى الثلاث: العقل) باجتناب الشرك(، والغضب) باجتناب القتل ثم بالعفو(، والشهوة) باجتناب الفواحش.(
.3قضية العلاقات الاجتماعية: تعالج الآية أصل النزاع بين الناس وهو الغضب والرغبة في الانتقام، وتقدم دواءه وهو العفو والمغفرة.

.4قضية الاستحقاق للجنة: تربط الآية بين الطهارة الخلقية واستحقاق دخول الجنة، فالجنة طيبة لا يسكنها إلا طيبون.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة الطهارة: طهارة العقل من الشرك، وطهارة اليد من العدوان، وطهارة الفرج من الفواحش.
.2قيمة العزة: فالذي يجتنب الذنوب ويعفو عند المقدرة هو عزيز بإيمانه، لا تذله الشهوات ولا يستعبده الانتقام.
.3قيمة العفو كقوة: إعادة تعريف القوة، فالقوة الحقيقية ليست في الانتقام، بل في كظم الغيظ و العفو عن الناس.
.4قيمة المسؤولية الفردية: كل إنسان مسؤول عن تطهير نفسه بنفسه، فلن يدخل أحد الجنة بعمل غيره.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: رسوخ عقيدة أن التحاكم إلى شرع الله وحده هو الطهارة، وأن الشرك رجس ونجاسة.
.2البعد التربوي: تقديم منهج عملي لتربية النفس على العفة والعفو، من خلال المجاهدة والمراقبة.
.3البعد النفسي: غرس حالة من السلام الداخلي، فمن يعفو عن الناس يريح نفسه من عبء الحقد و الغضب المستمر.
.4البعد الاجتماعي: بناء مجتمع متسامح، يتعاون أفراده على الخير، ويصفح بعضهم عن بعض، مجتمع خالٍ من الأحقاد والثارات.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

أولا ً: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم "التكريم الإنساني": أن قيمة الإنسان ليست بمادياته، بل بطهارته الروحية والخلقية، وأن الذنوب تنزل به عن مرتبة التكريم.
· مفهوم "النجاسة المعنوية": كما أن الجسد يتنجس بالأوساخ الحسية، فالروح تتنجس بالذنوب والآثام، وتحتاج إلى تطهير دائم.

ثانياً: المفاهيم النفسية الإيمانية والوجدانية:

· مفهوم "لذة العفو": أن في العفو لذة تفوق لذة الانتقام، لأنها لذة روحية يشعر فيها المؤمن بقربه من ربه.
· مفهوم "الغضب لله": تحويل طاقة الغضب من الانتقام للنفس إلى الانتصار لدين الله وحرماته.

ثالثاً: المفاهيم التربوية السلوكية:

· مفهوم "المجاهدة الوقائية": الاجتناب المستمر والمراقبة الدائمة للنفس قبل وقوع الذنب، وليس مجرد التوبة بعده.
· مفهوم "العفو كقرار": العفو ليس شعورًا، بل هو قرار يتخذه الإنسان بوعيه وإرادته متجاوزًا مشاعره.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان طاهر كريم: إنسان يأنف من الذنوب كما يأنف من الأوساخ الحسية، ويسمو بنفسه عن الانتقام.
.2بناء مجتمع آمن مطمئن: مجتمع لا يخاف أفراده من بطش بعضهم، ولا من فساد الأعراض و الحرمات، مجتمع قانونه الأول هو تقوى الله والعفو عن الناس.
.3بناء حضارة تقوم على الأخلاق: حضارة لا تقاس بتقدمها المادي فقط، بل بطهارة أفرادها وسمو أخ لاقهم .هذه الحضارة هي التي تستحق وعد الله بالتمكين.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآية في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

هذا هو فصل التدريب العملي، حيث ننقل هذه المعاني من الإطار النظري إلى التطبيق اليومي لبناء إنسان متوازن يمتلك مناعة نفسية وسلوكية راسخة.

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة تصنيف الذنوب وتحليل النفس) الفحص الذاتي الوقائي(: تتعلم من هذه الآية مهارة ذهنية دقيقة، وهي أن تراقب نفسك مراقبة الطبيب .وكما يراقب الطبيب العلامات الحيوية للمريض) ضغط، سكر، حرارة(، عليك أن تراقب علاماتك الإيمانية الثلاث: قوة العقل: هل خطر ببالي شيء من الشرك أو التعلق بغير الله؟ قوة الغضب: هل تسلطت على أحد بلساني أو يدي ظلمًا؟ قوة الشهوة: هل مددت عيني أو سمعي إلى حرام؟ .مثال عملي: في نهاية كل يوم، وقبل النوم، اسأل نفسك هذه الأسئلة الث لاثة، فهذه هي "الفحوصات اليومية لصحة قلبك" .إن وجدت خللا ً، فبادر إلى التوبة والاستغفار فورًا.
· مهارة التفريق بين الضعف والعفو) الاستبصار الخلقي(: تتعلم كيف تميز في نفسك وفي الآخرين بين "العفو الكريم" و"العجز المهين" .كلما غضبت وعفوت، اسأل نفسك: "هل كنت قادرًا حقيقة على الانتقام ؟" إن كان الجواب نعم، فهنيئًا لك، فقد ارتقيت في سلم الكمال الخلقي .وإن كان الجواب لا، فأنت لم تعفُ بعد، وعليك أن تعمل على تقوية نفسك أولا ً .مثال تقريبي: شخص أهانه مديره في العمل أمام الجميع، وهو لا يستطيع الرد خوفًا على وظيفته، ثم قال: "أنا عفوت عنه" .هنا، هذا ليس العفو القرآني، لأنه لم يكن قادرًا على الانتقام .أما إن كان قادرًا على الرد أو الشكوى وأضرار المدير، ثم اختار الصفح، فهذا هو العفو الحقيقي.
· مهارة الربط بين الطهارة والتكريم) الإدراك القيمي(: تتعلم كيف تربط في ذهنك بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي، وبين كرامتك عند الله .كلما هممت بذنب، قل لنفسك: "أنا مكرم عند الله، وهذا الذنب ينزل بي عن مقام التكريم." هذا الربط الذهني يحول اجتناب الذنوب من خوف من العقاب إلى حب للكرامة.

ثانيا: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "الطوارئ الثلاث" لمعالجة الغضب: عند حدوث غضب مفاجئ، طبق هذه الخطة العملية المكونة من ثلاث خطوات مستمدة من الآية:
1. التجميد) الإطفاء(: اسكت فورًا .تذكر أن "وإذا ما غضبوا" شرط، وجوابه المؤجل هو "هم يغفرون" .فالغضب حصل، والآن أنت في منطقة الاختيار .لا تتكلم، لا تتحرك، خذ نفسًا عميقًا.
2. التذكير) الاستحضار(: قل في نفسك: "أنا قادر على الرد، ولكن الله الذي يعفو عني مع قدرته عليّ يأمرني بالعفو .وما عند الله خير وأبقى .اللهم إني أسألك العفو والعافية."
3. الفعل الإيجابي) الاستثمار في الباقي(: بدلا ً من الانتقام، قم بعمل صالح فوري .تصدق بسر، صل ركعتين، استغفر .هذا يحول طاقة الغضب المدمرة إلى طاقة إيجابية بناءة.
· مهارة "بناء الحصن الواقي من الكبائر": هذه مهارة عملية طويلة المدى لاجتناب الكبائر:
1. تحديد الخريطة: اكتب قائمة بالكبائر التي تواجهها في حياتك اليومية) الغيبة، النميمة، الكذب، إطلاق البصر.(...
2. بناء الأسوار: لكل كبيرة، ضع سورًا واقيًا .مثلا ً، للغيبة، اجعل شعارك: "لا أذكر أحدًا بسوء في غيبته" .للكذب، "لا أقول إلا صدقًا ولو على نفسي".
3. المراقبة اليومية) التدقيق(: في نهاية اليوم، راجع يومك .كم مرة كدت تقع في الذنب فاجتنبته؟ كم مرة وقعت؟ سجل ذلك، وتب.
4. الرفقة الصالحة) التعزيز(: أحط نفسك بصديق يعينك على هذا الاجتناب، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.
· مهارة "تحويل الإهانة إلى قربى": عندما يخطئ شخص في حقك، فلا تكتف بالعفو عنه كما في المهارة السابقة، بل ارفع الأمر لمرتبة أعلى: أحسن إليه .مثال عملي: زميل أساء إليك في العمل، فعفوت عنه ثم سمعت أنه في ورطة .بادر إلى مساعدته .هذه هي المرتبة التي قال فيها تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: .(34 وبهذا، تكون قد طبقت الصفة الرابعة بأعلى درجاتها.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون طيبين، أهلا ً لداره الطيبة. يريدنا أن نترجم إيماننا وتوكلنا إلى سلوك عملي يتمثل في طهارة الجوارح، وسمو الأخلاق. يريدنا أن نكون خلفاءه في الأرض، نطهرها من الفساد، وننشر فيها العفو والرحمة.

كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

.1في عصر الاستفزاز الإعلامي: نحن نعيش في عصر صُممت فيه الأخبار ومواقع التواصل لإثارة

غضبك، لأن الغضب يجلب التفاعل والمشاهدات .هنا تأتي الآية لتقول لك: "وإذا ما غضبوا هم يغفرون" .تدرب على ألا تتفاعل وأنت غاضب .لا تكتب تعليقًا غاضبًا، لا تشارك منشورًا مثيرًا .اغلق الجهاز، وتوضأ، وتذكر أنك عبد لله لا عبد لخوارزميات المنصات .هذا هو "الفقه الرقمي" المستنبط من الآية.
.2في مواجهة الشهوات المعاصرة: انفتحت أبواب الفواحش بصورة غير مسبوقة عبر الإنترنت و الجوال .واجتناب كبائر الإثم والفواحش لم يعد مجرد قرار، بل أصبح جهادًا يوميًا .طبق مهارة بناء الحصن الواقي .استخدم تطبيقات حجب المواقع، واملأ وقت فراغك بالطاعات، وتذكر أن الجنة طيبة، ولا يدخلها إلا طيب .كل مرة تجتنب فيها حرامًا، تستشعر أنك تزداد طهارة وقربًا من الجنة.
.3في العلاقات الأسرية والمهنية: تحدث الخلافات وسوء الفهم يوميًا .القاعدة العملية: كلما غضبت، تذكر أنك إن عفوت فأنت تتمرن على صفة من صفات الله .في البيت، كن أول من يعتذر ويعفو .في العمل، كن المثل الأعلى في التسامح .هذا لا يهينك، بل يرفعك، لأن الناس كلها ستشهد أنك قوي كريم، ليس ضعيفًا ولا عاجزًا.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآية هي برنامج عملي لتزكية النفس. إنها تعلمك كيف تكون إنسانًا كاملا ً، طاهر العقل من الشرك، طاهر اليد من العدوان، طاهر الفرج من الفواحش، قادرًا على العفو عند المقدرة. بهذه الصفات الأربع -الإيمان، والتوكل، والطهارة، والعفو- تكتمل إنسانيتك، وتستحق ما عند الله من الخير الأبقى. اجعل هذه الآيات الأربع (36-37) دستورًا لسلوكك، تلاوةً وتدبرًا وعملا ً، تكن من الفائزين الذين قال الله فيهم في ختام هذا المقطع: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.
المبحث الثالث
أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق للسير في طريق العبودية الكاملة، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آية كريمة من سورة الشورى، تكمل لنا بناء تلك الشخصية الإيمانية الفريدة، وتكشف لنا عن باقي الصفات التي تؤهّل العبد لِنَيْل ذلك المتاع الحقيقي الدائم في الآخرة. بعد أن بيّنت الآيتان السابقتان (36-37) أول أربع صفات، وهن: الإيمان، والتوكل، واجتناب الكبائر، والعفو عند الغضب، تأتي هذه الآية لتضيف أربع صفات عظيمات أخريات، تشكل بمجموعها المنهج المتكامل للحياة الطيبة. إنها ا لآية الثامنة والثلاثون:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: 38)

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي دستور العبودية الخالصة، وميثاق العلاقة مع الله، ودستور العلا قة مع الناس. إنها تجيب عن السؤال الجوهري: ماذا يفعل المؤمنون المتوكلون بعد أن طهّروا أنفسهم وزكّوها؟ إنهم يستجيبون لله، ويقيمون الصلاة، ويتشاورون فيما بينهم، وينفقون مما رزقهم الله. دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، ونستخرج دررها، ونجعل منها خارطة طريق لبناء الذات والمجتمع.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1فهم معنى الاستجابة للربوبية: أن ندرك أن الاستجابة لله تعني تسهيل الطريق، واليقظة الدائمة، و الخضوع الكامل للإرادة الإلهية.
.2استشعار جوهر الصلاة وأثرها: أن نعيش الصلاة كأعظم صورة من صور الخضوع والتواضع، وكدواء ناجع لداء الكبر والأنانية.
.3ترسيخ مبدأ الشورى كقيمة وجودية: أن نعي أن الشورى ليست مجرد نظام سياسي، بل هي سبيل الخلاص من الأهواء، ومدرسة للتربية الجماعية، وضمان السير في طريق الصواب.
.4إدراك فلسفة الإنفاق: أن نتعلم أن الإنفاق هو تطهير للنفس من الشح، وتنظيم للحب، وإقرار بحق الله والناس في المال.
.5التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نكون مستجيبين لله في كل شأن، وكيف نقيم صلاة حقيقية، وكيف نتشاور، وكيف ننفق.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.
*المحور الأول: دلالة قوله (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) وبيان الصفة الخامسة: امتلاك الإرادة المنقادة لله

بعد أن وصفهم باجتناب الكبائر والعفو، يأتي بصفة ملازمة وجديدة: "والذين استجابوا لربهم". الا ستجابة هنا تعني التلبية الكاملة والطواعية المطلقة لأوامر الله واجتناب نواهيه، وهي أخص من مجرد الطاعة، إذ فيها معنى المبادرة والسرعة والتلبية. وتأمل اقتران الاستجابة باسم "الرب"، ففيه إشارة عظيمة إلى أن هؤلاء المؤمنين لمّا استجابوا لنداء الرب، تكفّل الله -بمقتضى ربوبيته- برعايتهم وحمايتهم وتسهيل طريقهم. فالربوبية هنا تتضمن معاني الرعاية والاهتمام والحماية.

ثمرات الاستجابة:
الاستجابة تزيل العوائق والعقبات التي تقف حائلًا بين العبد وربه. إنها تجعل العبد يحظى بحماية الله، ويسهّل الله له الطريق الذي يوصل إلى الغاية التي من أجلها استجاب. هؤلاء يعيشون في يقظة دائمة، وترقب للموت، وزهد في الدنيا، فيتجاوزون عوائق الشهوات والملذات والرغبات. وهنا تظهر قاعدة إلهية عظيمة: الاستجابة لنداء الرب يكافئ صاحبها بتسهيل الطريق، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (الليل: 5-7). أما الإعراض ورفض الاستجابة، فيعاقب صاحبه بأن يسلط الله عليه قرناء السوء، فيعرّفونه إلى طرق الشهوات التي فيها الخسارة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36).

جوهر الاستجابة (خضوع الإرادة):
هؤلاء المستجيبون جعلوا إرادتهم خاضعة لإرادة الله، فهم يحبون ما يحب الله، ويسعون إلى ما يرضي الله. لم تعد لهم إرادة مستقلة عن مراد ربهم. مثال تقريبي: كمريض ذهب إلى طبيب حكيم خبير، فأعطاه وصفة علاج دقيقة، فإن استجاب المريض لتعليمات الطبيب بدقة، سيسهل له طريق الشفاء. أما إن أهمل وتكاسل، فسيشقى بالمرض ومضاعفاته. وكذلك المؤمن، وصفة الطبيب هي وحي الله، وشفاؤه في استجابته.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: الاستجابة تمنحك شعورًا عظيمًا بالأمان؛ أنت في رعاية الرب وحمايته. أنت لست وحدك في مواجهة الحياة، بل الله هو الذي يتولى تيسير طريقك. هذا يجعلك تعيش في طمأنينة كاملة.
· الرسالة التربوية: علّم نفسك وأبناءك أن كل أمر من الله هو رحمة وتيسير. عندما تمنع ابنك من أمر ، قل له: "نحن نستجيب لله لأن ربنا يحبنا ويرعانا، وهو يعلم ما يضرنا وما ينفعنا." هذا يغرس فيهم حب الاستجابة وليس الخوف منها.
· الرسالة العملية: ضع لنفسك شعارًا: "أمر الله أولا ً". كلما جاءك أمر من الله أو نهي، سارع بالا ستجابة دون تردد، كمن يلبي نداء عاجلا ً. هذا يصنع منك إنسانًا منضبطًا.
**المحور الثاني: دلالة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) وبيان الصفة السادسة: التطبيق العملي للخضوع والخشوع

بعد ذكر الاستجابة العامة، تأتي الصفة السادسة لتخصص أعظم صور الاستجابة العملية: "وأقاموا الصلا ة". إنها الصفة التي شرعت لتطهير النفس من أعظم أمراضها: الكبر. فالصلاة تعني التواضع والخشوع والاستسلام لله. وهي اعظم العبادات البدنية، وصورة حية من صور الاستجابة. وهي تعني أنهم استقبلوا أوامر الله بالخشوع والإذعان. إنها تصل الإنسان بربه، وهي تدريب وتربية يومية على الخضوع لله وحده. الصلاة تكسر شهوة الذات والكبر، وتخلص القلب منها، ويحل محلها حب الخضوع لله والتواضع والاذعان.

كيف تكسر الصلاة الكبر؟
عندما يقف العبد بين يدي الله، يركع، ويسجد، ويضع جبهته على الأرض، فهو يتذوق معنى العبودية الحقيقي. إنه يعلن بجسده كله: أنا عبد ذليل بين يدي مولاي العظيم. مثال تقريبي: كماء غزير ينهمر على قمة جبل شامخ، فتتآكل صخرته شيئًا فشيئًا حتى يصبح سهلًا منبسطًا. كذلك الصلاة، هي الماء الذي ينهمر خمس مرات يوميًا على جبل الكبر في قلب الإنسان، فلا يلبث هذا الجبل أن يتفتت ويتلا شى، ويحل محله سهل التواضع والخشوع.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: الصلاة هي ملاذك الآمن، وسكينتك اليومية. إذا شعرت بضيق أو كبر أو عجب، فقم إلى الصلاة فورًا. ستجد أن ركعة واحدة كفيلة بأن تكسر شوكة نفسك وتعيدها إلى حجمها الطبيعي.
· الرسالة التربوية: علّم أبناءك أن الصلاة ليست واجبًا ثقيلًا، بل هي "جلسة علاجية يومية" لمرض الكبر والأنانية. قل لهم: "كما نأكل لنقوي أجسادنا، نصلي لنقوي أرواحنا ونطهرها".
· الرسالة العملية: حافظ على صلاة الجماعة، فهي تربية مضاعفة على التواضع، فالكل يقف صفًا

واحدًا، لا فرق بين غني وفقير، ولا رئيس ومرؤوس.
**المحور الثالث: دلالة (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) وبيان الصفة السابعة: أساس النظام الاجتماعي للمؤمنين

هذه هي الصفة السابعة، وهي الصفة التي تؤسس لشخصية المؤمن ولنظام المجتمع المسلم. "وأمرهم شورى بينهم" أي أنهم لا ينفردون برأي في الأمور التي تحتاج إلى قرار جماعي، بل يتشاورون فيما بينهم ليصلوا إلى الرأي الصائب. والشورى هنا تشمل كل المسائل الاحتمالية والإشكالات التي تتعدد فيها المسالك والخيارات، حيث يحتاج المستنير إلى الشورى لمعرفة وجه الصواب والحق ليسلكه. فعند حصول الالتباس، تكون الشورى أفضل الطرق وأرشد السبل إلى معرفة الحق بعد الوحي، حتى لا تقع الخسائر.

لماذا الشورى أساسًا؟ (الخروج من الذاتية):
الشورى تعني الخروج من حالة الخسائر والمصائب والمفاسد، والسير في طريق الصواب. إن كل إنسان لديه مؤثراته الذاتية وأهواؤه، والشورى تقضي على هذه الأهواء، وتخرج الإنسان من نفسه. فغياب الشورى يؤدي إلى تنامي مشاعر الإعجاب بالنفس والغرور، وإلى تتبع عيوب الآخرين لاغتنام الفرصة للنيل منهم، مما يؤدي إلى اضطراب نظام الألفة الاجتماعية، وفساد العلاقات والروابط، ونزع السكينة، وربما يؤدي إلى الحروب واهتزاز المجتمع وتصدعه.

الشورى ونظام الحكم:
الشورى من أهم القيم التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام. وهي النظام الاجتماعي الذي يسود فيه اختيار الحاكم وإدارة الدولة. لا يجوز التفريط في هذا المبدأ، وقد رأينا ما حدث للأمة عندما أهدر هذا المبدأ بالاستيلاء على الحكم، ومنع الشعب وأهل الحل والعقد من ممارسة دورهم في اختيار الحاكم. فالنظام الاستبدادي يُعرّف بأنه الذي يتفرد فيه الحاكم برأيه، وحينها تفسد علاقته برعيته، ويسعى لبث الجواسيس والعيون التي تتبع عورات رعيته ليفضحهم، فينشأ عن ذلك الاختلاف و الضغائن والأحقاد، وتتمزق المجتمعات. بل والأخطر أن المستبد، حتى ولو لم تكن لديه نية الاستبداد في البداية، عندما يصبح وله السلطة المطلقة يقرر وحده ويأمر وحده وينهى وحده، فإنه يصبح طاغية من الطواغيت.

من هم أهل الشورى؟ (أهل الحل والعقد):
لقد ذهب البعض في العصر الحديث إلى الخلط بين الشورى والديمقراطية. والشورى ليست كذلك، ف الشورى في الإسلام تؤخذ من أهل الاختصاص، لا من الأغلبية العددية فحسب. فهناك فرقان أساسيان:

.1لا شورى في النصوص القاطعة: فما كان من شرع الله قطعي الثبوت والدلالة، فلا يجوز أن يكون محلا ً للتشاور أو تصويت الأغلبية .وهذا رد على من يرى أن الأغلبية هي صاحبة الرأي الفاصل حتى في المسائل المخالفة لنصوص الوحي .قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى:.(21
.2الشورى لأهل الخبرة) أهل الحل والعقد(: أهل الشورى ليسوا بالضرورة علماء الفقه وحدهم، بل كل علم له أهله .قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ التوبة: .(122 ففي الدولة أطباء ومهندسون وعسكريون واقتصاديون، وكل هؤلاء من أهل الذكر في تخصصهم .فإذا تم اختيارهم ليمثلوا في مجلس الشورى، فإن ما يصدر عنهم سيكون صادرًا عن أهل خبرة ودراية .مثال تقريبي: إذا مرض ابنك، فإنك تستشير طبيبًا مختصًا، ولا تذهب لتأخذ برأي الأغلبية في الشارع! وبالمثل، ففي شؤون الأمة الكبرى، يستشار كل مختص في مجاله.

ثمرات الشورى التربوية:
الشورى مدرسة متكاملة:

· تعلم التواضع، لأن المشورة تشعر الإنسان بحاجته إلى آراء الآخرين، بعكس الاستبداد الذي يشعر صاحبه بالاستغناء.
· تعطي كل ذي حق حقه في حرية التفكير والتعبير لغرض نفع الأمة.
· تنمي القدرة على التفكير والتدبر، وتتيح للجميع تنمية ملكاتهم الفكرية.
· تقوي الاستعداد للتنفيذ والتأييد، لأن من شارك في الرأي صار أكثر استعدادًا لدعمه.
· تؤدي إلى الألفة والوحدة بين أفراد المجتمع.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: تدرب على الشورى في حياتك الشخصية، حتى في أمورك الخاصة. استشر والديك،

استشر زوجتك، استشر أبناءك الكبار. هذا يخرجك من سجن "الأنا"، ويشعرك بأنك جزء من كل.
· الرسالة التربوية: في الأسرة، اجعل هناك "مجلس شورى أسري" أسبوعي. دع أبناءك يعبرون عن آرائهم، ويتخذون القرارات معًا. هذا يبني فيهم شخصية قيادية مسؤولة لا استبدادية.
· الرسالة العملية: إذا كنت في موقع قيادة أو إدارة، التزم بالشورى. لا تخف من الرأي المخالف، فهو يصقل رأيك ويجنبك الزلل. تذكر أن أعظم قائد في التاريخ، محمد ﷺ، كان يكثر من مشاورة أصحابه.
*المحور الرابع: دلالة (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) وبيان الصفة الثامنة: العطاء وتزكية المال والنفس

هذه هي الصفة الثامنة والأخيرة في هذا المقام، وهي الموازنة بين حق الله وحق الناس. فحق الله يتمثل في الاستجابة والصلاة، أما حق الناس فهو الإحسان إليهم. "ومما رزقناهم ينفقون" أي يخرجون جزءًا مما أعطاهم الله من رزق، إقرارًا منهم بأن المال مال الله، ومراعاة لحقوق الناس بالإحسان و الرحمة.

المعاني العميقة للإنفاق في الآية:

.1تخليص النفس من الشح والطمع: فالإنفاق جهاد للنفس ضد حبها الفطري للمال.
.2تنظيم الحب والإرادة: يجعلان خاضعين لما يحب الله، فلا يحب المؤمن المال لذاته، بل يحبه وسيلة لرضا الله.
.3المسارعة والتسابق: استخدام الفعل "ينفقون" بصيغة المضارع يدل على الاستمرار والمسارعة في الإ نفاق.
.4إزالة الأحقاد والضغائن من القلوب: فعندما يرى الفقير الغني ينفق عليه، يحل الحب مكان الحسد.

مثال تقريبي: جسد الإنسان إذا تجمع الدم في عضو واحد أصيب بالنخر والمرض، فلا بد من الدورة الدموية التي تحرك المال من عضو لآخر حتى يحيا الجسد كله. والمال كالدم في جسد الأمة، إن تجمع لدى الأغنياء وحدهم مات المجتمع وتعفن، وإن تحرك بالإنفاق والزكاة والصدقات، حيي المجتمع وازدهر.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: الإنفاق علاج عملي للخوف من الفقر، وتدريب على الثقة بوعد الله. كلما أنفقت في سبيل الله، شعرت بأنك أقوى من المال، لا أن المال أقوى منك.
· الرسالة التربوية: درّب أبناءك على الإنفاق منذ الصغر. أعطهم مصروفهم، ثم اطلب منهم أن يتصدقوا بجزء منه ولو يسيرًا بأنفسهم، ليتذوقوا لذة العطاء. هذا يقتلع جذور الأنانية والشح من قلوبهم.
· الرسالة العملية: خصص مبلغًا شهريًا للإنفاق، واجعله أمرًا ثابتًا لا يتغير. لا تنتظر حتى يأتيك سائل، بل بادر أنت بالبحث عن المحتاجين، فذلك أعظم أجرًا وأسرع في تزكية نفسك.

*-المحور الخامس: الربط بين الصفات الأربع الجديدة مع السابقات (تكامل البناء الإيماني)

والآن، لننظر إلى الصورة كاملة. لقد اجتمعت في المؤمنين ثماني صفات، أربع في الآيتين (36-37)، وأربع هنا، لتشكل بناءً إنسانيًا متكاملا ً:

الصفة نوعها أثرها في البناء
الإيمان (36) اعتقادية يصل الروح بالخالق، ويمنح البصيرة واليقين.
التوكل (36) قلبية يحرر القلب من الخوف والفزع، ويمنح الثبات.
اجتناب الكبائر (37) تخلية (سلبية) يطهر النفس من أوساخ العقل (الشرك)، والغضب (القتل)، والشهوة (الفواحش).
العفو (37) تحلية (إيجابية) يسمو بالنفس إلى مقام الكرم والقوة، ويزيل الأحقاد.
الاستجابة (38) عملية شاملة تجعل الإرادة منقادة لله، وتضمن الحماية والتيسير الإلهيين.
إقامة الصلاة (38) تعبدية تواضعية تكسر الكبر يوميًا، وتجدد العبودية، وتصل العبد بربه.
الشورى (38) اجتماعية سياسية تنظم حياة الجماعة، وتقي من الاستبداد، وتنمي العقول.
الإنفاق (38) مالية إحسانية تزكي المال والنفس، وتحقق التكافل الاجتماعي، وتزيل الشح.

وهكذا، نرى أن من يريد "ما عند الله" من الخير الأبقى، لا بد أن يجمع بين:

· إيمان يربطه بالله.

· توكل يحرره من الخوف.
· طهارة للقوى الثلاث (العقل، الغضب، الشهوة).
· عفو عن الناس.
· استجابة لله في كل أمر.
· صلاة تقيم فيه التواضع.
· شورى في أموره.
· وإنفاق من ماله.
**المحاور الإضافية: دروس الآية في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية الحاكمية والطاعة: من له الحق في أن يُطاع؟ تعالج الآية هذا بأن الاستجابة للرب وحده هي الأصل.
.2قضية علاقة الفرد بالدولة: كيف يُحكم المجتمع؟ تعالجها الآية بأن الشورى هي الأساس.
.3قضية العدالة الاجتماعية: كيف نحقق التوازن بين الفقراء والأغنياء؟ تعالجها الآية بالإنفاق.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة الانقياد الطوعي: الاستجابة لله ليست قهرًا، بل حب ورغبة.
.2قيمة التواضع الجماعي: الصلاة والشورى تذيبان الفوارق الوهمية بين الناس.
.3قيمة المشاركة في تحمل المسؤولية: الشورى والإنفاق كلاهما مشاركة: بالرأي وبالمال.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: أن العبادة لله وحده، وأن الحاكمية له.
.2البعد السياسي: أن الشورى هي ملزمة للحكام، وأساس نظام الحكم.
.3البعد الاقتصادي: أن المال مال الله، والإنفاق واجب اجتماعي قبل أن يكون تطوعًا فرديًا.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "الجهاد المدني": أن الشورى والإنفاق هما نوعان من الجهاد المستمر، والنظام الاجتماعي الذي لا تسوده الشورى ولا يسوده العدل (الإنفاق) هو نظام مريض، والمؤمنون مطالبون بإصلاحه.
· مفهوم "التيسير الرباني": أن الاستجابة لله تورث التيسير في كل شأن من شؤون الحياة.
· مفهوم "الوقاية من الطغيان": الشورى ليست ترفًا فكريًا، بل هي صمام الأمان الذي يمنع الفرد و الحاكم والمجتمع من الانزلاق إلى الطغيان والاستبداد.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان مستجيب: إنسان حر من هواه، منقاد لله، في يسر دائم.
.2بناء مجتمع شوري: مجتمع لا يعرف الاستبداد، يشعر فيه كل فرد أن صوته مسموع.
.3بناء حضارة متكافلة: حضارة لا تأكل فيها حق الضعيف، بل يسودها الإنفاق والعدل .هذه الحضارة هي التي تسير على هدى الوحي، فتسعد في الدنيا والآخرة.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآية في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة ترتيب الأولويات (الاستجابة): تتعلم كيف ترتب أولوياتك كل يوم. سؤال الصباح: ما الذي يريده ربي مني اليوم؟ استجب لهذا الأمر أولا ً، ثم انطلق في أعمالك الأخرى. هذا يجعلك تعيش بوعي وهدف.
· مهارة التفريق بين الشورى والجدل (الشورى): تتعلم أن الغرض من الشورى هو الوصول إلى الحق، لا مجرد انتصار الرأي. لذا، تخلص من العصبية لرأيك، وكن مستعدًا لتركه إذا ظهر لك أن رأي غيرك هو الصواب. هذه هي "براءة الرأي" التي تجعل الشورى ناجحة.
· مهارة تحليل المشكلات بشكل جماعي (الشورى): عندما تواجه مشكلة، سواء في البيت أو العمل، بد لا ً من أن تفكر وحدك، استخدم نموذج "مجلس الشورى المصغر". اجمع المعنيين، واطرح المشكلة، واستمع لكل الآراء، ثم اتخذ القرار بعد التحليل الجماعي.

ثانياً: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "الاستجابة الفورية": عند سماع الأذان، تدرب على ترك كل شيء والقيام للصلاة فورًا. هذا التصرف الصغير هو تطبيق عملي يومي لمفهوم الاستجابة. إنه تدريب عملي على أن أوامر الله لا تؤجل.
· مهارة "إدارة الجلسات بالشورى": تعلم قاعدة عملية: كل جلسة لقرار جماعي يجب أن تبدأ بتذكير الحاضرين بأن الهدف هو الوصول إلى الحق. ابدأ بجملة: "نحن هنا لنتشاور، لنصل إلى ما يرضي الله. لا أحد يدافع عن رأيه الشخصي، بل كلنا نبحث عن الحقيقة." هذا يغير مناخ الجلسة تمامًا.
· مهارة "الإنفاق التلقائي (التطعيم المالي)": درب نفسك على أن يكون معك دائمًا مبلغ صغير للصدقة (في جيبك أو سيارتك). وكلما سنحت لك فرصة -فقير في الشارع، حصالة مسجد، تطبيق تبرع- بادر بالإنفاق دون تردد. هذا يحول الإنفاق من فعل مُخطط له إلى عادة تلقائية يومية.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون أمة متكاملة، تجمع بين العبادة الصحيحة، والنظام الاجتماعي العادل. يريدنا أن نكون:

· مستجيبين له وحده، لا للشهوات ولا للإعلام ولا للضغوط الاجتماعية.
· مقيمين للصلاة، نستمد منها قوتنا وسكينتنا، لا مجرد مؤدين لحركات.
· متشاورين فيما بيننا على كل المستويات، من الأسرة إلى الدولة.
· منفقين مما رزقنا، متكافلين متراحمين.

كيف نعيشها الآن؟

.1في عصر الطغاة والمستبدين: النظام السياسي الذي يُقصي الناس عن الشورى هو نظام مخالف لهذه الآية .أقل واجبك أن تربي أبناءك على مبدأ الشورى في بيتك، ليكونوا جيلا ً يرفض الاستبداد، ويوقن أن الشورى أصل من أصول الدين وليست ترفًا سياسيًا.
.2في عالم الرأسمالية والشح: في عالم يقول لك "استهلك ولا تنفق"، تأتي الآية لتقول: "أنفق" .تدرب على أن تكون يدك العليا، يدًا منفقة لا يدًا سائلة أو ممسكة .اعتبر أن قيمتك فيما تعطي، لا فيما تجمع.
.3في العلاقات الأسرية: طبق الشورى الأسرية .قرارات الأبناء المدرسية، المصروف، الإجازات ...كلها تكون بالتشاور .هذا يخرج من بيتك جيلا ً أسريًا متماسكًا مترابطًا.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآية هي نصف دستور المجتمع المؤمن، كما أن الآيتين قبلها هما نصف دستور الفرد المؤمن. اجمع بين هذه الصفات العظيمة، عش مستجيبًا لربك، مقيمًا لصلاتك، متشاورًا مع إخوانك، منفقًا من مالك. بهذه الصفات الثماني، تكتمل إنسانيتك، وتستحق ذلك النعيم المقيم، وتكون من الذين أثنى الله عليهم بأنهم أهل الجنة ورفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.
المبحث الرابع
تتحدث الايه عن الصفه التاسعه
أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق للسير في طريق العزة والكرامة، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب أربع آيات كريمات من سورة الشورى، تُكمل بناء تلك الشخصية الإيمانية المتكاملة، وتكشف لنا عن المنهج الإلهي في التعامل مع الظلم والبغي، وتغرس في النفوس القوة والعزة، وتضع الضوابط الدقيقة للانتصار والقصاص. بعد أن بينت الآيات السابقة (36-38) صفات الذين يستحقون النعيم الدائم، تأتي هذه الآيات لتبين لنا أن الإسلام لا يربي عبيدًا أذلاء، بل يربي أحرارًا أقوياء، لا يرضون بـ الظلم، ولا يسكتون عن البغي، ولكنهم مع ذلك يلتزمون بضوابط العدل والإنصاف. إنها الآيات التاسعة والثلاثون إلى الثانية والأربعين:

·﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ الشورى:(39
·﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى: 40)
·﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ الشورى:(41
·﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

)الشورى:(42

إن هذه الآيات، أيها القارئ الكريم، هي ميثاق العزة والكرامة، ودستور المقاومة والانتصار، وميزان العدالة والإنصاف. إنها تجيب عن الأسئلة المصيرية: كيف نتعامل مع الظلم؟ متى ننتصر؟ متى نعفو؟ وما ضوابط الانتصار؟ وما عاقبة الظالمين؟ دعنا نغوص في أعماق هذه الآيات، ونستخرج دررها، ونجعل منها خارطة طريق للقوة والعزة والعدل.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1فهم قيمة الانتصار من البغي: أن ندرك بعمق أن الإسلام يغرس في النفوس القوة ومقاومة الظلم، وأن العجز والذل والمهانة منبوذة، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.
.2استشعار ضوابط الانتصار والعدل: أن نتعلم أن الانتصار يجب أن يكون بالمثل، دون تجاوز أو ظلم ، لأن الله لا يحب الظالمين.
.3إدراك قيمة العفو مع القدرة: أن نعي أن العفو مع المقدرة هو مقام أعلى، يزيد الله به العبد عزًا وقوة، ولكن ليس مع العجز والذل.
.4معرفة أنواع الظالمين وكيفية مواجهتهم: أن نفرق بين ظالم يبدأ بالإساءة، وظالم ذي سلطان وجبروت، ونعرف كيف نقف في طريق كل منهما.
.5التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نواجه الظلم بقوة وعدل، ومتى نعفو، ومتى ننتصر.
**تحليل الآيات وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآيات العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.

*-المحور الأول: دلالة قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ) وبيان الصفة التاسعة: القوة ومقاومة الظلم

هذه هي الصفة التاسعة من صفات أهل الجنة، وهي صفة القوة والعزة والانتصار من البغي. "البغي" هو الظلم والعدوان والتطاول على الناس بغير حق. وأهل الجنة ليسوا بسطاء سلبيين يرضون بالمذلة والهوان، بل هم أقوياء أعزاء، إذا وقع عليهم البغي والظلم، انتصروا لأنفسهم، ولم يستسلموا للذل و الهزيمة النفسية.

لماذا الانتصار؟ (بناء القوة ورفض الذل):
الإسلام يغرس في النفوس القوة ومقاومة الظلم، فلا يقف المؤمنون عاجزين أذلاء أمام المعتدين. الذل والمهانة منبوذان شرعًا وعقلا ً. فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما ثبت في الحديث الصحيح: "المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ". ولذلك، فالعجز شيء منبوذ، والله يلوم على العجز والتخاذل. الإسلام يحافظ على الصحة النفسية للمؤمن، فلا يريد له الانهزام الداخلي النفسي، بل يريد له العزة والكرامة والثبات.

مراحل المقاومة (حسب القدرة):
الانتصار من البغي واجب طالما كان في مقدور المؤمن. أما إذا لم يكن في مقدوره ذلك، فعليه بـ الصبر، مع بقاء روح المقاومة وعدم الرضا بالظلم. وهذا مطابق لقاعدة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: 286). ولذلك، جاء الحديث ببيان مراتب تغيير المنكر، وهي نفس مراتب مقاومة البغي: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ".

· باليد: عند القدرة الكاملة على رد البغي بالقوة.
· باللسان: عند عدم القدرة على اليد، فيكون بالكلمة والمقاطعة والتنديد.
· بالقلب: عند العجز التام، فينكر بقلبه ويبغض الظلم، ولا يرضى به، حتى لا يقع المسلم في الهزيمة النفسية والاستسلام الداخلي.

الفرق بين العفو الممدوح والصبر المذموم:
الله يذم الشُعراء الذين يهربون من المواجهة وهم عاجزون، ويتمادون في الذل والهوان. ولذلك، استثنى الله الشعراء المؤمنين الذين يقاومون الظلم وينتصرون بعد ما ظلموا، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ (الشعراء: 227). أما عند القدرة، فـ الحكم يختلف، ويكون العفو عن قدرة هو مقام أعلى، كما قال يوسف عليه السلام لإخوته بعد أن مكنه الله منهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: 92). فهذا

عفو مع المقدرة الكاملة، لا عفو مع العجز والذل. مثال تقريبي: فرق بين أسد هادئ يمر بجانبه أرنب فلا يؤذيها، وبين أرنب يمر بجانب أسد ولا يؤذيه! فالأرنب لم يعفُ عن الأسد، بل هو عاجز. أما الأسد فهو القادر على افتراس الأرنب، وتركه لها هو العفو الحقيقي.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنحك شعورًا عظيمًا بالعزة والكرامة .أنت لست مخلوقًا ذليلا ً، بل عبد لله عزيز .لا ترضى بالظلم، ولا تستسلم للبغي .هذا يحررك من مشاعر الضعف والانهزام.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يرضوا بالظلم .إذا ضربهم أحد، لا تقل لهم: "لا تفعل شيئًا"، بل قل: " لا تبدأ أحدًا بعدوان، ولكن إن اعتدى عليك أحد، فلا ترضخ له، وخذ حقك بالقدر المسموح به" .هذا يبني فيهم شخصية قوية متوازنة.
· الرسالة العملية: إذا وقع عليك ظلم، اسأل نفسك: "هل أنا قادر على رده؟" إن كنت قادرًا، فرده بـ المثل دون تجاوز .وإن لم تكن قادرًا، فلا ترضَ بقلبك، واطلب العون والوسائل المشروعة.
*-المحور الثاني: دلالة قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) وبيان ضوابط الانتصار والعدل

بعد أن أثبت حق الانتصار، تأتي هذه الآية لتنظم كيفية الانتصار وضوابطه. "وجزاء سيئة سيئة مثلها" أي أن من أساء إليك، فلك أن تجازيه بمثل إساءته تمامًا، لا تتجاوزها ولا تزيد عليها. هذا هو دستور العدل الإلهي في القصاص. فالانتصار لا يكون بالظلم، ولا بالتجاوز، بل بالمثل.

قاعدة المماثلة في القول والفعل:
هذه القاعدة تشمل الأقوال والأفعال معًا:

· في الأقوال: من سبك بكلمة، فرد عليه بمثل تلك الكلمة، لا تزد عليها .فإن قال لك: "يا كلب"، فرد عليه: "بل أنت كلب"، فهذا جائز لأنه مساوٍ لما قاله .فإن قلت له: "يا كلب وحمار"، فهذا تجاوز للحد، لأنك زدت كلمة "حمار"، فتكون قد اعتديت وظلمت .مثال تقريبي: في مباراة رياضية، إذا ضرب لاعب لاعبًا آخر، فللحكم أن يعاقبه بالطرد .أما إذا ضربه اللاعب الآخر انتقامًا، فيعاقب هو أيضًا .لكن لو أن اللاعب المعتدى عليه اكتفى برد الضربة بمثلها فقط، لكان أقرب للعدل.
· في الأفعال: من لطمك على خدك، فرد عليه بمثل تلك اللطمة، فهذا انتصار مشروع .فإن لطمته على وجهه وركلته في ظهره، فهذا تجاوز للحد، وعليك العقاب .وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة:(194 ، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ النحل:.(126

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنحك الأمان والثقة .لا تخف من أن تأخذ حقك، ولكن لا تتجاوز الحد، لأن التجاوز يجعلك ظالمًا بعد أن كنت مظلومًا .هذا يجعلك منضبطًا في غضبك.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك قاعدة المماثلة .إذا تشاجر طفلان، لا تقل لأحدهما: "اضربه أشد مما ضربك!" بل قل: "إن أردت أن تأخذ حقك، فخذ مثله تمامًا، لا تزد."
· الرسالة العملية: عند حصول إساءة، تدرب على ضبط النفس .قل لنفسك: "سآخذ حقي بالمثل، لا أكثر." هذا تدريب عملي على العدل في أشد لحظات الغضب.
***المحور الثالث: دلالة (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) وبيان مقام العفو مع القدرة

بعد أن بيّن الحق في القصاص بالمثل، فتح باب العفو والمغفرة، ورغّب فيهما. "فمن عفا وأصلح فأجره على اللّه" أي أن من تجاوز عن المسيء، مع قدرته على الانتقام، وسعى للإصلاح بينه وبين من أساء إليه، فأجره على اللّه، واللّه لا يضيع أجر المحسنين. وهذا مقام أعلى وأرفع، لأن المنتصر أخذ حقه، أما العافي فقد تصدق بحقه لله.

لماذا العفو مع القدرة يزيد العبد عزًا؟
لأن العفو مع المقدرة دليل على قوة النفس وسموها. إنه ليس ذلا ً ولا عجزًا، بل هو قوة عظيمة. وقد ورد في الحديث الصحيح: "وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا" (رواه مسلم). فالعبد الذي يعفو عن الناس مع قدرته عليهم، يرفعه الله ويعزه في قلوب الخلق. مثال تقريبي: تاجر كبير أفلس شريكه الصغير بسبب خطأ، والتاجر الكبير قادر على حبسه وإهانته، لكنه عفا عنه وأصلح. ماذا سيقول الناس عن هذا التاجر؟ سيعظمونه ويحبونه، وسيزيده الله عزًا وثقة.

قاعدة: إنه لا يحب الظالمين:

ختمت الآية بهذا التحذير: "إنه لا يحب الظالمين". وهذا يشمل الظالم المبتدئ، والظالم المعتدي في رد الفعل. فمن بدأ بالظلم فقد باء بغضب من الله، ومن تجاوز الحد في الانتقام فقد صار ظالمًا أيضًا، و الله لا يحبه. وهذا تأكيد على قاعدة العدل والمماثلة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: العفو ليس ضعفًا، بل هو قوة وعزة .إذا شعرت بالقدرة على الانتقام، ثم عفوت، فأنت في ذلك الحين أقوى ما تكون، لأنك انتصرت على شيطانك ونفسك قبل أن تنتصر على عدوك.
· الرسالة التربوية: درّب أبناءك على "رياضة العفو" .إذا تشاجر طفلان، وكان أحدهما قادرًا على الرد بقوة، شجعه على العفو وقل له: "أنت قوي لأنك تستطيع، ولكنك عفوت لله .وهذا يزيدك قوة وعزة".
· الرسالة العملية: في كل مرة تقدر فيها على الانتقام، اسأل نفسك: "هل أعفو لله وأربح الأجر والعزة، أم أنتصرف فأكون أسوأ المنتصرين؟" هذا السؤال يغير مجرى حياتك.
**المحور الرابع: دلالة (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ) وبيان أن المنتصر العادل لا مؤاخذة عليه

هذه الآية تُقرر مبدأً عظيمًا: أن من انتصر لنفسه بعد أن ظُلم، وأخذ حقه بالمثل دون تجاوز، فهذا المنتصر لا سبيل لأحد عليه، ولا مؤاخذة، ولا عقوبة. إنه فعل مشروعًا، بل مأذونًا فيه. "ما عليهم من سبيل" أي لا عقاب ولا لوم ولا عتاب.

الفرق بين المنتصر والمعتدي:

· المنتصر: هو الذي وقع عليه الظلم أولا ً، ثم رد بمثل ما فُعل به، دون زيادة .هذا لا إثم عليه ولا حرج.
· المعتدي الظالم: هو الذي بدأ بالظلم ابتداءً، أو الذي تجاوز الحد في رد الفعل وزاد على المثل .هذا هو الذي عليه العقاب واللوم.

مثال تقريبي: رجلان اقتتلا، فضرب الأولُ الثانيَ ضربةً شديدةً. فللثاني أن يضرب الأول بمثل ضربته تمامًا. فإن فعل، لم يكن لأحد أن يلومه، لأنه أخذ حقه. ولكن إن ضربه ضربتين، صار ظالمًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية ترفع عنك الحرج والذنب .لا تشعر بتأنيب الضمير إذا أخذت حقك بالمثل ، فهذا حق شرعه الله لك .اطمئن، فأنت على الحق.
· الرسالة التربوية: إذا رأيت مظلومًا أخذ حقه، لا تلمه ولا تعنّفه .بل اثنِ عليه لشجاعته وانضباطه معًا .هذا يعلم الأبناء أن الانتصار العادل فضيلة لا رذيلة.
· الرسالة العملية: عند أخذ الحق، كن واثقًا أن الله معك، وأن لا سبيل عليك .هذا يجعلك ثابتًا لا تردد فيك.
***المحور الخامس: دلالة (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وبيان أنواع الظالمين ووجوب مقاومتهم

بعد أن برّأ المنتصرين العادلين، حصرت الآية الذنب والعقاب واللوم في الظالمين المبتدئين. "إنما السبيل" أي إنما العقاب والمؤاخذة والعقوبة، على الذين يظلمون الناس ويبدؤونهم بالعدوان، ويبغون في الأرض بغير الحق. هذه الآية تبين أن الحجة ملزمة في مقاومة الظالمين، ووجوب الوقوف في طريقهم.

أنواع الظالمين (كما في الآية):

1.ظالمون عامة: وهم الذين يبدؤون بالإساءة إلى الآخرين، ويتطاولون على الناس بالأموال أو بالقوة أو باللسان أو بالجاه وغيرها .هؤلاء هم من عامة المجتمع، ولكنهم ظالمون معتدون .فهؤلاء يجب الوقوف في طريقهم، ومنع أفعالهم القبيحة، كيلا يصير الظلم طبعًا لهم يفسدون به المجتمع .مثال تقريبي: زبون في متجر يصرخ على البائع ويشتمه بغير حق، فهذا ظالم يجب الوقوف في طريقه، وعدم السكوت عنه، لئلا يتمادى في ظلمه.
2.ظالمون ذوو سلطان وجبروت: وهم الذين يكون لديهم سلطان وسلطة، فيغترون به، ويستغلونه في استعباد الناس والتطاول عليهم .هؤلاء يكون خطرهم أشد، لأن الضعيف لا يجد من ينصره، ولا سلطة تستجيب له وتأخذ حقه منهم .فهؤلاء مثل "المشايخ") أي كبار القوم (وأصحاب النفوذ، وأرباب الأموال الذين يستغلون نفوذهم في ظلم الناس .فهؤلاء يجب الوقوف في طريقهم بكل الوسائل الممكنة:

· بالوسائل القانونية: عبر الجهات الرسمية والقضاء.
· بالوسائل الإعلامية: لفضح ظلمهم، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ (النساء:148).
· بالمقاومة باليد وكسر شوكتهم: إذا كان ذلك ممكنًا ومقدرًا عليه.

مثال تقريبي: مسؤول كبير يغتصب أرضًا للفقراء. الواجب أن يقف الناس في طريقه، يرفعون أمره للقضاء، ويكتبون عنه في الصحف، ويتظاهرون ضده، ويستخدمون كل وسيلة مشروعة لمنعه. هذا هو الجهاد المدني المشروع.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تملأ قلبك شجاعة وإقدامًا .لا تخف من الظالم، فالله معك، وعقابه للظالمين شديد .تيقّن أن الوقوف في وجه الظلم واجب، لا تهاون فيه.
· الرسالة التربوية: علّم أبناءك ألا يخافوا من الظالمين .قص عليهم قصص من وقفوا في وجه الطغاة، وعلّمهم أن الصمت على الظلم جريمة .قل لهم: "لا تبدأوا أحدًا بظلم، ولكن إذا رأيتم ظالمًا، فلا تخافوه."
· الرسالة العملية: لا تكن متفرجًا على الظلم .إذا رأيت ظالمًا، فقف في طريقه حسب استطاعتك: بيدك ، أو بلسانك، أو بقلبك .اكتب منشورًا، انصح، بلّغ الجهات المختصة ...افعل شيئًا.
**المحور السادس: الربط بين البناء الفردي ومواجهة الظلم (الصفات التسع)

لقد اكتملت اللوحة الإيمانية. المؤمنون الذين يستحقون الجنة هم الذين جمعوا بين:

.1الإيمان: الذي يربطهم بالله ويملأ قلوبهم يقينًا.
.2التوكل: الذي يحررهم من الخوف والقلق.
.3اجتناب الكبائر: الذي يطهر قواهم الثلاث) العقل، الغضب، الشهوة.(
.4العفو عند الغضب: الذي يسمو بأخلاقهم عند المقدرة.
.5الاستجابة للرب: التي تجعلهم في حماية الله وتيسيره.
.6إقامة الصلاة: التي تكسر الكبر وتصلهم بالله.
.7الشورى بينهم: التي تنظم حياتهم وتقيهم من الاستبداد.
.8الإنفاق: الذي يزكي نفوسهم ويحقق التكافل.
.9الانتصار من البغي والظلم: الذي يجعلهم أعزّة كرماء، لا أذلة مستسلمين.

بهذه الصفات التسع، يتكامل البناء الإيماني للفرد والمجتمع معًا، فلا يكون المجتمع مجتمعًا منعزلا ً متصوفًا لا يقاوم الظلم، ولا يكون مجتمعًا ماديًا ينتقم بلا ضوابط. إنه مجتمع متوازن، قوي، عادل، رحيم.
**المحاور الإضافية: دروس الآيات في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآيات

.1قضية الظلم والجبروت: تعالج الآيات أصل الشرور في المجتمعات، وهو الظلم والبغي، وتبين موقف المؤمن منها.
.2قضية العزة والذل: تفرق الآيات بين العزة الممدوحة) الانتصار العادل، والعفو مع القدرة (والذل المنبوذ) الاستسلام للظلم والعجز.(
.3قضية العدالة الجنائية والاجتماعية: تقدم الآيات منهجًا للقصاص العادل، ومواجهة الظالمين على كل المستويات.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيات

.1قيمة العزة والكرامة: رفض الذل والهوان، وطلب الانتصار.
.2قيمة العدل والإنصاف: الاقتصاص بالمثل دون تجاوز.
.3قيمة العفو والتسامح: مع القدرة على الانتقام.
.4قيمة المسؤولية الجماعية: الوقوف في وجه الظالمين، لا السكوت عنهم.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآيات

.1البعد العقدي: أن الله يحب العزة للمؤمنين، ويكره لهم الذل، وأن نصرهم من نصرته.

.2البعد التربوي: بناء شخصية لا تبدأ بالعدوان، ولا تقبل بالظلم، وتعرف متى تنتقم ومتى تعفو.
.3البعد النفسي: تحرير النفس من الخوف والاستسلام، وملؤها بالشجاعة والثقة.
.4البعد الاجتماعي: إقامة مجتمع آمن من الظلم، لأن الظالم يعرف أن الناس ستقف في طريقه.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "المؤمن القوي": أن القوة الممدوحة هي التي تمكن من الانتصار من البغي، والعفو مع القدرة.
· مفهوم "الجهاد المدني": أن مقاومة الظالمين وأصحاب النفوذ هي واجب ديني واجتماعي، وليس مجرد رأي سياسي.
· مفهوم "العدل في الانتقام": أن الانتقام ليس مطلقًا، بل مقيد بالمثل، وتجاوزه ظلم.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان قوي عادل: إنسان لا يرضى بالظلم، ولا يظلم في رد فعله.
.2بناء مجتمع متماسك: مجتمع يقف فيه الجميع في وجه الظالم، فلا ينمو الظلم ولا يستشري.
.3بناء حضارة عادلة: حضارة لا يقوم فيها نظام على القهر والطغيان، بل على العدل والشورى، وحيث يُردع الظالم وينتصر المظلوم.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآيات في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة تحليل الموقف الظالم) التفريق بين الظالم والمظلوم والمعتدي(: تتعلم كيف تحلل أي نزاع أو شجار .من الذي بدأ؟ وماذا فعل؟ وماذا فعل الآخر في رد فعله؟ هل هناك تجاوز؟ هذه المهارة تجعلك تحكم بالعدل.
· مهارة معرفة متى تنتصر ومتى تعفو) القراءة المقامية(: تتعلم أن تسأل نفسك في كل حالة: هل أنا قادر على الانتصار؟ إن كنت عاجزًا، فالصبر واجب عليك الآن مع رفض الذل .وإن كنت قادرًا، فانظر: هل العفو أفضل في هذا المقام، أم الانتصار؟ هذا قرار أخلاقي عظيم.
· مهارة التفريق بين "الظالم العام" و"الظالم ذي السلطان": تعلم كيف تصنف الظلم وأهله، لتعرف كيف تتعامل مع كل نوع .فالظالم العام قد يكفي فيه النصح أو المقاطعة .أما الظالم ذو السلطان، فتحتاج مقاومته إلى جهد جماعي منظم.

ثانيا: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "الدفاع عن النفس بكلمة واحدة": إذا سبك أحد بكلمة، فتعلم أن ترد بمثل كلمته تمامًا، لا تزيد .هذه رياضة نفسية عظيمة على ضبط اللسان .قل: "بل أنت كذا") بنفس الكلمة .(هذا يأخذ حقك ولا يزيد.
· مهارة "توثيق الظلم": إذا كنت ضعيفًا لا تستطيع الانتصار الآن، تعلم مهارة التوثيق .اكتب ما حدث، سجّل إن أمكن، احتفظ بشهودك .هذا هو "الانتصار المؤجل"، وهو إعداد للأخذ بالحق بالطرق القانونية أو غيرها.
· مهارة "المقاومة اللسانية المهذبة": عندما ترى ظالمًا يتطاول، درب نفسك على قول الحق .قل له: "يا فلان، هذا ظلم، اتق الله" .هذه الكلمة هي من أفضل الجهاد .لا تسكت خوفًا.
· مهارة "العفو العلني": إذا قررت أن تعفو، فأعلن عفوك .قل للشخص: "أنا قادر على الرد، ولكني أعفوا عنك لله" .هذا الإعلان يحقق مقاصد العفو ويمنع المذلة.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآيات في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون أمة قوية، عزيزة، لا تقبل الظلم ولا تخضع للطغيان. يريدنا أن نبني رجالا ً أقوياء، لا فراعنة جبابرة. يريدنا أن نعيش أحرارًا كرماء، ننتصر عند الحاجة، ونعفو عند القدرة.

كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

.1في عصر استضعاف الأمة: في الوقت الذي تسود فيه صور الظلم والاستبداد في كثير من بلاد المسلمين، تعلّمنا هذه الآيات ألا نستسلم لليأس .قاوم الظلم بكل ما تستطيعه .لا تكن مجرد متفرج . استخدم وسائل التواصل لفضح الظالمين، وانصر المظلومين ولو بكلمة.
.2في العلاقات اليومية) التنمر، السب، الإهانة(: لا تقبل أبدًا أن يهينك أحد .تدرب على الدفاع عن نفسك بضوابط العدل .لا تكن ضعيفًا مستسلمًا، ولا تكن معتديًا ظالمًا.
.3في مواجهة أصحاب النفوذ والمال: هؤلاء هم أخطر أنواع الظالمين .لا تبرر ظلمهم بأنهم "أقوياء"

أو "لا يمكن مواجهتهم" .الآية تقول: "إنما السبيل" عليهم .فهؤلاء أولى بالمقاومة .استخدم كل وسيلة مشروعة لوقف طغيانهم .كن جزءًا من الحل لا جزءًا من الصمت القاتل.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآيات الأربع هي ميثاق الشرف الذي يبني أمة العزة والكرامة. إنها تخبرك أن الإسلام ليس دين ذل وانكسار، بل هو دين قوة وعزة وانتصار، ولكنه دين عدل وإنصاف ورحمة معًا. انتصر إذا ظُلمت، وخذ حقك بالمثل، ولا تتجاوز. وإن شئت مقامًا أعلى، فاعفُ مع قدرتك، يزدك الله عزة. ولا ترض بالذل، ولا تستسلم للظلم. قف في وجه الظالم، أيًا كان، بيدك أو بلسانك أو بقلبك. عش عزيزًا كريمًا، تنتصر لله ولنفسك وللمظلومين، وتكون من عباد الله الذين أعدّ لهم جنات النعيم، أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾.

المبحث الخامس

تتحدث الايه عن الصبر والغفران لمن اساء اليك وان ذلك من صفات اولى العزم

أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق لبلوغ أعلى مقامات العزيمة والكمال، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آية كريمة خاتمة لهذا المقطع البديع من سورة الشورى، تختزل لك لباب المنهج الإلهي في التعامل مع الإساءة، وتفتح لك بابًا من أشرف أبواب القرب إلى الله. بعد أن بينت الآيات السابقة (39-42) حق الانتصار من البغي، وضوابطه بالمثل، ورغّبت في العفو، وحصرت السبيل والعقاب في الظالمين، تأتي هذه الآية لتضع التاج على رأس تلك التعاليم، وترفعك إلى مقام الصابرين الغافرين، الذين اتصفوا بعزيمة الرجال وأخلاق العظماء. إنها الآية الثالثة والأربعون:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: 43)

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي وسام شرف، وعلامة فارقة بين من يطلب حقه فحسب، ومن يطلب رضا ربه وما عنده. إنها تجيب عن السؤال الأعمق: بعد أن أخذت حقي، أو قدرت على أخذه، ماذا بعد؟ إنها تقول لك: هناك مقام أعلى، هو مقام من صبر فلم ينتقم، وغفر فمحا الإساءة من قلبه. هذا المقام هو من عزم الأمور. دعنا نغوص في أعماق هذه الآية، ونستخرج دررها، ونجعل منها بوصلة لقلوبنا عندما تفيض بالغضب.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1. فهم حقيقة الصبر الممدوح: أن ندرك أن الصبر هنا ليس هو العجز، بل هو حبس النفس عن الانتقام مع القدرة عليه.
2. استشعار عظمة الغفران: أن نتعلم أن الغفران هو مقام أعلى من مجرد العفو، فهو تجاوز عن الإساءة ومحو لأثرها من القلب.
3. إدراك معنى "عزم الأمور": أن نعي أن هذا المقام ليس سهلًا، بل هو من أعلى مراتب العزيمة، لا يناله إلا أولو العزم من الرجال.
4. التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نرتقي بأنفسنا من مجرد أخذ الحق إلى مقام الصابرين الغافرين، محولين الألم إلى أجر، والغضب إلى سكينة.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (وَلَمَن صَبَرَ) وبيان حقيقة الصبر الممدوح

تبدأ الآية بلام الابتداء المؤكدة، "ولمن صبر"، لتبين أن هذا المقام ليس مقامًا عاديًا، بل هو مقام عظيم يستحق التنويه والإشادة. والصبر هنا ليس مطلق الصبر، بل هو صبر خاص: إنه الصبر على الإساءة، وحبس النفس عن الانتقام مع القدرة عليه. إنه ليس صبرًا عن معصية أو صبرًا على طاعة أو صبرًا على قدر، بل هو صبر على أذى الناس، وهو من أشق أنواع الصبر، لأن النفس تتوق بطبعها إلى الانتصار والانتقام. فمن قدر على أن يحبس نفسه عند الغيظ، ويكظم غيظه مع قدرته على الانتقام، فقد دخل في هذا المقام.

الفرق بين الصبر الممدوح والصبر المذموم:

الصبر الممدوح هنا هو الصبر الاختياري مع القدرة على الفعل. أما الصبر الذي هو عجز واستسلام وذل، فليس من الصبر المحمود في شيء. مثال تقريبي: أسد جريح قادر على أن يفترس من آذاه، لكنه يختار أن يكفّ عن ذلك، فهذا هو الصبر الممدوح. أما الأرنب الذي لا حول له ولا قوة، فعدم انتقامه ليس صبرًا، بل هو عجز. فالمؤمن القوي هو الذي يصبر، لا الضعيف العاجز. وقد ورد في الأثر: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" (متفق عليه). فالصبر الحقيقي هو شدة وقوة، لا ضعف ووهن.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: عندما تختار الصبر مع القدرة، فأنت تشعر بقوتك الحقيقية. قل لنفسك: "أنا لست عاجزًا، بل أنا قوي، وأختار ألا أنتقم لله." هذا الشعور يرفع من قدرك عند نفسك، ويملؤك ثقة وعزة.
· الرسالة التربوية: علّم أبناءك أن "الصبر" ليس كلمة تقال للضعفاء، بل هو وسام الأقوياء. قل لهم: "البطل ليس من يضرب بقوة، بل من يملك نفسه عند الغضب". هذا يغرس فيهم مفهوم القوة الحقيقية.
· الرسالة العملية: في كل مرة تُبتلى فيها بإساءة، وتشعر بقدرتك على الرد، قف لحظة واسأل نفسك: "هل أريد أن أكون أسدًا يصبر، أم أرنبًا لا يقدر؟" هذا السؤال يغير مجرى قرارك.
المحور الثاني: دلالة (وَغَفَرَ) وبيان مقام الغفران الأعلى

عطفت الآية "غفر" على "صبر"، إشارة إلى أن الغفران درجة أعلى من مجرد الصبر. فالصبر هو كف النفس عن الانتقام ظاهرًا، أما الغفران فهو تجاوز القلب عن الإساءة، ونسيان الأذى، ومحو أثره من النفس. فالصابر قد يحبس نفسه عن الانتقام، ولكن قلبه قد يبقى ممتلئًا بالغضب والحقد. أما الغافر، فهو الذي يصفح بقلبه، ويتجاوز حتى عن مشاعر البغض، فيصبح نقي الصدر تجاه من أساء إليه، راجيًا ثواب الله، ومقتديًا بخلقه تعالى.

الفرق بين العفو والغفران:
العفو هو ترك العقاب مع بقاء أثر الإساءة في القلب أحيانًا. أما الغفران فهو تغطية الذنب وستره وإزالته، حتى كأنه لم يكن. فهو مقام أرفع. مثال تقريبي: رجل أساء إليك، فعفوت عنه فلم تنتقم، ولكنك كلما رأيته تذكرت إساءته ووجدت في قلبك غصة. هذا هو الصبر والعفو. أما الغفران، فهو أن تصل إلى حال تنسى فيها إساءته، وتلقاه وكأن شيئًا لم يكن، فلا تجد في قلبك شيئًا عليه. وهذا هو شأن الكمّل من عباد الله.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: الغفران يحررك أنت أولا ً قبل أن يحرر غيرك. عندما تغفر بقلبك، تتحرر من سجن الحقد والغضب الذي يأكل روحك. تشعر بخفة وسلام داخلي عظيم.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يقولوا: "سامحتك بقلبي". ليس مجرد كلمة، بل سلوكًا عمليًا، فينسوا الإساءة ويلعبوا مع من أساء إليهم بعد الاعتذار وكأن شيئًا لم يكن. هذا يبني قلوبًا سليمة.
· الرسالة العملية: إذا وجدت في قلبك أثرًا لإساءة قديمة، فاجلس مع نفسك، وقل: "اللهم إني أشهدك أني غفرت لفلان، فاغفر لي". جاهد قلبك حتى يزول الأثر، فإن هذا من عزم الأمور.
**المحور الثالث: دلالة (إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وبيان أن المقام من معالي الهمم

تأتي هذه الجملة كختام مسكٍ، وكشهادة من الله بأن هذا المقام ليس سهلا ً، بل هو من "عزم الأ مور". أي من الأمور التي تعتزمها النفوس العظيمة، وتحتاج إلى عزيمة صادقة، وإرادة قوية، وهمة ع الية. فليس كل أحد يستطيع أن يصبر ويغفر. إنما هو مقام خاص بأولي العزم من الرجال والنساء، الذين روّضوا أنفسهم حتى صارت منقادة لمرضاة الله، لا لشهوة الانتقام.

لماذا هو من عزم الأمور؟
لأن هذا المقام يعارض أقوى دافع في النفس البشرية: دافع الانتقام وحب الذات. فالصبر والغفران معًا يتطلبان قهرًا لهذا الدافع، وانتصارًا على النفس الأمارة بالسوء. وهذا لا يكون إلا بعزيمة قوية، ويقين صادق، واحتساب للأجر. ولذلك قال الحسن البصري: "ما جاهدت شيئًا من الطاعة أشد من كظم الغيظ". وصدق الله العظيم إذ جعله من عزم الأمور.

مثال تقريبي: متسلق جبال يحاول الوصول إلى قمة إفرست، يحتاج إلى تدريب سنوات، وعزيمة لا تلين. هذا الجهد كله ليصل إلى قمة جبل! فكيف بمن يريد أن يصل إلى قمة "الصبر والغفران" التي هي أشق من صعود الجبال؟ إنها قمة القمم، لا يصعدها إلا الأبطال.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الجملة تجعلك تشعر بالفخر إذا ما بلغت هذا المقام. فأنت لست إنسانًا عاديًا، بل أنت من أولي العزم، ممن يقتدي بهم. هذا الشعور يدفعك للمزيد.
· الرسالة التربوية: شجع أبناءك بهذه الآية. عندما يصبر أحدهم أو يغفر، قل له: "أنت بطل، لقد فعلت شيئًا من عزم الأمور". هذا يعلي همته.
· الرسالة العملية: ضع نصب عينيك أن تكون من أصحاب هذا المقام. لا تقبل لنفسك أن تكون دائمًا في مقام "المنتصر العادل" فقط. بل ارفع سقف طموحك: أريد أن أكون من الصابرين الغافرين. هذا هو هدف العمر.
**المحور الرابع: علاقة الآية بما قبلها (تتميم المنظومة المتكاملة للتعامل مع الإساءة)

تأتي هذه الآية لتكمل الصورة: فالمنظومة القرآنية في التعامل مع الإساءة تتضمن ثلاث مراتب:

.1المرتبة الأولى: الانتصار العادل) الآيات39 -(41: وهو أخذ الحق بالمثل دون تجاوز .هذا هو الحد ا لأدنى للعدل.
.2المرتبة الثانية: العفو مع القدرة) الآية(40 : وهو ترك الانتقام مع المقدرة عليه .وهذا مقام أعلى.
.3المرتبة الثالثة: الصبر والغفران) الآية(43 : وهو أعلى المقامات: حبس النفس، ثم غفران القلب، ومحو أثر الإساءة.

فالمؤمن يبدأ من حق الانتصار، ثم يرتقي إن شاء إلى العفو، ثم يسمو إن كان من أولي العزم إلى الصبر والغفران. وهكذا، يبني الإسلام النفوس درجات: العدل، فالإحسان، فمقام العزم. وهذا هو سر عظمة هذا الدين.
**المحاور الإضافية: دروس الآية في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية قمة الكمال الخلقي: تعالج الآية أعلى مراتب التعامل مع المسيء، وهي مرتبة الصبر و الغفران.
.2قضية تهذيب النفس وترويضها: تبين الآية أن الوصول إلى هذا المقام يحتاج إلى مجاهدة عظيمة، فهو من "عزم الأمور".
.3قضية الجزاء الإلهي المعنوي: تشير الآية إلى أن لهذا المقام أجرًا عظيمًا، فهو مقترن بالثناء الإلهي، وجعله من عزم الأمور.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة الصبر الجميل: وهو الصبر الذي لا شكوى فيه، مع القدرة على الانتقام.
.2قيمة الغفران القلبي: وهو أسمى من العفو الظاهري.
.3قيمة العزيمة والإرادة القوية: فبلوغ هذا المقام من علامات صدق الإرادة وقوة العزيمة.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: يرسخ أن الله يحب هذا المقام ويثني على أصحابه، مما يدفع المؤمن للتنافس فيه.
.2البعد التربوي: يقدم منهجًا للمربين لبناء جيل ذي همم عالية، لا يقف عند حدود حقه، بل يسمو إلى العفو والغفران.
.3البعد النفسي: يغرس السلام الداخلي والصفاء القلبي، حيث لا حقد ولا غل ولا ضغينة.
.4البعد الاجتماعي: بناء مجتمع متماسك، لأن الصابرين الغافرين هم صمام أمان يمنعون تفاقم الأحقاد والثارات.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "عزم الأمور": أن هناك أعمالا ً هي من معالي الأمور، تحتاج إلى قرارات عظيمة وهمم عالية ، والصبر والغفران في مقدمتها.
· مفهوم "القوة الداخلية": أن الشجاعة الحقيقية ليست في الانتصار الجسدي، بل في الانتصار على النفس.

· مفهوم "التحرر بالغفران": أن الغفران هو تحرير للنفس من قيود الكراهية قبل أن يكون تكرماً على المسيء.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان متحرر من الحقد: نقي الصدر، قوي الإرادة.
.2بناء مجتمع متصالح مع ذاته: لا تأكله الأحقاد الشخصية ولا الثارات القبلية.
.3بناء حضارة تسودها الرحمة: لأن الصابرين الغافرين هم الذين يصنعون السلام الحقيقي في الأرض.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآية في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة تحديد الهدف الأخلاقي الأسمى: تعلم أن أخذ الحق بالمثل هو "حد أدنى" ولكن الهدف الذي تسعى إليه هو الصبر والغفران. ضع هذا الهدف أمامك دائمًا.
· مهارة تحليل المشاعر وإدارتها: تتعلم كيف تراقب مشاعرك عندما تساء إليك. هل اكتفيت بكف يدك فحسب؟ أم أنك قد غفرت بقلبك أيضًا؟ هذا الاستبطان يطور ذكاءك العاطفي.
· مهارة التفريق بين المستويات الثلاثة: تتعلم أن تصنف ردود أفعالك: هل أنا أعيش في مقام "المنتصر" فقط، أم "العافي"، أم "الصابر الغافر"؟ هذا يجعلك تعرف أين أنت من سلم الكمال.

ثانياً: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "التريض على الغفران": خصص كل ليلة وقتًا قبل النوم، لتسترجع أي إساءة حدثت لك خلال يومك، وتدرب قلبك على أن يغفرها. قل: "اللهم إني غفرت لكل من أساء إليّ اليوم، فاغفر لي". هذا تمرين يومي حتى يصبح الغفران خلقًا راسخًا فيك.
· مهارة "كتابة خطاب غفران": إذا وجدت صعوبة في الغفران لشخص معين، فاكتب له خطابًا خياليًا (لا ترسله) تصف فيه جرحك، ثم تخبره أنك قررت أن تغفر له لله. هذا الفعل يحرر المشاعر المكبوتة ويعينك على الغفران الحقيقي.
· مهارة "الصمت الإيجابي": عندما تستفز، تدرب على الصمت الإيجابي. ليس صمت عجز، بل صمت قوة. قل لنفسك: "سأصمت الآن لأكون من الصابرين، ولأفوز بعزم الأمور". استثمر هذا الصمت في الدعاء لمن أساء إليك.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نرتفع عن درك الانتقام، وأن نرتقي إلى فضاء الصبر والغفران. يريدنا أن نكون أمة ذات عزيمة، تتحلى بأخلاق الكبار، لا أخلاق الثأر والانتقام. يريدنا أن نصلح قلوبنا، فتصلح مجتمعاتنا.

كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

.1في عصر السوشيال ميديا والاستفزاز الإلكتروني: الكلمات الجارحة تطير عبر الشاشات في ثوان . تدرب على أن "تصبر وتغفر" في هذا العالم الافتراضي .لا ترد على كل إساءة، ولا تجعل قلبك ساحة للغل بسبب تعليق من مجهول .اطوِ الصفحة، واغفر، وامضِ .هذا هو عزم الأمور في العصر الرقمي.
.2في النزاعات الأسرية: بين الأزواج، وبين الإخوة، وبين الأقارب، تحدث إساءات كثيرة .تدرب أن تكون أنت صاحب العزيمة، الذي يصبر ويغفر، فيعود الصفاء إلى الأسرة .قل: "أنا لا أريد فقط أن ينتصر رأيي، بل أريد أن أصبر وأغفر لأحافظ على أسرتي".
.3في الخلافات المهنية: في العمل، قد يظلمك زميل أو رئيس .قد تأخذ حقك بالطرق القانونية) وهذا مشروع(، ولكن الأسلم لقلبك أن ترتقي إلى مقام الصبر والغفران فيما لا يتعلق بحدود الله .بهذا تحافظ على صحتك النفسية، وتبني سمعة طيبة.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآية هي وسام على صدر كل مؤمن جعل مرضاة الله غايته، والجنة أمله. إنها تدعوك أن تتحلى بأخلاق العظماء، وألا ترضى لنفسك أن تكون أسيرًا لدافع الانتقام. صبر جميل، وغفران كامل، وقلب سليم، هذا هو الطريق إلى "عزم الأمور". قال بعض السلف: "ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما زاد الله عبدًا بغفران إلا رفعة". فكن من أهل هذه الآية، واجعلها شعارك: أنا من الصابرين، أنا من الغافرين، أنا من أولي العزم بإذن الله. وفقني الله وإياك لهذا المقام العظيم، وجعلنا من ورثة جنة النعيم.

القسم الثاني
اولا
أيها العبد الموقن بعدل الله، والمتشوق لفهم سننه في خلقه، ها نحن نقف معًا على أعتاب آية كريمة، ترسم لنا مشهدًا مهيبًا، وتكشف لنا عن قانون إلهي دقيق، وتضع أمام أعيننا مصير من أعرض عن الا ستجابة ورفض طريق الهداية .بعد أن بيّنت الآيات السابقة صفات أهل الجنة الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وانتقموا من البغي وصبروا وغفروا، تأتي هذه الآية لترسم النموذج المقابل، لتحذر من عاقبة الإعراض، ولتجيب عن السؤال المحير: لماذا يضل من يضل؟ وكيف يكون ذلك عدلا ً من الله؟ إنها الآية الرابعة والأربعون:

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ الشورى:(44

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي إنذار للغافلين، وتذكرة للمؤمنين، وبيان شافٍ لعدل الله في قضائه .إنها ترينا مشهدين: مشهد في الدنيا يبين كيف أن من يضلله الله فلا هادي له، ومشهد في الآ خرة يصور حسرة الظالمين عندما يرون العذاب ويطلبون العودة إلى الدنيا .دعنا نقف مع هذه الآية وقفة المتأمل الخائف الراجي، ونستلهم منها الدروس والعبر.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

1.فهم قانون الإضلال الإلهي وعدله المطلق: إدراك أن إضلال الله للعبد ليس ظلمًا، بل هو نتيجة حتمية لعلمه بعدم استعداد العبد للهداية، ورفضه لها.
2.إدراك حقيقة الولي والمرشد: العلم بأن من حُرم هداية الله، فلا ولي له ولا مرشد يخرجه من ضلا له.
3.مشاهدة مصير الظالمين يوم القيامة: تصور حسرة الظالمين وتمنيهم العودة إلى الدنيا، لتكون هذه الصورة رادعًا لنا.
4.التطبيق العملي في حياتنا: تعلم كيفية فتح منافذ الهداية، والاستجابة لأمر الله، وتجنب طريق الض لال.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها
المحور الأول: دلالة قوله) وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ (وبيان قانون الإضلال الإلهي العادل

تبدأ الآية بإخبار حاسم: "ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده" .هذا الجزء يرسم حال من يرفض الاستجابة لأمر الله، ومن يرفض طاعة أوامره .فهؤلاء الذين ليس لديهم استعداد للإيمان وقبول الحق، يعاقبون بالضلال .فمشيئة الله وقدرته لا توجد قوة تستطيع أن تقف أمامها .فمن علم الله عدم استعداده لقبول الحق والإيمان به، فهو يستحق الضلال .فهؤلاء يقعون في الانحراف والميل للشهوات . ومن يضلله الله، فلن تجد له سيدًا يرشده إلى الصواب ويمنع عنه الانحراف، فهو فاقد للحماية و الرعاية، لأنه حقت عليه كلمة العذاب.

الإشكال والجواب: كيف يعذبنا الله طالما أن انحرافنا ناتج عن قدره ومشيئته؟
هنا قد يقول قائل: كيف يعذبنا الله طالما أن انحرافنا ناتج عن قدر الله ومشيئته؟ أليس هذا ظلمًا؟

والجواب القرآني واضح: إن قدر الله ومشيئته -جل وعلا- ناتجان عن علمه بحال هذا العبد .فهو سبحانه يعلم أن هذا العبد غير مستعد للإيمان والقبول به، فيكون عقابه بأن يسهل له طريق الضلال والانحراف، لا أن يظلمه .وهذا مثل قوله تعالى في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ الليل: 5-10).

قانون المقابلة في الفعل الإلهي:
الله سبحانه وتعالى قد جعل للهداية أسبابًا لا بد من طلبها والسعي إليها بالعمل الصالح .وهو سبحانه يقابل كل فعل نعمله بفعل من لديه:

· فالذي يُقبل على الطاعة، يقابله الله بفعل من لديه، بأن يجعل له التوفيق.
· والذي يرفض الطاعة والاستجابة، يقابله الله بفعل من لديه، بأن يسهل له طريق الانحراف والضلال.

كما قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

القوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾) فصلت:.(25

مثال تقريبي: غرفة مغلقة النوافذ:
إن الإنسان الذي يغلق على نفسه الحجرة، ثم يقول: "لماذا لا تدخل الشمس إلى منزلي؟"، فكيف تدخل الشمس وقد أغلق جميع النوافذ؟! وهكذا حال من يرفض الهداية ويغلق منافذ الهداية: القلب والعقل و السمع والبصر .فإنه يحرم نفسه من الهداية وأنوارها، ويعاقبه الله على ذلك بأن يجعله يزيغ .وبالتالي، فمن وقع في الضلالة، فليس له مرشد يرشده إلى الصواب، وليس له من ينصره ويدفع عنه الضلال.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· أسلوب الشرط ب- "من": "ومن يضلل الله" شرط يدل على العموم والتحقق، فكل من أضله الله فلا هادي له.
· النفي ب- "ما": "فما له من ولي" نفي قاطع، لتأكيد فقدان أي نصير أو مرشد.
· لفظ "ولي": يشمل معاني النصير والمرشد والحافظ .فهم فاقدون لكل ذلك.
· "من بعده": أي من بعد الله، أو من بعد إضلاله .فإذا أضله الله، فلا أحد يستطيع أن يهديه.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تجعلك تخشع وتلجأ إلى الله طالبًا منه الهداية .تشعر بالخوف العظيم من أن يحرمك الله التوفيق .وهذا الخوف يدفعك للعمل .لقد كان من دعاء النبي ﷺ: "يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ".
· الرسالة التربوية: علّم أبناءك ألا يغلقوا منافذ الهداية .قل لهم: "كما تفتح النافذة لتدخل الشمس، افتح قلبك للقرآن، وسمعك للذكر، وبصرك للعبر، لتدخل أنوار الهداية".
· الرسالة العملية: اجعل دعاء "اهدنا الصراط المستقيم" في كل صلاة نابعًا من قلبك، مستشعرًا أنك تسأل الله ألا يضلك .قل: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى".
**المحور الثاني: دلالة قوله) وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (وبيان ح ال الظالمين في مشهد الحشر

هذا هو المشهد الثاني المرسوم في الآية .بعد أن بينت حال الضالين في الدنيا، تنقلك الآية إلى مشهد الآخرة .إنها تدعوك لتتأمل حال الظالمين الذين رفضوا الهداية، لتعتبر وتتعظ قبل فوات الأوان ."وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل" .الخطاب موجه للنبي ﷺ ولكل متدبر، وكأنه يقول: تأمل هؤلاء الظالمين، وتصور حالهم في ذلك الموقف الرهيب.

من هم الظالمون هنا؟
الظالمون المذكورون هم الذين انحرفوا عن الطريق في الدنيا: ظلموا الحق إذ جعلوه كالباطل، وظلموا أنفسهم إذ أوردوها موارد الهلاك، ووقعوا في أسر الهوى والزيغ، فصاروا عبيدًا لغير الله .هؤلاء ما هم إلا الغافلون الذين أبوا الاستجابة لله، وأعرضوا عن أوامره.

حالهم عندما يرون العذاب:
عندما يشاهدون النار التي أُعدت لهم، وتكون مقرهم الذي يعذبون به، يتمنون لو يجدوا طريقًا يعودون به إلى الدنيا، كي يسلكوا طريق الهداية .إنهم يبحثون عن مخرج من أهوال العذاب، طالبين العودة إلى الدنيا .وهذا هو غاية الحسرة والندم.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· فعل "وترى": مضارع يفيد استحضار المشهد كأنه واقع أمام عينيك الآن، ليكون وقع الصورة أشد في نفسك .إنها دعوة للتأمل الحي.
· "لما رأوا العذاب": "لما" ظرفية تفيد المفاجأة والمباشرة، فبمجرد أن رأوا العذاب انطلقوا بهذا السؤال اليائس.
· "يقولون هل إلى مرد من سبيل": استفهام فيه معنى التمني والتحسر .إنهم لا يسألون سؤال مستخبر ، بل سؤال متحسر متمنٍّ .مثال تقريبي: كغريق في بحر لجي يتعلق بقشة، يسأل: "هل من منقذ؟"، وهو يعلم أنه لا منقذ، لكنها الحسرة!
**المحور الثالث: درس الآية لنا: خذ العبرة قبل أن يحل بك ما حل بهم

إن الغرض من هذا المشهد المهيب ليس مجرد الإخبار، بل هو دعوة عملية لك أيها العبد .يقول الله لك: تأمل هذا الموقف وعِه، واجعله أمام عينيك، لتكون هذه المعالم ظاهرة بارزة لك، فلا تقع فيما

وقعوا فيه .إن هذه الآية ترسم ذلك المشهد تحذيرًا وإنذارًا: إياك أن تكون من هؤلاء الذين إذا رأوا العذاب قالوا: هل إلى مرد من سبيل، فلا يجدون! فالعاقل من أخذ هذا العلم فخاف وأشفق من الآ خرة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: تصور هذا المشهد كلما هممت بمعصية أو فتور عن طاعة .قل لنفسك: "أتريد أن تكون ممن يقول يوم القيامة: هل إلى مرد من سبيل؟" هذا التصور يحول الخوف إلى طاقة إيمانية جبارة.
· الرسالة التربوية: انقل هذا المشهد لأبنائك بأسلوب مؤثر .قل لهم: "تخيلوا أناسًا يرون النار، فيطلبون العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحًا، فلا يستجاب لهم .نحن الآن في دار العمل، فلنعمل قبل أن نندم".
· الرسالة العملية: الاستفادة من هذه الآية تتجسد في "مبادرة الآن" .لا تؤجل توبة، لا تسوف في عمل صالح .تذكر قولهم: "فهل إلى مرد من سبيل" واجعلها دافعًا للعمل الفوري.
**المحور الرابع: تكامل صفات أهل الجنة ومشهد أهل النار) نهاية المقطع(

بهذه الآية، يكتمل المقطع القرآني البديع .لقد بدأ الله بذكر صفات أهل الجنة) الآيات36 -(43، وختم بذكر حال الظالمين الذين حُرمت عنهم تلك الصفات .فكأن الآية تقول: هؤلاء هم أهل الجنة بتلك الصفات العظيمة، وهؤلاء هم أهل النار الذين رفضوا الاستجابة، فانظروا أين تريدون أن تكونوا .إنه درس في الاختيار والمصير.
**المحاور الإضافية: دروس الآية في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية الهداية والضلال: تعالج الآية أصل السعادة والشقاء، وهو الهداية والضلال، وتبين أن مرد ذلك إلى عدل الله وعلمه.
.2قضية العدل الإلهي والقدر: تقدم تفسيرًا واضحًا لعلاقة مشيئة الله باختيار الإنسان، مؤكدة أن الله لا يظلم أحدًا.
.3قضية الحسرة على فوات العمر: ترسم الآية مشهد الندم الأبدي لتكون دافعًا للعمل في زمن المهلة.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة طلب الهداية: الهداية ليست أمرًا مفروغًا منه، بل هي مطلب يومي.
.2قيمة الخوف من سوء الخاتمة: الخوف من أن يُضل العبد فلا يجد له وليًا.
.3قيمة اغتنام الوقت: العمل الصالح اليوم قبل أن يأتي غد لا مرد له من سبيل.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: ترسيخ عقيدة القضاء والقدر، والإيمان بعدل الله.
.2البعد التربوي: استخدام الترهيب والترغيب معًا في تربية النفوس.
.3البعد النفسي: إثارة مشاعر الخوف من النار، والندم، مما يحرك دافع العمل.
.4البعد الاجتماعي: بناء مجتمع يخاف الله، فيستقيم سلوك أفراده.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "الإضلال بنتيجة الاختيار": أن الإضلال الإلهي ليس ظلمًا، بل هو ثمرة اختيار الإنسان وتيسير طريق اختياره.
· مفهوم "منافذ الهداية": أن الهداية تدخل من منافذ) القلب، العقل، السمع، البصر(، فإذا أغلقت فلا نور.
· مفهوم "الندم الأخروي": أن الحسرة في الآخرة لا تنفع، وأن وقت التدارك هو الدنيا فقط.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان يقظ: لا يغفل عن فتح منافذ الهداية، ويخاف من عاقبة الإغلاق.
.2بناء مجتمع داعٍ إلى الله: مجتمع يتعاون على فتح منافذ الخير، ويحذر من غلقها.
.3بناء حضارة تستبق الحساب: حضارة تعمل للآخرة، لا تنتظر حتى تقول: "هل إلى مرد من سبيل".
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآية في حياتنا العملية؟) مهارات معرفية وعملية(

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة فهم "قانون التيسير": تتعلم كيف تربط بين أفعالك الاختيارية وبين تيسير الله لك .كلما عملت خيرًا، شعرت بتيسير الله .فهذه علامة قبول .وكلما عملت شرًا، فاحذر أن يكون ذلك بداية تيسير للعسرى.
· مهارة "محاسبة النية قبل العمل": قبل أن ترفض طاعة، اسأل نفسك: "هل أنا الآن أغلق نافذة من نوافذ الهداية؟" هذا السؤال يوقظك.
· مهارة استحضار مشاهد الآخرة: درب عقلك على أن يتخيل مشهد الآية كأنك تراه .هذه "التصورات ا لإيمانية" تقوي الإيمان وتدفع للعمل.

ثانيا: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "فتح النوافذ اليومية": كل يوم، قم بعمل تطهير لحواسك: اغض بصرك عن حرام) نافذة البصر(، اقرأ قرآنًا) نافذة السمع واللسان(، تفكر في خلق الله) نافذة العقل(، تصدق) نافذة القلب .(هذا هو الاستعداد اليومي للهداية.
· مهارة "الاستغفار الفوري عند التقصير": إذا وجدت نفسك قد أغلقت منفذًا بمعصية، فابادر فورًا بفتحه بالتوبة .لا تدع النافذة مغلقة طويلا ً، لئلا تألف الظلام.
· مهارة "الدعاء بالهداية في كل صلاة": اجعل "اهدنا الصراط المستقيم" دعاءً حاضرًا بقلبك، لا مجرد كلمة على لسانك .تدرب على استشعار معانيها: أنت تطلب من الله أن يفتح لك منافذ الهداية، وأن يجعلك ممن أنعم عليهم، لا من المغضوب عليهم ولا من الضالين.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نستجيب، وأن نفتح قلوبنا لهدايته قبل أن يأتي يوم لا مرد له من سبيل .يريدنا أن نعيش الخوف من سوء العاقبة، والرجاء في رحمته.

كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

.1في عصر الانفتاح المعلوماتي: الشهوات والشبهات تملأ الشاشات .هذه كلها قد تكون من "القرناء" الذين قيضوا لمن أعرض .علينا أن نختار بوعي ما ندخله إلى عقولنا وقلوبنا .لا نغلق النوافذ كلها خوفًا، بل نفتح نوافذ النور) القرآن، العلم، الذكر (ونغلق نوافذ الظلام) المعاصي، مواقع الفساد.(
.2عند رؤية الغافلين: إذا رأيت من يعيش في الضلال، فلا تحتقرهم، بل اعتبر بهم .قل: "الحمد لله الذي هداني، واهدهم أنت يا كريم" .واعلم أن الهداية فضل من الله، فاسأله الثبات.
.3تذكر الموت وموقف الحشر: في زحمة الحياة، تذكر هذه الآية .تذكر أن هناك لحظة سيرى فيها الظالمون العذاب .هذا التذكر يخفف من ضغط الدنيا، ويصحح بوصلتك نحو الآخرة.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآية هي جرس إنذار يقرع في قلبك: "افتح نوافذ الهداية الآن، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم" .إنها تدعوك للاستجابة، وتحذرك من الإعراض .لا تكن من الظالمين الذين إذا رأوا العذاب قالوا: "هل إلى مرد من سبيل" .بل كن من المؤمنين المستجيبين الذين قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ .اللّهم يسّرنا لليسرى، وجنّبنا العسرى، وافتح لنا منافذ هدايتك، وثبتنا على الصراط المستقيم حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.
ثانيا
أيها العبد الموقن بعدل الله، المتشوق لفهم سننه في خلقه، والمشفق من أهوال يوم القيامة، ها نحن نعود لنقف معًا على أعتاب آيتين كريمتين من سورة الشورى، تكملان لنا ذلك المشهد المهيب الذي بدأناه في الآية السابقة، وتغوصان بنا في أعماق نفسية الظالمين وهم يواجهون مصيرهم المحتوم، ثم تختمان بتقرير الحقيقة الكبرى: أن لا ولي ولا ناصر ولا سبيل إلا بالله. بعد أن أخبرنا الله في الآية (44) عن حسرة الظالمين وتمنيهم العودة إلى الدنيا، تأتي هاتان الآيتان لتصورا حالهم وهم يُساقون إلى النار، فترسم مشهدًا حيًا مليئًا بالتفاصيل التي تزلزل القلوب، وتزرع في المؤمنين اليقين بحقيقة الخسران والنجاة. إنهما الآيتان الخامسة والأربعون والسادسة والأربعون:

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾) الشورى:(45
﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾) الشورى:(46

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما لوحة فنية مرسومة بألوان الذل والانكسار والخسران، تقابل لوحة المؤمنين التي رأيناها في الآيات السابقة. إنهما تكشفان عن حقيقة الذل الذي ينتظر المستكبرين، وعمق الخسران الذي يلحق بهم، وتؤكدان أن الضلال ليس له من سبيل للنجاة. دعنا نقف أمام هذه اللوحة بقلب المتأمل الخائف الراجي، ونستلهم منها الدروس والعبر.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1مشاهدة مشهد العرض على النار: أن نتصور بعمق حال الظالمين وهم يُعرضون على النار، بخشوع ذل لا خشوع عبادة، ونظر خفي من شدة الهوان.
.2فهم حقيقة الخسران الأكبر: أن ندرك بعمق معنى قول المؤمنين: "إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة"، ونجعله نصب أعيننا.
.3استشعار انقطاع الأسباب: أن نوقن بأنه لا أولياء ولا نصراء ولا سبيل للنجاة لمن أضله الله، فلا ملجأ إلا إليه.
.4التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نستفيد من هذه المشاهد في تزكية قلوبنا، وتربية أبنائنا ، وبناء خشوع العبودية لا خشوع الذل.

**تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.

**المحور الأول: دلالة قوله (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) وبيان مشهد الذل والانكسار

تبدأ الآية الأولى بالعطف على ما سبق في الآية (44)، حيث رأيتَهم يقولون: "هل إلى مرد من سبيل". وهنا، ترى مشهدًا آخر من مشاهد عذابهم: "وتراهم يعرضون عليها". أي أنهم يُساقون إلى جهنم ويُعرضون عليها عرضًا، كما تُعرض الجناة على سيف الجلاد. وهنا، يتجلى وصف دقيق لحالتهم:

أولا ً: يعرضون عليها:
الفعل "يعرضون" مبني للمجهول، إشارة إلى أنهم مسلوبو الإرادة، مساقون سوقًا لا يملكون لأنفسهم دفعًا. وهذا العرض هو لحظة المواجهة المباشرة مع المصير المحتوم. مثال تقريبي: كأسرى حرب يُقادون مكبلي الأيدي إلى ساحة الإعدام، فيرون بأعينهم المكان الذي سيلقون فيه حتفهم، وتغشاهم ح الة من الذهول والرعب لا توصف.

ثانيا ً: خاشعين من الذل:
"خاشعين" أي أذلاء منكسرين، رؤوسهم منحنية، وأعناقهم خاضعة. لكنه ليس خشوع العبادة لله، بل هو خشوع الذل والهوان والإذعان القهري. لقد كانوا في الدنيا مستكبرين متطاولين، يأبون الخشوع لله ، فها هم الآن يُجزون بخشوع الذل والمهانة. الفرق دقيق: المؤمن يخشع لله طوعًا وحبًا، فيرتفع بهذا الخشوع. أما الظالم فيُخشع قهرًا وذلا ً، فيهوي بهذا الخشوع. مثال تقريبي: فرق بين رجل ينحني طواعية ليحمل حجرًا يبني به مسجدًا، وآخر يُكره على الانحناء ليُجلد على ظهره! صورة الانحناء واحدة، لكن المعنى والقيمة مختلفان تمامًا.

ثالثا ً: ينظرون من طرف خفي:
هذا من أبلغ الوصف وأدقه. "طرف" أي نظر، و"خفي" أي ضعيف مختلس، لا يكاد يُرى. إنهم ينظرون إلى النار بطرف عيونهم خفية، لا يستطيعون أن يملأوا أعينهم بها رعبًا وفزعًا. إنها نظرة الذليل الذي يخاف أن يواجه مصيره ببصره كاملا ً، فيهرب بطرفه جانبًا مسارقةً، كما يفعل الخائف المذعور الذي يخشى أن يُفاجأ بالعذاب. لاحظ: هذا الطرف الخفي هو عين الذل، لأن الناظر إلى الشيء بملء عينيه إما أن يكون عزيزًا مهابًا أو مستأنسًا، أما الناظر ببعض بصره مختلسًا فهو ذليل خائف. مثال تقريبي: طفل صغير أخطأ خطأ كبيرًا، وأمسك به والده الغاضب وهو ممسك بعصا. الطفل لا ينظر في عيني و الده مباشرة، بل ينظر إليه بطرف عينه خفية، خائفًا وجلا ً، يرتجف من شدة الرهبة. هذا بالضبط ح ال الظالمين مع النار.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "وتراهم": تحويل الخطاب للمشاهدة الحية، وكأن المشهد يمر أمام عينيك الآن .فيه تقريب للمشهد

وتأكيد لوقوعه.
· "يعرضون": بصيغة المضارع، لاستحضار هيئة العرض المذلة.
· "خاشعين": حال منصوب يصف هيئتهم أثناء العرض، مؤكدًا الذل الذي يغمرهم.
· "من الذل": بيان لسبب الخشوع ونوعه .ليس خشوع عبادة، بل خشوع ذل وهوان .وهذا قمة الإهانة النفسية.
· "ينظرون من طرف خفي": جملة حالية أخرى ترسم تفصيلا ً دقيقًا لنظراتهم المسارقة، فتكتمل صورة الذل والجبن والرعب .تقديم "من طرف" وتنكير "خفي" يفيد شدة إخفائهم لنظراتهم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: تخيل نفسك في هذا المشهد .هذا التصور يولد في قلبك خوفًا عظيمًا من الذنوب التي تؤدي إلى هذا المصير، ويدفعك للفرار من الذل إلى العز، من خشوع الذل إلى خشوع العبودية الطوعي الحبيب.
· الرسالة التربوية: عندما تربي أبناءك، لا تكتفِ بوصف النار .صوّر لهم هذا المشهد، كيف سيكون حالهم وهم يُعرضون عليها، ينظرون بطرف خفي .هذا يغرس فيهم خوفًا رادعًا .لكن اربطه بخشوع الصلاة: "في الصلاة، تخشع لله طوعًا فيرفعك .وفي النار، تخشع ذلا ً فتهوي." هذا يبني وعيًا دقيقًا.
· الرسالة العملية: مرّن نفسك على "خشوع الطوع" في الصلاة والذكر .عندما تركع وتسجد، استشعر أنك تختار الذل لله طوعًا، وهذا هو عزك .من يخشع لله في الدنيا، يأمن من خشوع الذل يوم القيامة.
***المحور الثاني: دلالة قوله (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) وبيان حقيقة الخسران الأكبر

بعد مشهد العرض المهيب، ينقلنا القرآن إلى تعليق المؤمنين على هذا المشهد. إنهم يرون بأعينهم مصير أولئك الظالمين، فينطقون بكلمة الحق واليقين: "إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة". وهذا القول هو اعتراف بالحقيقة، وتعبير عن العبرة، وشكر لله على النجاة.

لماذا هم الخاسرون الحقيقيون؟
لأنهم خسروا أثمن ما يملكون:

.1خسروا أنفسهم: إذ أوردوها موارد الهلاك والعذاب الأبدي .كانوا يملكون أنفسهم، فباعوها بثمن بخس دراهم معدودات من شهوات الدنيا.
.2خسروا أهليهم: إذ كانوا سببًا في ضلالهم أو حرمانهم من صحبتهم في الجنة .فالعائلة التي كان يمكن أن تكون سندًا لهم، صارت حسرة عليهم .إنهم خسروا أنفسهم التي هي أصل كل شيء، وخسروا أهليهم الذين هم أقرب الناس إليهم وأعزهم لديهم .مثال تقريبي: كتاجر يخسر في صفقة متاعه كله، ثم يخسر بيته وعائلته أيضًا .أي خسارة أفظع من هذه؟ إنها الخسارة الكاملة.

خاتمة الآية: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم:
تأتي "ألا" للتنبيه والتوكيد، "إن الظالمين في عذاب مقيم" أي دائم لا ينقطع ولا يفنى. وهذا تأكيد من الله بعد قول المؤمنين، بأن هذا الخسران متوج بعذاب دائم، لا رجاء في الخروج منه أبدًا.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "وقال الذين آمنوا": إظهار لموقف المؤمنين وهم في أمان، يشاهدون هذا المشهد فيزيدهم يقينًا وشكرًا .إسناد القول إليهم زيادة في التوكيد، وكأن الحق ينطق على ألسنتهم.
· "إن الخاسرين": تعريف "الخاسرين" بأل الجنسية للحصر، فهم الخاسرون حصرًا، لا خاسر غيرهم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الزمر:.(15
· "خسروا أنفسهم وأهليهم": ذكر الاثنين معًا يفيد شمول الخسارة كل جوانب حياتهم: الذات وما حولها.
· "ألا": حرف تنبيه يفيد أهمية ما بعدها، فالسامع مطالب بأن يصغي.
· "في عذاب مقيم": بدل أن يقول "لهم عذاب مقيم"، قال "في عذاب مقيم" ليفيد أنهم مغمورون في العذاب ومحاطون به من كل جانب.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا القول من المؤمنين يجعلك تسأل نفسك: "هل أنا من الخاسرين؟" إنها دعوة لمراجعة الذات، وتقييم حياتك: هل أعيش لآخرتي أم لدنياي؟

· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن قيمة الإنسان ليست بماله أو جاهه، بل بنفسه وأهله ."الخسارة الحقيقية أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة" .هذا يبني فيهم مقياسًا صحيحًا للربح والخسارة.
· الرسالة العملية: الأسرة نعمة، فاستثمر فيها .ربِّ أهلك على الإيمان، وكن سببًا في نجاتهم لا في هلا كهم .إن أردت ألا تخسر أهلك يوم القيامة، فاحرص عليهم اليوم.
**المحور الثالث: دلالة قوله (وَمَا كانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللهِ) وبيان انقطاع الأسباب و النصرة

بعد بيان حالهم ومصيرهم، تأتي هذه الآية لتؤكد على سبب وعلة هذا المصير، وهو انقطاع النصرة و الولاية عنهم. "وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله". إنها تقرير لحقيقة أن كل من كانوا يرجون نصرتهم في الدنيا من آلهة مزعومة، أو أصنام، أو بشر، قد تخلوا عنهم. فلا ولي ولا نصير ولا شفيع. مثال تقريبي: كرئيس دولة أطاح به انقلاب، فإذا به يبحث عن حليف أو صديق ينصره، فيجد أن الجميع قد تخلوا عنه، وأغلقوا أبوابهم في وجهه. لكن هذا في الدنيا قد ينتهي، أما هناك فهو الأ بد.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "وما كان لهم": فعل ماضٍ ناقص، يفيد نفي وجود الأولياء عنهم جملة وتفصيلا ً.
· "من أولياء": "من" زائدة للتوكيد، و"أولياء" نكرة لتعميم النفي، فلا ولي واحد منهم.
· "ينصرونهم": صفة للأولياء، فليس لهم أولياء ينصرونهم أصلا ً.
· "من دون الله": أي من غير الله .ولو كان لهم أولياء من دون الله في الدنيا، فهم اليوم لا يملكون لهم شيئًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تزرع فيك التوكل الخالص على الله وحده .لا تعتمد على بشر، ولا ترجُ نصرتهم، فكلهم عاجزون يوم القيامة .الوحيد الذي ينفع هو الله.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يخافوا من الظالمين ولا يعتمدوا عليهم .قل لهم: "لا تخف من ظالم، ولا ترجُ نصرته، فكل البشر لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا يوم القيامة".
· الرسالة العملية: اجعل شعار حياتك: "يا رب" .إذا أصابك هم، فالجأ إلى الله وحده .لا تطلب النصر من المخلوقين إلا بقدر ما جعله الله من أسباب .نصرك الحقيقي من الله.
**المحور الرابع: دلالة قوله (وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ) وخاتمة التذكير بقانون الضلال

تختم الآية الثانية بالتذكير بالقانون الإلهي الذي مررنا به في الآية (44)، ولكن بصيغة جديدة: "ومن يضلل الله فما له من سبيل". أي من أضله الله عن طريق الحق والهداية بسبب إعراضه وعدم استعداده، فلا طريق له بعد ذلك إلى الهداية ولا إلى النجاة. فلا ولي من بعده (آية 44)، ولا سبيل له (آية 46). لقد سُدّت عليه الطرق كلها. "سبيل" نكرة في سياق النفي، تعني أنه لا سبيل واحد مطلقًا، لا سبيل رشاد في الدنيا، ولا سبيل نجاة في الآخرة. وهذا هو الخسران المبين.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ومن يضلل الله": أسلوب شرط للعموم، فكل من أضله الله فهو كذلك.
· "فما له من سبيل": "ما" نافية، و"من" زائدة للتوكيد، و"سبيل" نكرة .النفي هنا أشد من نفي "ولي" السابق، لأنه نفي لأي مخرج مهما كان.
· وصل "الولي" بـ "السبيل": في الآية السابقة نفى الولي، وفي هذه الآية نفى السبيل .فنفى الناصر والمرشد) الولي(، ونفى الطريق الموصل للنجاة) السبيل .(فاجتمع عليهم الحرمان من الناصر ومن الطريق معًا.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا يدفعك للخوف الشديد، فالضلال ليس له طريق عودة .فاسأل الله الثبات، والجأ إليه أن يهديك.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يخافوا من أن يحرمهم الله الهداية .قل لهم: "احذروا المعاصي، فإنها قد تسد عليكم طرق الهداية".
· الرسالة العملية: أكثر من دعاء: "اللهم إني أسألك الهدى والسداد" .وداوم على الاستغفار، فهو يفتح الطرق المغلقة.
***المحور الخامس: الربط بين المشهدين (الدنيا والآخرة) وتكامل الصورة

لقد اكتمل المشهد القرآني بعناصر متكاملة:

المشهد الآية الحالة المعنى
في الدنيا 46 إضلال الله لهم، وسلب الأولياء والسبل رفضوا الهداية، فأغلقوا على أنفسهم.
في موقف الحشر 44 تمني العودة: "هل إلى مرد من سبيل" حسرة وندم لا ينفع.
أثناء العرض على النار 45 يعرضون خاشعين، ينظرون بطرف خفي ذل وهوان ورعب شديد.
بعد دخول النار 45 عذاب مقيم خسران أبدي.
تعليق المؤمنين 45 إنهم هم الخاسرون حقًا إعلان الحقيقة، واعتبار.

وهكذا نرى كيف انتقلت الآيات من مشهد إلى مشهد، لتحيط بنا من كل جانب، حتى نعيش الرحلة كاملة، فنخاف ونرجو، ونستعد لآخرتنا.
***المحاور الإضافية: دروس الآيتين في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية الذل والعز الحقيقيين: تبين الآية أن العز الحقيقي هو الخشوع لله طوعًا، والذل الحقيقي هو الخشوع للعذاب قهرًا.
.2قضية الخسران والربح الأبدي: تعالج الآية سؤال: ما معنى أن تكون رابحًا أو خاسرًا في الحياة؟
.3قضية الأسباب والنتائج: تبرهن الآية على أن إضلال الله للعبد هو نتيجة لإعراض العبد أولا ً، ثم تكون نهايته انقطاع الأسباب كلها.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة الحياء من الله: تعلمنا الآية أن الحياء من الله يدفعنا لخشوع الطوع، فننجو من خشوع الذل.
.2قيمة الأسرة: تعلمنا مكانة الأسرة في الآخرة، وتحثنا على إنقاذها من النار.
.3قيمة التوكل: تعمق تعليمنا ألا نتوكل إلا على الله، فهو وحده الباقي والنافع.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآيتين

.1البعد العقدي: ترسيخ اليقين باليوم الآخر، وأن العذاب حقيقي ومشاهد.
.2البعد التربوي: تربية الضمير من خلال استحضار مشاهد العذاب، وتدريب العين على النظر إلى الحق لا إلى الشهوات.
.3البعد النفسي: إثارة الخوف الرادع، وتطهير النفس من حب الذات والكبر.
.4البعد الاجتماعي: بناء مجتمع يأخذ بأسباب النجاة جماعيًا، فيتعاون على البر والتقوى.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "خشوع الذل وخشوع الطوع": التمييز بينهما هو مفتاح نفسي وتربوي عظيم.
· مفهوم "الخسران الأسري": أن الذنوب قد تجر الويل على الأهل، فلا ينجو الفرد بنفسه فقط، بل يسعى لنجاة أهله.
· مفهوم "انقطاع السبل": اليقين بأن من يضلله الله فلا طرق له مفتوحة للعودة، وهذا يزرع الخوف الصحي.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان ناظر إلى آفاق الأبدية: لا تحبسه زخارف الدنيا عن مصيره.
.2بناء مجتمع قائم على التواصي بالحق: يذكر بعضه بعضًا بهذه المشاهد.
.3بناء حضارة تعمل ليوم الحساب: تكون أعمالها كلها خالصة لله.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هاتين الآيتين في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة التفريق بين نوعي الخشوع: تتعلم أن تميز في حياتك إذا ما كنت تخشع لله حبًا وطوعًا، أم تخشع للظروف والناس ذلا ً .هذا الوعي يصحح نيتك في كل طاعة.

· مهارة تحليل الخسارة الحقيقية: تتعلم أن تحلل مكاسبك وخسائرك بميزان الآخرة .أي صفقة تجارية، أو علاقة اجتماعية، اسأل نفسك: "هل أنا أربح بها آخرتي، أم أخسر نفسي وأهلي؟"
· مهارة قراءة المشاهد القرآنية بالقلب: تتعلم كيف تستحضر مشاهد القيامة بقلبك وعقلك معًا، فتصبح هذه المشاهد جزءًا من يقظتك الدائمة.

ثانيا: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "غض البصر عن المعاصي": تدرب على غض بصرك عن المحرمات .اجعل قوله: "ينظرون من طرف خفي" عبرة لك .هؤلاء ينظرون إلى النار بطرف خفي من الذل؛ فلماذا تنظر أنت إلى المعاصي بملء عينيك ثم تخاف أن تنظر إلى النار؟! غض بصرك اليوم عن الحرام، ليقر الله عينك بالنظر إلى وجهه الكريم غدًا.
· مهارة "الإنقاذ الأسري": ضع خطة أسبوعية لإنقاذ أهلك من الخسران: مجلس قرآن مع العائلة، تذكير أسبوعي، هدية كتاب نافع .لا تكن سببًا في خسارتهم.
· مهارة "مراجعة الأولياء": ألق نظرة على علاقاتك: بمن تستنصر؟ على من تعتمد؟ صحح بوصلتك: الله أولا ً، ثم من جعلهم الله أسبابًا في الخير.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هاتين الآيتين في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نستحضر هذا المشهد المهيب فلا نغفل. يريدنا أن نعيش خشوع الطوع في عبادتنا، فننجو من خشوع الذل في آخرتنا. يريدنا أن نقيس أرباحنا وخسائرنا بميزان الآخرة، لا بميزان الدنيا. يريدنا أن نوقن بأنه لا ولي ولا نصير إلا هو، فألا نلتجئ إلا إليه.

كيف نعيشهما الآن؟

.1في عالم يقدس القوة المادية ويحتقر الضعف: تذكر أن القوي هو من يخشع لله طوعًا .هذا الخشوع لا يزيدك إلا عزًا، ويمنعك من خشوع الذل يوم القيامة.
.2عند مشاهدة الفساد والظلم واسع الانتشار: تذكر "ألا إن الظالمين في عذاب مقيم" .لا يغررك إمهال الله لهم، فمصيرهم إلى هذا المشهد قطعًا.
.3في تربية الأبناء على الخوف من الآخرة: لا تجعل درس الآخرة درسًا نظريًا مملًا .حوّله لمشاهد حية بأساليبك .قل لهم: "تخيلوا أن أحدهم يُعرض على النار، ينظر بطرف خفي ...ماذا ستشعرون لو كنتم مكانه؟"

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هاتان الآيتان هما تذكرة حية، ومشهد لا يُنسى. إنهما تدعوانك إلى أن تكون من الناظرين إلى هذه المشاهد بعين البصيرة، المعتبرين بها قبل فوات الأوان. انظر إلى حال أولئك الظالمين بخشوعهم الذليل ونظرهم الخفي، واجعل ذلك دافعًا لك لتلزم خشوع العبودية لله في صلا تك وكل حياتك. تذكر قول المؤمنين: "إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة"، واجعلها شعارًا لك: "لن أكون من الخاسرين". ثق بأن الله وحده هو الولي والنصير، وأكثر من دعاء: " اللهم أجرني من خزي يوم القيامة، ومن خشوع الذل، واجعلني ممن ينظرون إلى وجهك الكريم".
ثالثا
أيها العبد المتشوق للقاء ربه، والمشفق من أهوال يوم القيامة، ها نحن نقف معًا على أعتاب آيتين كريمتين من سورة الشورى، تُختَمان بهما خطب الرحمن لعباده، وتُفتح بهما أبواب الرجاء والاستجابة، وتُزرع في القلوب بذور اليقين والإنابة. بعد أن عرض الله مشاهد العذاب المهيبة للظالمين، وما هم فيه من ذل وخسران وانقطاع للأسباب، تأتي هاتان الآيتان لتكونا بمثابة النداء الأخير، والدعوة الخالصة، والبيان الشافي للطريق. إنهما الآيتان السابعة والأربعون والثامنة والأربعون:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ (الشورى: 47)
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى: 48)

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما خلاصة البلاغ، وزبدة الدعوة. إنهما تجمعان بين التحذير من يوم القيامة الذي لا مفر منه ولا مهرب، وبين بيان طبيعة الإنسان المتقلبة بين الفرح بالنعماء و الكفران بالضراء، وتوجهان النبي ﷺ والمؤمنين إلى أن البلاغ هو غاية ما عليهم، والهداية بيد الله وحده. دعنا نقف أمام هاتين الآيتين بقلب المتأمل المتدبر، ونستلهم منهما دروسًا تزكي النفوس وتقوم

السلوك.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

.1إدراك أهمية الاستجابة الفورية: أن نعي أن الاستجابة لله لا تحتمل التأخير، لأن يوم القيامة آتٍ بغتة، لا راد لقضائه، ولا مهرب من حسابه.
.2استشعار الحقيقة المطلقة ليوم القيامة: أن نوقن بأنه لا ملجأ ولا منجى ولا نكير يومئذ إلا إلى الله وبالله.
.3فهم مهمة الرسول والمؤمنين: أن نتعلم أن علينا البلاغ، لا الهداية، فلا نحزن على إعراض المعرضين.
.4إدراك طبيعة الإنسان المتقلبة: أن نعرف أن الإنسان بطبيعته يفرح بالنعماء ويجزع من الضراء، إلا من عصم الله، فنراقب قلوبنا عند الرخاء والشدة.
.5التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيفية تربية أنفسنا وأهلينا على الاستجابة السريعة، وكيف نكون دعاة بالبلاغ لا قساة بالحرص.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) وبيان نداء الرحمة والتحذير

بعد أن عرض الله تلك المشاهد الرهيبة للظالمين، تأتي هذه الآية بصيغة الأمر المباشر: "استجيبوا لربكم". إنه نداء الرحمن لعباده، يدعوهم فيه إلى المبادرة بالتوبة والطاعة. وهذا الأمر ليس مجرد تكليف، بل هو استدراك ورحمة، فالله يناديك لتنقذ نفسك. تأمل قوله: "لربكم"، لم يقل "لله" فقط، بل ذكر صفة الربوبية التي تتضمن الرعاية والتربية والاهتمام. فكأنه يقول: استجيبوا لمن ربّاكم بنعمه، وتولى شؤونكم برحمته. استجيبوا لربكم الذي هو أرحم بكم من أمهاتكم.

قيد الزمان: من قبل أن يأتي يوم لا مرد له:
الاستجابة مقيدة بزمان: قبل فوات الأوان. "من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله". ذلك اليوم هو يوم القيامة، الذي إذا جاء لا يستطيع أحد رده، ولا تملك نفس لنفس شيئًا. إنه الزمن الوحيد المتبقي للعمل. وهذا القيد يحمل معنى الاستعجال والمبادرة، لأن الموت قد يأتي بغتة. مثال تقريبي: كمريض في غرفة الطوارئ، يقول له الطبيب: "خذ هذا الدواء الآن، قبل أن تنتشر العدوى ويصبح لا مرد للمرض!" فالوقت الآن، وليس غدًا.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· فعل الأمر "استجيبوا": بصيغة الاستفعال الدالة على الطلب بشدة والمبادرة. الاستجابة أخص من الطاعة، فهي طاعة مع سرعة وإقبال.
· نداء الرحمة عبر وصف "ربكم": تذكير بأن الآمر هو المربي الرحيم، لا الجبار المنتقم فحسب.
· "من قبل أن يأتي يوم": تقييد بزمان، يفيد الإلحاح وعدم الإمهال.
· "لا مرد له من الله": نفي قاطع، فذلك اليوم واقع لا محالة، لا يستطيع أحد صرفه. "من الله" أي أن الله هو الذي قضى به، فلا راد لقضائه.
· تعريف "يوم" بأل العهدية: إشارة إلى يوم القيامة المعلوم الموعود.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تجعلك تشعر أن الله يناديك أنت شخصيًا. إنها توقظ في قلبك الرجاء، وتحرك فيك دافع المبادرة. لا تقل: "غدًا أتوب"، فالزمن محدود.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك وأهلك قيمة "الآن". إذا دعوتهم لصلاة أو ترك معصية، فقل لهم: "استجيبوا لله الآن، قبل أن يأتي يوم لا مرد له". درّبهم على عادة الاستجابة الفورية.
· الرسالة العملية: ضع لك شعارًا في الحياة: "أمر الله... الآن". إذا سمعت الأذان، قم الآن. إذا خطرت لك توبة، فتب الآن. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.

***المحور الثاني: دلالة قوله (مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ) وبيان الحقيقة المطلقة ليوم القيامة

بعد أن أمر بالاستجابة وعلل بوقوع اليوم الذي لا مرد له، يأتي ببيان حال الإنسان في ذلك اليوم: "ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير". إنه تقرير لحقيقة مطلقة: لا مهرب ولا منجى، ولا قدرة على الإنكار أو الدفع.

الملجأ:
"الملجأ" هو المكان الذي تلجأ إليه لتتحصن من العدو أو من الخطر. في ذلك اليوم، لا يوجد أي حصن، ولا أي كهف، ولا أي قوة بشرية تستطيع أن تحميك من عذاب الله. مثال تقريبي: كجيش مهزوم أمام عدو قوي لا يبقي ولا يذر، يبحث جنوده عن حصن أو خندق يختبئون فيه فلا يجدون. إنهم في العراء تمامًا. هذا هو حال البشر يوم القيامة إلا من رحم الله.

النكير:
"النكير" مصدر بمعنى الإنكار، أي قدرتكم على إنكار ما فعلتم، أو دفع العذاب عنكم بالاعتراض و الجدال. ففي ذلك اليوم، تنطق عليكم جوارحكم، وتشهد عليكم أعمالكم، فلا تستطيعون أن تنكروا شيئًا. مثال تقريبي: كمتهم أمام محكمة، وقد سجلت كاميرات المراقبة جريمته بالصوت والصورة. حينها، لا يمكنه أن ينكر، لأنه لا يملك أي دليل أو حجة. الفرق أنه في الآخرة، الشاهد هو جلدك ويدك ولسانك.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ما لكم" استفهام إنكاري: بمعنى النفي، أي ليس لكم ملجأ ولا نكير.
· "من ملجأ": نكرة في سياق النفي، لتعميم نفي أي ملجأ على الإطلاق.
· "من نكير": مصدر بمعنى الإنكار، وهو أبلغ من "من منكر" لأنه ينفي القدرة على هذا الفعل جملة وتفصيلا ً.
· "يومئذ": إشارة إلى ما سبق من اليوم الذي لا مرد له، لتعليق هذه الأحكام بذلك الزمان الرهيب.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: استشعار هذا المعنى يجعلك تخاف وتفرّ إلى الله. لا تعتمد على مالك ولا جاهك و لا أصدقائك. كل هؤلاء ليسوا بملجأ لك يوم القيامة. اللهم أنت ملجأنا.
· الرسالة التربوية: ذكر أبناءك بأن الله وحده هو الملجأ. إذا خافوا أو فزعوا، قل لهم: "لا ملجأ من الله إلا إليه. الجأوا إليه يديه وسبحوه".
· الرسالة العملية: تمرّن على هذا المعنى في حياتك. إذا أصابك هم أو ضيق، استشعر أن لا ملجأ لك إلا الله، فالجأ إليه وحده بالدعاء والصلاة والاستغفار.
**المحور الثالث: دلالة قوله (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) وبيان مهمة الرسول والداعية

بعد أن أمر الله بالاستجابة وحذر من عاقبة الإعراض، يوجه الخطاب إلى النبي محمد ﷺ وإلى كل داعية من بعده، ليبين لهم حدود مهمتهم: "فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا. إن عليك إلا البلاغ ". إنها آية تمنح السلوى والطمأنينة للداعية.

فإن أعرضوا:
أي إذا استمر هؤلاء المشركون في إعراضهم بعد كل هذه الدعوة والتحذير، فلا تحزن ولا تيأس.

فما أرسلناك عليهم حفيظًا:
أي أنت لست مسؤولا ً عن هدايتهم، ولست موكلا ً بحفظ أعمالهم وإحصاء أفعالهم لتحاسبهم عليها. لست ربًا عليهم ولا قيمًا تجبرهم. مثال تقريبي: كطبيب يصف الدواء للمريض ويحذره من عاقبة الإهمال. إذا أصر المريض على ترك الدواء ومات، فالطبيب ليس مسؤولا ً عن موته، لأنه بلغ ا لأمانة.

إن عليك إلا البلاغ:
هذا حصر مهمة الرسول ﷺ في البلاغ المبين. "إن عليك إلا البلاغ" أي ما من شيء مفروض عليك سوى إيصال الرسالة بكل أمانة ووضوح. وهذا البلاغ هو الذي به تقوم الحجة على الناس. مثال

تقريبي: ساعي البريد مهمته أن يسلم الخطاب لعنوانه. فتح الخطاب وقراءته والانتفاع به ليست من مسؤوليته. وكذلك الداعية، يبين الحق، فإن قبلوه فلهم، وإن ردوه فعليهم.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· الفاء في "فإن أعرضوا": فاء التفريع، أي إذا كان الأمر كذلك، وقد بلغتهم وحذرتهم فأعرضوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.
· "حفيظًا": مبالغة من الحفظ، أي رقيبًا محصيًا محاسبًا. نفي لهذه الصفة عن الرسول.
· "إن... إلا": أسلوب حصر قاطع. فمهمة الرسول مقصورة على البلاغ.
· "البلاغ": مصدر بمعنى التبليغ. وهو تبليغ الرسالة بأمانة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تريح قلب الداعية. لا تتحمل همًا فوق طاقتك. بلغ، وادعُ، ولا تحزن على من أعرض. لست محاسبًا على قلوبهم.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن مهمتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي البلاغ. فإن لم يستجب لهم أحد، فلا يغضبوا ولا ييأسوا.
· الرسالة العملية: إذا كنت أبًا أو أمًا أو معلمًا أو داعية، فابذل جهدك في البلاغ بحكمة وموعظة حسنة. ثم كل أمرك إلى الله. لا تحترق نفسك على من لا يستجيب.
***المحور الرابع: دلالة قوله (وَإِنَّا إِذَا أَذَقنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ) وبيان طبيعة الإنسان المتقلبة

بعد بيان مهمة الرسول، تأتي هذه الجملة لتكشف عن طبيعة الإنسان الذي يدعوه الرسول. إنها ترسم صورة نفسية دقيقة لأغلب الناس، إلا من عصم الله.

عند النعمة: فرح بطر:
"وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها". "الذوق" هنا استعارة لإدراك النعمة، والرحمة تشمل الصحة والمال والجاه والأمن وسائر النعم. "فرح بها" أي فرح بطر وأشر، يغفل عن المنعم، ويظن أنه أوتيها بعلمه وقوته، ولا يشكرها حق شكرها.

عند النقمة: كفر وجحود:
"وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور". السيئة هنا تشمل المصائب والبلاءات. وهنا، بدل أن يتوب ويستغفر ويتذكر ذنوبه، "فإن الإنسان كفور" أي كثير الجحود والنكران، ينسى كل نعمة سابقة بمجرد مصيبة واحدة. مثال تقريبي: كطفل أعطيته قطعة حلوى، ففرح وقفز. وعندما أخذتها منه لأنه أساء الأدب، بكى وقال: "أنت لا تحبني أبدًا، أنت لا تعطيني شيئًا!" هكذا الإنسان أمام ربه.

قانون المصائب يتكرر:
"بما قدمت أيديهم" تربط المصيبة بالذنب، وهذا هو نفس القانون الذي مر في الآية (30): "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم". فالمصائب تذكرة، ولكن الإنسان الكفور ينساها.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "أذقنا": استعارة تفيد شدة الإدراك وسرعته، كالطعام الذي يذاق في اللسان.
· "رحمة": تنكير للتعظيم، فرحمة الله عظيمة.
· "سيئة": تنكير للتهويل، فأي سيئة تصيبهم تهولهم وتغمرهم.
· "كفور": صيغة مبالغة تدل على شدة الجحود وكثرته في هذا الإنسان.
· التقابل بين "فرح بها" و"كفور": يبرز التناقض في طبيعة الإنسان، وكيف يتقلب بين طرفي النقيض.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تفتح عينيك على حقيقتك. أنت بضعفك البشري تميل إلى الفرح بالنعماء والجزع من الضراء. اعرف هذا لتحاربه. لا تغتر بحالك، ولاحظ قلبك في الرخاء والشدة.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك كيف يتعاملون مع النعم (بالحمد) ومع النقم (بالاستغفار). قل لهم: "عندما تفرح، تذكر أن الله هو المنعم. وعندما تحزن، تذكر أن المصيبة تذكرة لذنوبك."
· الرسالة العملية: ضع لك قانونًا: عند النعمة، قل: "الحمد لله، هذا من فضل ربي". عند المصيبة، قل:

"إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني واغفر لي". بهذا تنتقل من الطبيعة الإنسانية الكفورة إلى الطبيعة الإيمانية الشكورة الصبورة.
***المحور الخامس: الربط بين الآيتين: البلاغ في زمن التقلب

الآيتان معًا ترسمان مشهد الداعية والحياة. الداعية مهمته البلاغ، وهو يخاطب إنسانًا متقلبًا، يفرح بـ النعمة ويكفر بالمصيبة. فلا ينبغي للداعية أن ييأس من إعراض هذا الإنسان، ولا أن يتوقف عن تذكيره وتنبيهه. وإنما يمضي في طريقه، مبشرًا ونذيرًا، واضعًا نصب عينيه أن الهداية بيد الله وحده. وهذا هو سر الربط بين "فإن أعرضوا" و"وإنا إذا أذقنا الإنسان": إن أعرضوا فلست عليهم بوكيل؛ لأن طبائعهم متقلبة، والله وحده هو الذي يثبت القلوب ويهدي النفوس.

الآية المحور الرسالة
47نداء الاستجابة والتحذير استجب لربك فورًا، فالوقت محدود، ولا مهرب يوم القيامة.
) 48الجزء الأول (مهمة الرسول بلغ ولا تحزن، فلست مسؤولا ً عن هداية القلوب.
) 48الجزء الثاني (طبيعة الإنسان الإنسان متقلب بين الفرح بالنعمة والكفران بالنقمة، فكن أنت فوق ذلك بالإيمان.
***المحاور الإضافية: دروس الآيتين في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

.1قضية الزمن والاستعداد للآخرة: العالم يعيش في غفلة عن الآخرة، والآية تضع الموت والقيامة كحقيقة يجب أن تدفع للعمل الفوري.
.2قضية التوازن بين الدعوة وعدم التسلط: كثير من الناس يريدون إجبار الآخرين على الهداية .الآية ترسم حدود الداعية: البلاغ فقط.
.3قضية تقلب النفس البشرية: تكشف الآية النقاب عن حقيقة أن الإنسان ينسى النعم عند المصائب، وتدعوه ليكون من الصابرين الشاكرين.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

.1قيمة الإسراع والمبادرة: الاستجابة الفورية لأمر الله.
.2قيمة التوكل وتفويض الأمر: لا تحمل هم النتائج، بل أخلص في العمل.
.3قيمة الشكر والصبر: الخروج من طبيعة الكفران إلى طبيعة الإيمان بالنعماء والضراء.
.4قيمة الأمانة في البلاغ: أن يكون الداعية ناصحًا أمينًا، لا مسيطرًا متجبرًا.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآيتين

.1البعد العقدي: اليقين بالبعث ويوم القيامة، والاستعداد له.
.2البعد الدعوي: رسم حدود الداعية ومسؤولياته، وتحريره من ضغط النتائج.
.3البعد النفسي: تحليل عميق لسيكولوجية الإنسان في الفرح والحزن.
.4البعد التربوي: تربية النفوس على الاستجابة السريعة، وعدم التسويف.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "الملجأ الوحيد": غرس اليقين بأنه لا حصن ولا ناصر ولا شفيع إلا الله، مما يدفع للتوكل الخالص.
· مفهوم "كفى بالبلاغ": أن الداعية إذا بلغ فقد أدى ما عليه، وهذا يمنحه سكينة نفسية عظيمة.
· مفهوم "سنة التقلب": الوعي بأن النفس تتقلب، فتكون مراقبتها ومعالجتها بالإيمان واجبًا دائمًا.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان مستجيب: إنسان لا يسوّف، حياته مرسومة بنداء "استجيبوا".
.2بناء مجتمع حر فكريًا: حيث يعرف الداعية حدوده فلا يتحول إلى مستبد، ويعرف المدعو حريته فلا يكون عبدًا لداعية.
.3بناء حضارة متوازنة: تجمع بين السعي في الدنيا والاستعداد للآخرة، وتعرف أن تقلب الأحوال سنة ، فتصبر وتشكر.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هاتين الآيتين في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة تحديد وقت الاستجابة: تتعلم ألا تؤجل. حدد في كل يوم "وقت الاستجابة"، وسارع فيه للتوبة والعمل الصالح.
· مهارة التفريق بين البلاغ والنتائج: تتعلم أن تحلل عملك الدعوي: هل بلغت بأمانة؟ إن كان نعم، فقد أديت ما عليك، فلا تبتئس بعدم الاستجابة.
· مهارة تحليل ردود أفعالك النفسية: عندما تصيبك نعمة، اختبر فرحك: هل هو فرح شكر أم بطر؟ وعندما تصيبك مصيبة، اختبر حزنك: هل هو صبر أم سخط؟

ثانياً: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "الآن وليس غدًا": احتفظ بمفكرة صغيرة، إذا ذكرت ذنبًا أو خطرت لك فكرة توبة، سجلها فورًا وحدد وقتًا للتنفيذ في نفس اليوم. "استجيبوا لربكم" منهج عملي.
· مهارة "إدارة الكوارث بالاستغفار": عند أي مصيبة، تطبيق عملي للقانون: "وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم". بدل أن تسأل: "لماذا حدث لي هذا؟"، اسأل: "ما الذنب الذي أستغفر منه الآن؟"
· مهارة "حلقات البلاغ": إذا كنت داعية أو مربيًا، ركز على جودة ما تبلغ، لا على عدد من يستجيب. بلغ بوضوح وحكمة وصدق، ثم ارفع يديك وقل: "اللهم اهد قومي".
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هاتين الآيتين في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نكون أمة مستجيبة، لا أمة مسوّفة. يريد من الدعاة أن يكونوا مبلغين أمناء، لا متسلطين جبابرة. يريد من كل إنسان أن يراقب قلبه عند النعماء والضراء، فيشكر عند الأولى ويستغفر عند الثانية.

كيف نعيشهما الآن؟

.1في عصر التسويف والتأجيل: العالم كله يقول لك: "استمتع الآن، وادفع الثمن لاحقًا" .الآية تقول: "استجب الآن قبل أن يأتي يوم لا تستطيع فيه دفع الثمن" .عش بهذه الأولوية.
.2في مجال التربية والدعوة: لا تقس نجاحك كأب أو داعية بعدد المستجيبين، بل بمقدار إخلاصك في البلاغ .هذا يحررك من الإحباط.
.3في مواجهة تقلبات الحياة: في زمن كورونا، في زمن الحروب، في زمن الأزمات الاقتصادية ... قلوب الناس تتقلب بين الخوف والرجاء المادي .كن أنت الثابت الذي يقول عند النعمة: الحمد لله، وعند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هاتان الآيتان هما ختام المسك في هذا المقطع العظيم من سورة الشورى. إنهما تلخصان الطريق: استجابة، وبلاغ، وصبر، وشكر. فاستجب لربك فورًا، ولا تؤجل، وبلغ عن الله ولا تبتئس، وكن عند النعماء شاكرًا، وعند الضراء صابرًا مستغفرًا. بهذا، تكتب لك النجاة، وتدخل في زمرة عباد الله الذين قال فيهم: ﴿وَالذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.
رابعا
أيها العبد المؤمن بقدرة الله وحكمته، والمتشوق لفهم سننه في خلقه وتدبيره، ها نحن نقف معًا على أعتاب آيتين كريمتين من سورة الشورى، تُجليان لك حقيقة الملك والتصرف المطلق لله في الكون، وتكشفان عن كمال حكمته في توزيع الأرزاق والنعم، وتزرعان في قلبك اليقين والرضا و التسليم. بعد أن أمر الله بالاستجابة، وبيّن مهمة الرسول، وطبيعة الإنسان المتقلبة، تأتي هاتان الآ يتان لتؤكدا أن الأمر كله بيد الله، وأنه الحكيم في عطائه ومنعه، العليم بمصالح عباده. إنهما الآيتان التاسعة والأربعون والخمسون:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى: 49)
﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: 50)

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما دستور الرضا والتسليم، ومرآة الحكمة الإلهية في العطاء و المنع. إنهما تجيبان عن الأسئلة التي تؤرق قلوب الكثيرين: لماذا رزقت البنات؟ لماذا حرمت الذرية؟

لماذا أعطيت ما لم يعط غيري؟ وتقدمان وصفة الشفاء من داء التسخط والاعتراض، باليقين بأن الله عليم قدير، يهب ما يشاء لمن يشاء بحكمة بالغة. دعنا نقف أمام هاتين الآيتين بقلب المتأمل المستسلم، ونستلهم منهما دروسًا تعيد صياغة نظرتنا للحياة.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1. إدراك حقيقة الملك الإلهي المطلق: أن نفهم بعمق أن الله هو المالك وحده، يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا معقب لحكمه.
2. استشعار الحكمة في توزيع الأرزاق: أن نوقن بأن هبة الذكور والإناث ومنع الذرية، كلها تقع وفق حكمة إلهية كاملة.
3. تطهير القلب من التسخط والاعتراض: أن نتعلم الرضا والتسليم لله في كل ما وهب ومنع.
4. التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نربي أنفسنا وأهلينا على الرضا، وكيف نواجه الحياة بثقة ويقين بعدل الله وحكمته.

تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.
**المحور الأول: دلالة قوله (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) وبيان الملك والتصرف المطلق

تبدأ الآية بتقرير العقيدة الأساسية: "لله ملك السموات والأرض". هي ملكية مطلقة، لا شريك له فيها، ولا معقب لحكمه. وبناءً على هذه الملكية المطلقة، يأتي حقه في التصرف المطلق: "يخلق ما يشاء". فله أن يخلق ما يشاء، وكيف يشاء، ولمن يشاء. ومن أعظم مظاهر هذا الخلق والتصرف: مسألة الولد والنسب، الذي تتعلق به قلوب البشر أشد التعلق.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· تقديم الجار والمجرور (لله): يفيد الاختصاص والحصر، فالملك كله لله وحده.
· لفظ (ملك): أبلغ من (مُلك) بضم الميم، لأنه يفيد التصرف والسلطان التام على كل شيء.
· "يخلق ما يشاء": جملة فعلية تفيد التجدد والاستمرار، فخلقه دائم لا ينقطع، و"ما" موصولة تفيد عموم كل شيء يمكن أن يوجد.
· عطف "يخلق ما يشاء" على "لله ملك السموات والأرض": لأن الملك يقتضي التصرف، والخلق أعظم أنواع التصرف.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: عندما تستقر هذه الحقيقة في قلبك، تشعر بالطمأنينة والسلام. أنت ومَن تحب وما تملك، كل ذلك ملك لله. لا تخف على شيء، لأن المالك الحقيقي هو الله، وهو أرحم بملكه منك.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك منذ الصغر أن كل ما في الكون ملك لله. إذا سألوك: "لمن هذه السماء ؟" فقل: "لله". "لمن هذا البيت؟" "لله، ونحن مستخلفون فيه". هذا يبني فيهم عقيدة صحيحة.
· الرسالة العملية: عندما تفقد شيئًا، قل: "لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى". هذا الذكر يربطك مباشرة بحقيقة الملك.
**المحور الثاني: دلالة قوله (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ) وبيان حكمة التخصيص في الهبات

بعد أن قرر سبحانه أنه يخلق ما يشاء، ضرب مثلا ً حيًا من حياة البشر يمس مشاعرهم: مسألة ا لأولاد. فقدم سبحانه هبة الإناث على هبة الذكور، وهذا سر بديع. في الجاهلية كانوا يكرهون البنات ويئدونهن، فجاء التقديم لإعلاء شأنهن، وتطييب النفوس بهن، وكسر لعادة الجاهلية. مثال تقريبي: كمريض يخاف من دواء، فيأتي الطبيب الحكيم ويشرح له فوائده بتفصيل، بل ويبدأ بذكر فوائده قبل الدواء الآخر، ليزيل الرهبة من قلبه. فالله يطمئن عباده بأن البنات هبة كريمة منه، بل بدأ بهن.

سر تخصيص المشيئة:
ربط الهبة بالمشيئة "لمن يشاء"، لا باستحقاق العبد ولا بعلمه ولا بقوته. فالولد ليس مرتبًا على رغبتك ولا قوتك، بل هو هبة محضة من الله. وكونه يهب هذا ذكورًا وهذا إناثًا، فهذا مقتضى حكمته وعلمه. مثال تقريبي: كمهندس معماري يبني بيوتًا، فيجعل لبيت شباكين، ولآخر ثلاثة، ولآخر لا شباك له، لا لتفضيل ولا لنقص، بل لأن كل بيت له تصميمه الخاص الذي يناسب موقعه ومناخه وسكانه. فالله يعلم ما يصلح لكل بيت، فيهب على قدر ذلك.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· تقديم "إناثًا" على "الذكور": اهتمام بشأنهن، ورد لاعتقاد الجاهلية.
· تكرار "يهب لمن يشاء": دلالة على أن الفعلين هبتان مستقلتان، يؤتيهما الله لمن تقتضي الحكمة إعطاءه إياهما.
· "يهب": إشارة إلى أن الولد عطية ونعمة، وليس ثمرة جهد بشري بحت.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إذا رزقت بنات، فاعلم أنها هبة خاصة من الله لك، لا تقل عن هبة الذكور. افتخر بهن، واحمدهن، واشكر الله أن بدأ بهن في الذكر. وإذا رزقت ذكورًا، فاشكر الله ولا تفتخر على غيرك، فالكل هبة.
· الرسالة التربوية: إذا كان لديك بنات، فلا تشعرهن أبدًا بالنقص. بل اروِ لهن أن الله قدمهن في الذكر. هذا يبني فيهن ثقة وعزة.
· الرسالة العملية: إذا تمنيت ولدًا، فاسأل الله أن يهبك، وقل: "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة". علق قلبك بالواهب لا بالموهوب.
**المحور الثالث: دلالة (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) وبيان سنة التزاوج

هذه حالة ثالثة: أن يجمع الله للعبد بين الذكور والإناث. "يزوجهم" أي يقرن لهم بين النوعين، فيجعل لهم من الذرية ذكورًا وإناثًا معًا. إنها نعمة الكمال والتنوع. مثال تقريبي: كحديقة جمعت الورود الحمراء والبيضاء، فاكتمل جمالها. فالبيت الذي فيه الجنسان أكثر حياة وسعادة وتكاملا ً.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "أو": للتقسيم والتنويع، فالحالات ثلاث.
· "يزوجهم": يوحي بالقران والجمع، وفيه إشارة لطيفة إلى أن اجتماعهما فضل زائد، كتزويج النعمة بالنعمة.
· تنكير "ذكرانًا وإناثًا": للدلالة على أن المقصود مطلق الجنس، لا عدد معين.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إذا جمعت بينهما، فأنت في نعمة مضاعفة، فاحمد الله حمدًا كثيرًا.
· الرسالة التربوية: ربّ الذكور والإناث على المودة والتراحم. اجعلهم يكمل بعضهم بعضًا، لا يتنافسون تنافسًا مذمومًا.
· الرسالة العملية: أكثر من شكر الله على هذه النعمة المركبة، فالشكر قيد للنعم.
**-المحور الرابع: دلالة (وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا) وبيان سنة المنع

الحالة الرابعة: الحرمان من الذرية. "ويجعل من يشاء عقيمًا" أي لا يلد ولا يولد له. وهنا لطيفة: قال في العطاء "يهب"، وفي الحرمان "يجعل". لأن الهبة فضل وعطاء، أما العقم فهو خلق وصفة وجبلة يخلقها الله في الإنسان للحكمة، فعبّر بـ "يجعل". مثال تقريبي: كمزارع يختار بعض الشجر ليظل بـ لا ثمر ليكون ظلا ً أو حطبًا، فلكل شيء وظيفته. فالمؤمن العقيم له وظيفة في الحياة قد لا تتحقق مع وجود الأولاد.

لماذا الحرمان حكمة؟
العلماء يقولون: لو علم الله أن الولد خير لك لأعطاك. فهو عليم بما يصلحك، قدير على إعطائك. فكونه لم يعطك، فذلك لعلمه أن الخير في المنع. مثال تقريبي: كطبيب يمنع مريضه عن نوع من الفاكهة، ليس بُخلا ً، بل لأنها تضر بحالته. فالله يمنع عنك ما يضر دينك أو دنياك.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "يجعل": بدل "يهب"، لأن العقم خلق وصفة، لا عطاء.
· "عقيمًا": صفة مشبهة، تفيد الثبوت واللزوم. وهذا هو الغالب، لكن قد يخرق الله العادة (كزكريا وامرأته).
· الترتيب: إناث فقط، ذكور فقط، الاثنان، لا أحد: ترتيب بديع من الأقل إلى الأكثر إلى الكمال، ثم العدم. فكأنه إشارة إلى أن الوجود والعدم كله بيده.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إذا كنت ممن لم يرزقوا الذرية، فلا تحزن ولا تقنط. أنت لست منسيًا ولا مغضوبًا عليك. بل أنت في حالة جعلها الله لك لحكمة. رباطة جأشك ويقينك بحكمة الله هو عبادتك في هذه الحالة.
· الرسالة التربوية: إذا رأيت عقيمًا، فلا تحتقره، ولا تنظر إليه نظرة شفقة جارحة. بل قل: "لعل الله جعله هكذا لحكمة".
· الرسالة العملية: استثمر حياتك ومالك فيما ينفع الأمة. فالكثير من العظماء كانوا بلا ذرية، لكنهم أنجبوا للأمة مشاريع خير خالدة.
**المحور الخامس: دلالة (إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) وخاتمة اليقين والطمأنينة

تختم الآيتان باسمين جليلين: "عليم" و"قدير". إنه عليم بمن يستحق الذكور، ومن يستحق الإناث، ومن يستحق الجمع، ومن الصالح له العقم. وهو قدير على كل ذلك. هذه الخاتمة تجيب عن أي اعتراض، وتغلق باب الوساوس. إنه عليم بعواقب الأمور، فلا تعترض. إنه قدير على إعطائك ما تريد ، فإن لم يعطك فلحكمة. مثال تقريبي: كمريض وثق بطبيبه ثقة مطلقة، فقال له الطبيب: "لن أعطيك هذا الدواء". لماذا؟ "لأنه يضرك". فسكت راضيًا، لعلمه أن الطبيب أعلم وهو يريد له الشفاء.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "إنه عليم قدير": تذييل مؤكد بـ "إن"، جمع بين العلم (التخطيط والحكمة) والقدرة (التنفيذ).
· تقديم "عليم" على "قدير": لأن العلم مقدم على القدرة في التدبير. فهو يعلم ما يصلح، ثم هو قادر على فعله.
· كسر الهيمنة النفسية للجاهلية: الجاهلية كانت تجعل العقم عارًا، والبنات عارًا. الآية تقول: لا، هذا خلق الله وعلمه وقدرته، فلا عار ولا منة لأحد.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: اجعل هذين الاسمين شعارك عند كل رزق ومنع: "الله عليم بي، قدير على عطائي". هذا يكسبك يقينًا يذيب القلق.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يسألوا "لماذا؟" اعتراضًا، بل "لماذا؟" تعلمًا. قل لهم: "الله عليم، فإذا منع شيئًا فلحكمة لا نعلمها".
· الرسالة العملية: في كل دعاء للرزق، اختتم باسميه "العليم القدير". قل: "اللهم ارزقني الذرية الصالحة بفضلك يا عليم يا قدير".
**المحور السادس: الربط بين الآيتين وبين السياق العام للسورة

هاتان الآيتان لم تأتيا منعزلتين، بل هما في صميم سياق السورة. السورة كلها تعالج قضية الوحي و التوحيد، وتبين أن الله هو المالك المتصرف. وها هي ذي الآية تؤكد أن له ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء، في التنزيل (الوحي) وفي الخلق (الذرية). وكما أن الله يصطفي من الملائكة رسلا ً ومن الناس، فكذلك يصطفي لمن يشاء الذكور ولمن يشاء الإناث. وكما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: 68). إنها وحدة موضوعية بديعة.

**المحاور الإضافية: دروس الآيتين في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

1. قضية الرزق والمنع: تعالج الآية أعقد قضايا الرزق (الذرية)، وتقدم نموذجًا للتعامل مع العطاء و المنع.

2. قضية النظرة للأنثى: تساهم الآية في بناء ثقافة جديدة تجاه الأنثى، لا على أنها نقص، بل نعمة مساوية للذكر.
3. قضية الرضا بالقضاء: تعالج مسألة التسخط على القضاء، وتدعو للرضا المطلق.
4. قضية التحرر من عبودية العادات: تكسر الآية العادات الجاهلية (وأشباهها) التي تجعل العقم أو إنجاب البنات عيبًا.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

1. قيمة التسليم لله: التسليم لمشيئته على كل حال.
2. قيمة الشكر: شكر الله على الذكور والإناث معًا.
3. قيمة الرضا: الرضا بالموجود، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين.
4. قيمة تكريم المرأة: من خلال البداية بالإناث وإظهارهن كمنة إلهية.
5. قيمة الأمل في قدرة الله: فحتى العقيم يمكن أن يرزق بفضل "القدير".

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآيتين

1. البعد العقدي: رسوخ عقيدة أن الله هو المالك المتصرف.
2. البعد النفسي: علاج نفسي عميق للقلق والإحباط والشعور بالنقص.
3. البعد الاجتماعي: إزالة الأحقاد والتفاضل بين الناس على أساس الذرية (ذكورًا أو إناثًا)، وبناء مجتمع متكافل بالمعنويات.
4. البعد التربوي: تربية النفوس على النظر إلى العطاء والمنع على أنهما من مشكاة واحدة هي مشكاة الحكمة.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "الهبة": أن كل ما نملكه هو هبة، فلا فضل لنا فيه.
· مفهوم "التصريف": أن الله يصرف الأمور لحكم قد تخفى علينا.
· مفهوم "العبودية": أن جوهر العبودية هو ألا يكون للعبد اختيار في مقابل اختيار الله.
· مفهوم "الكفاية": أن الله كافٍ، والعقم أو قلة الولد ليست نقصًا في الكفاية الإلهية.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

1. بناء إنسان راضٍ: لا يتسخط، ولا يعترض، ولا يحسد.
2. بناء مجتمع متوازن: لا تنشأ فيه عقد الذكورة والأنوثة، ولا النقص بسبب العقم.
3. بناء حضارة قائمة على الكرامة الإنسانية المطلقة: قيمة الإنسان ليست في جنس ولده ولا عددهم، بل في تقواه.
*المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هاتين الآيتين في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة قراءة المنع بنظرة إيجابية: تتعلم أن تسأل عندما تمر بمصيبة: "ما الخير الذي أراده الله لي بهذا المنع؟" لا "لماذا ظلمت؟".
· مهارة استخراج الحكم: تتعلم من هذه الآيات ألا تقف عند الأسباب الظاهرية، بل تنفذ بعقلك إلى قدرة الله المطلقة التي فوق الأسباب.
· مهارة تحليل مشاعرك: عندما تشعر بغيرة أو حسد، اسأل نفسك: "هل نسيت أن هذا رزق من الله؟ وهل أنا أعترض على حكمته؟"

ثانياً: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "دعاء الهبة": كلما رأيت طفلا ً جميلا ً أو أسرة سعيدة، أو تذكرت أمر الذرية، قل: "اللهم هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء". لا تجعل الحسد يتسرب.
· مهارة "مواساة الآخرين بالآية": إذا رأيت شخصًا محرومًا من الذرية، أو لديه بنات فقط، فذكره بحكمة أن هذا قسمة الله، وأن الله عليم قدير.
· مهارة "تغيير القناعات المجتمعية": كن أنت من يغير النظرة الدونية للإناث أو للعقم في محيطك. امدح البنات، وأثن على العقيم الذي أحسن عمله.

**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هاتين الآيتين في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعبده حق عبادته: عبادة الرضا والتسليم. يريدنا أن نوقن أنه عليم بنا، قدير على سعادتنا. يريدنا أن نطهر قلوبنا من أي تعلق جاهلي بقيمة المرء القائمة على ذريته. يريدنا أن نرى النعمة في كل حال، وأن يكون فرحنا بالله أكبر من فرحنا بأي عطاء.

كيف نعيشهما الآن؟

1. في عصر المظاهر والتفاخر بالأبناء: يمتن الناس على بعضهم بأولادهم، وتتحول الأسرة إلى ميدان سباق. الآية تقول لك: لا، إنهم هبة، فعلام الفخر؟! قل: "هذا فضل ربي".
2. في عصر تأخر الإنجاب والمشاكل الأسرية: الأزواج الذين يتأخر إنجابهم في ضغط نفسي رهيب. الآية تربت على قلوبهم: "أنتم في جعل الله، وهو عليم قدير". هذا الدواء الإيماني هو خير من ألف جلسة طبية نفسية بلا إيمان.
3. في تربية الأبناء على القيم لا الجنس: رب أبناءك -ذكورًا وإناثًا- على التقوى والعمل الصالح، لا على التعالي. قل لابنك: "أنت مكرم لأن الله أكرمك، لا لأنك ذكر". وقل لابنتك: "أنت مكرمة لأن الله أكرمك، وقد بدأ بك في آيته".

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هاتان الآيتان هما ميثاق الرضا والتسليم. إنهما تعلمانك أن الله مالك كل شيء ، يهب ما يشاء لمن يشاء. لا تحزن على ما فات، ولا تفرح فرح بطر بما أتى. بل كن عبدًا شاكرًا في النعماء، صابرًا في الضراء، راضيًا في كل الأحوال. تذكر دائمًا خاتمة الآية: "إنه عليم قدير". إذا أيقنتَ بعلمه، سكنت نفسك. وإذا أيقنت بقدرته، قوي رجاؤك. فاستسلم لله، وارضَ بحكمته، تكن أسعد الناس.

خامسا

أيها العبد المتشوق للقاء ربه، المتطلع لفهم كماله وجلاله، ها نحن نقف معًا على أعتاب آية كريمة عظيمة من سورة الشورى، تُجلي لك الحجب عن سرٍّ من أعظم أسرار العلاقة بين الحق والخلق، وتكشف عن رحمة الله بعباده إذ جعل بينهم وبينه سُبُلا ً للكلام والوحي، وتُقيم في قلبك الحجّة على صدق الرسالة ونبل المقام. بعد أن بيّن سبحانه وتعالى أنه المالك المتصرف، وأنه العليم القدير، يختم هذا المقطع ببيان كيف يصطفي ويوحي، ليكون ذلك توطئة لما سيأتي من أمر الوحي إلى النبي ﷺ في الآيات التالية. إنها الآية الحادية والخمسون:

﴿وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أن يُكلِمَهُ اللهُ إلّا وَحْيًا أوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إنّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشورى:(51)

إن هذه الآية، أيها القارئ الكريم، هي ميثاق النبوة، ودستور التلقي، ومرآة العظمة والرحمة. إنها تجيب عن السؤال المصيري: كيف يكلم الله البشر؟ وما هي طرق الوحي؟ وتُعلي من شأن المُوحى إليه، وتُعظّم من شأن المُوحَى به. دعنا نقف أمام هذه الآية بقلب المتأمل الخاشع، ونستلهم منها دروسًا تُعزز يقيننا بوحينا، وتُهذب سلوكنا مع ربنا.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1. فهم مراتب الوحي وطرقه: أن ندرك بعمق الطرق الثلاث التي اصطفاها الله لتكليم البشر، ونعرف الفروق الدقيقة بينها.
2. استشعار عظمة الله وعلوه: أن نعي أن الله "عليٌّ" لا يُكلم البشر مواجهة كالبشر، وأن الوحي عبر هذه الطرق هو من تمام حكمته وعلوه.
3. ترسيخ قيمة الوحي والرسالة: أن نزداد يقينًا بأن ما جاء به النبي ﷺ هو كلام الله حقًا، أوحى به بإحدى هذه الطرق.
4. التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم الأدب مع كلام الله، والنظر إليه على أنه أشرف كلام وأعلاه، لأنه صادر عن العلي الحكيم.

تحليل الآية وتفصيل دلالاتها

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هذه الآية العظيمة، ونتأمل في أسرارها، محورًا تلو الآخر.

المحور الأول: دلالة قوله (وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أن يُكلِمَهُ اللهُ إلّا وَحْيًا أوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) وبيان مراتب الوحي الثلاث

تبدأ الآية بتقرير قاعدة كلية: "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا..." أي ليس من شأن البشر، ولا هو في مقدورهم أو حقهم، أن يكلمهم الله مباشرة مواجهة ورؤية، كما يكلم الناس بعضهم بعضًا. لأن البشرية لا تطيق ذلك، ولأن العزة الإلهية تقتضي ذلك. ولكن الله، برحمته، جعل لتكليمهم ثلاث طرق محددة، ذكرها سبحانه مرتبة.

المرتبة الأولى: الوحي مباشرة (وحيًا):
الوحي هنا هو الإعلام الخفي السريع. وهو أن يُلقي الله في قلب النبي أمرًا أو خبرًا يوقن معه أنه من الله. إنه لا صوت ولا حرف ولا رؤية، بل إلقاء في الروع والقلب، كما قال النبي ﷺ: "إنّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعي". هذا النوع هو أسرع وأخفى أنواع الوحي، وأشبه بالإلهام الجازم. مثال تقريبي: كما يخطر ببالك خاطر مفاجئ قوي، تشعر أنه يقين، لكن الفرق أن وحي الأنبياء معصوم من الشيطان ومنزه عن الخطأ. والله تعالى أسند "يوحي" هنا إلى نفسه دون واسطة.

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب:
وهو أن يكلم الله النبي من غير أن يراه، فيسمع كلام الله بلا واسطة ملك، ولكن من خلف حجاب يمنع الرؤية. وهذا أشهر مثال له: تكليم الله لموسى عليه السلام، الذي قال الله فيه: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تكلِيمًا﴾ (النساء: 164). فموسى سمع كلام الله حقيقة، ولكن لم يره. وهذا مقام عظيم جدًا، حتى أن موسى لقب بـ "كليم الله". مثال تقريبي: كأن تسمع صوت شخص من خلف ستار، تعرف أنه هو، وتتيقن من صوته، لكنك لا تراه. الفرق أن هنا المتكلم هو الله، والعظمة والجلال لا يُطاق معها رؤية.

المرتبة الثالثة: إرسال ملك رسولا:
وهو أن يرسل الله ملكًا من الملائكة، غالبًا هو جبريل عليه السلام، فيبلغ النبي رسالة الله. الملك هنا يرى النبي ويُسمعه، والنبي يرى الملك ويسمع منه الكلام. وقد يتمثل الملك بشرًا، وقد يأتي على صورته الملائكية. وهذا هو النوع الأغلب في وحي القرآن للنبي ﷺ. مثال تقريبي: كملك يرسل سفيره إلى والٍ من ولاته، فالسفير ينقل رسالة الملك بأمانة.

اللمسات البيانية والبلاغية في ترتيب المراتب:
ترتيب هذه المراتب الثلاث يحتمل تدرجًا من الأعلى إلى الأدنى، أو من الأقوى إلى ما دونه.

· "وحيًا": إلقاء مباشر من الله في قلب النبي) أقوى الخفاء وأشده اتصالا ً.(
· "من وراء حجاب": تكليم مباشر لكن مع الحجاب) فيه إسماع دون إراءة.(
· "يرسل رسولا ً": واسطة ملكية) رؤية وإسماع عبر الرسول الملكي.(
الترتيب هنا من الأشرف إلى ما دونه في شرف الواسطة، أو من الخفي إلى الظاهر .وهذا من دقة النظم القرآني.

اللمسات التفصيلية:

· "أن يُكلِمَهُ اللهُ": إسناد التكليم إلى الله مباشرة، تشريف للنبي، وفيه رد على من قال إن القرآن من ك لام جبريل أو محمد .لا، بل الله هو المكلم.
· "إلا": حصر، أي لا طريق إلا هذه الطرق الثلاث .فانقطعت الوساوس والخرافات التي تدعي رؤية الله في الدنيا أو مكالمته مباشرة بلا واسطة.
· "يُرْسِلَ رَسُولًا": الرسول هنا هو الملك، والتنكير للتعظيم، أي رسولا ً كريمًا عظيمًا.
· "فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ": عاد فعل "يوحي" مرة أخرى، ليكون الموحي في النهاية هو الله .فالملك لا يوحي من عنده، بل "بإذنه"، و"ما يشاء" أي ما يشاء الله، لا ما يشاء الملك .وهذا تأكيد أن المصدر واحد.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تملأ قلبك مهابة للقرآن .فالذي تقرؤه ليس كلام بشر، بل هو نتيجة لهذا التكليم الإلهي العظيم .استشعر عظمة المصدر، فيعظم حبك للكتاب.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن الله لا يراه أحد في الدنيا، ولكنه كلم أنبياءه بهذه الطرق .هذا يبني فيهم تصورًا صحيحًا عن الله، بعيدًا عن التشبيه والتجسيم.

· الرسالة العملية: عندما تمسك المصحف، تذكر أن هذا ثمرة الوحي .اقرأ باستحضار أن الله هو الذي تكلم بهذا الكلام بإحدى هذه الطرق.
**المحور الثاني: دلالة (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) وخاتمة العظمة والتدبير

تختم الآية باسمين جليلين: "علي" و"حكيم". هذه الخاتمة هي علة الحكم المذكور في الآية كلها. لماذا جعل الله طرق التكليم هكذا؟ لأنه "علي" و"حكيم".

· "علي": أي عال بذاته وقهره وقدره، متعاظم عن أن يكلم البشر كفاحًا ومواجهة .فعلوه سبحانه يمنع أن يخاطب الخلق مباشرة كما يخاطب بعضهم بعضًا، لأن هذا من صفات المخلوقات .فهو أعلى وأجل.
· "حكيم": أي يضع الأمور في مواضعها اللائقة .فحكمته اقتضت أن يجعل التكليم على هذه الصور، لأ ن الحكمة تقتضي ألا يرى البشر ربهم في الدنيا، بل يجعل بينهم وبينه سفارة ووسائط، أو حجابًا . فحكمته في تدبير الخلق والوحي.

الربط بين الاسمين:
انظر كيف أن اسم "العلي" يناسب الترفع عن المباشرة، واسم "الحكيم" يناسب وضع كل نوع من أنواع الوحي في موطنه. فموسى كلمه من وراء حجاب لحكمة، ومحمد أرسل إليه جبريل لحكمة، والإ لهام في الروع لحكمة. مثال تقريبي: كمهندس عظيم القدر، بعيد في برجه الشاهق، لكنه حكيم، فيضع نظام اتصالات دقيقًا مع العاملين في الميدان: مرة برسالة مكتوبة، ومرة بمكالمة صوتية، ومرة بإشارة لاسلكية. كل ذلك لأنه عليّ عن النزول، وحكيم في التدبير.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "إنه علي حكيم": تذييل مؤكد ب- "إن" .وهو تعليل ضمني.
· تقديم "علي" على "حكيم": لأن العظمة والعلو هي المبدأ الأول، ثم تأتي الحكمة في التفاصيل .ف النظام كله مبني على أن الله أعظم من أن يخالطه الخلق، وحكمته اقتضت هذه الوسائط.
· التوافق مع خواتم السورة: غالبًا ما تختم مقاطع السورة بأسماء الله الحسنى المناسبة، فهنا ختمت ب- "علي حكيم" لتتناسب مع تعاليه عن المباشرة، وحكمته في طرق الوحي.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا يجعلك تحب الله وتخافه .تحبه لأنه حكيم، فتثق باختياره .وتخافه لأنه عليّ، فتتأدب في حضرته .لا تعترض على شرعه، فالمشرّع علي حكيم.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يسألوا عن الحكمة دائمًا .قل لهم: "الله عليّ فلا نطلب رؤيته الآن، ولكنه حكيم فجعل لنا القرآن نورًا وهدى".
· الرسالة العملية: إذا استشكل عليك أمر من أمور الدين، فقل: "الله حكيم، وقد شرعه لعلمه" .وإذا غلبتك عظمة الله، فقل: "سبحان ربي العلي".
**المحور الثالث: الربط بين الآية وبين السياق السابق واللاحق

هذه الآية هي خاتمة بديعة للمقطع الذي بدأ بصفات أهل الجنة (36-43)، ومر على مصير أهل النار (44-46)، وأمر بالاستجابة (47-48)، وبيّن ملك الله وتصرفه (49-50). وها هو ذا الآن يختم ببيان مصدر هذا الأمر كله: الوحي. فكأن السورة تقول: كل ما سبق من وصف للجنة والنار، وكل أمر بالا ستجابة، مصدره "الوحي" من الله "العلي الحكيم".

كما أن الآية تمهد للآيات التالية مباشرة (52-53)، والتي تخاطب النبي ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾. فهذا ربط محكم، وكأنه يقول: وكما أوحينا إلى الرسل قبلك بطرق الوحي الثلاث هذه، فكذلك أوحينا إليك هذا القرآن. إنه سلسلة متصلة من التكريم والاصطفاء.
***المحاور الإضافية: دروس الآية في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآية

.1قضية مصدرية الوحي: كيف نثق بأن القرآن كلام الله؟ الآية ترسخ أن مصدره تكليم إلهي مباشر أو بواسطة.
.2قضية تنزيه الله: تعالج قضية عقائدية خطيرة، وهي استحالة رؤية الله في الدنيا، وعلوه عن مشابهة الخلق.
.3قضية النبوة وخصوصيتها: تبين أن النبوة ليست مكتسبة، بل هي اصطفاء إلهي بتكليم خاص.

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآية

.1قيمة التوقير لله: احترام علو الله، فلا يطلب ما هو مستحيل.
.2قيمة اليقين بالوحي: الثقة المطلقة بأن القرآن والسنة وحي من الله.
.3قيمة الأدب في التلقي: قبول خبر الوحي على أنه أعلى أنواع المعرفة، وأشرف طرق التكليم.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآية

.1البعد العقدي: ترسيخ تنزيه الله وعلوه، وإثبات صفة الكلام له، وبيان طرق وحييه.
.2البعد المعرفي: تصنيف العلم إلى علم مكتسب، وعلم موحى به، وهذا الأخير هو الذروة.
.3البعد التربوي: تعليم الإنسان التواضع، فأشرف البشر) الأنبياء (لم يكلمهم الله مباشرة، فكيف يتكبر غيره؟

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

· مفهوم "حجاب العزة": اليقين بأن الله أعظم من أن يُرى، وهذا الحجاب رحمة بالبشر.
· مفهوم "شرف الوحي": أن العلم الوهابي هو منحة لا كسبية، وهو أعلى أنواع المعرفة الإنسانية.
· مفهوم "التسليم للحكمة": التسليم بأن اختيار الله لطرق التكليم هو منتهى الحكمة.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان ذي مرجعية ربانية: حياته منضبطة بوحي قاطع.
.2بناء مجتمع موقن: لا تهزه الشبهات، لأنه يعرف كيف وصل إليه كلام الله.
.3بناء حضارة العلم النافع: تمزج بين الوحي والعقل، وتجعل الوحي في القمة.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هذه الآية في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة تصنيف الوحي: تتعلم أن تميز بين أنواع الوحي المذكورة في الآية، وتستحضر أنها جمعت لك في القرآن.
· مهارة استحضار العظمة عند التلاوة: عندما تقرأ القرآن، استحضر أنك تقرأ كلام من هو "علي حكيم" .هذا يغير طعم التلاوة تمامًا.
· مهارة الرد على الشبهات: إذا قال قائل: "هل القرآن كلام الله حقًا؟" استدل بهذه الآية لترد: "نعم، هو كلام الله أوحاه بإحدى هذه الطرق".

ثانياً: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "توقير المصحف": إذا حملت المصحف، تعامل معه على أنه نتيجة ذلك التكليم الإلهي .لا تمسه إلا على طهارة، ولا تضعه تحت شيء، ولا تهمله .إنها مهارة الأدب العملي مع المقدس.
· مهارة "التأمل في الحكمة": كل يوم، اقرأ آية وتأمل: لماذا قال الله هذا هنا؟ "علي حكيم" تعلمك أن تبحث عن الحكمة في كل أمر.
· مهارة "الرجوع إلى الأصل": إذا التبست عليك الأمور، ارجع إلى الوحي مباشرة .لا تكتفِ بكلام الناس وشروحاتهم قبل أن تقرأ كلام العلي الحكيم.
**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هذه الآية في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نؤمن بوحيه، ونوقن بصدق رسوله. يريدنا أن نستشعر عظمته وعلوه، فلا نخوض في ذاته بما لا يليق. يريدنا أن نثق بحكمته ونستسلم لها.

كيف نعيشها الآن؟

.1في عصر المعلومات المضطربة: العالم مليء بالآراء والشائعات .هذه الآية تعيدك إلى المصدر الوحيد الموثوق: كلام الله .تمسك به.
.2في مواجهة الأفكار الإلحادية التي تستبعد فكرة الوحي: الآية ترد على من يستغرب أن الله يكلم البشر .رد عليهم: "الله علي حكيم، اختار من الحكمة أن يكلمهم كما يشاء".
.3في حياتنا الروحية: اجعل تلاوة القرآن يوميًا هي لحظة اتصالك الروحي بالله .استشعر أنك تتلقى عن "علي حكيم"، فتسمو روحك.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه الآية هي بابك إلى فقه الوحي وفقه العظمة. إنها تفتح لك مغاليق القلب لتستقبل كلام الله على أنه أشرف ما وصل إلى الأرض، وأعلى ما سمعته أذن، وأجل ما وعاه قلب. عش مع هذه الآية، وردد دائمًا: "اللهم إني أسألك بأنك العلي الحكيم، أن تجعلني من أهل القرآن، الذين يتلونه حق تلاوته، ويتدبرونه حق تدبره، ويؤمنون بمحكمه ومتشابهه".

سادسا

أيها العبد المتلمس طريق الهداية، والمشتاق لمعرفة سر الوحي وعظمته، ها نحن نقف معًا على أعتاب خاتمة مباركة من سورة الشورى، تتَوّج كل ما مضى من آيات، وتجمع أشتات المعاني في مشهد ختامي بديع، يكشف لك عن حقيقة الوحي وثمرته، وعن الطريق الذي ارتضاه الله لعباده. بعد أن بين الله ملكه، وحكمته في الوحي، يأتي هذا المقطع ليخص نبيه ﷺ بالخطاب، ويبين له عظمة ما أوحي إليه، ويهدئ من روعه، ويرسم الطريق الذي يدعو إليه. إنهما الآيتان الثانية والخمسون والثالثة و الخمسون:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾) الشورى:(٥٢
﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾) الشورى:(٥٣

إن هاتين الآيتين، أيها القارئ الكريم، هما ختام المسك لهذه السورة العظيمة. إنهما تجيبان عن السؤال: لماذا الوحي؟ وما هو جوهره؟ وإلى أين يهدي؟ وتكشفان عن عظمة هذا القرآن الذي بين أيدينا، وتربطان أواخر السورة بأوائلها في تناسق معجز. دعنا نقف أمام هاتين الآيتين وقفة المتأمل المودّع للسورة، المستلهم لهداياتها.

مقاصد هذه الرحلة وأهدافها

في هذه الوقفة الإيمانية المتأنية، اسمح لي أن آخذ بيد عقلك وقلبك لنصل معًا إلى:

1.إدراك حقيقة الوحي وكنهه: أن نفهم أن القرآن "روح" يحيا به القلوب، و"نور" تهدي به العقول.
2.فهم وظيفة النبي ﷺ ورسالته: أن نتيقن من أن وظيفته الهداية إلى صراط الله المستقيم.
3.استشعار عظمة الصراط المستقيم: أن نعي أنه صراط الله الذي له ملك كل شيء، وإليه المرجع و المآب.
4.التطبيق العملي في حياتنا: أن نتعلم كيف نستلهم من القرآن روحًا ونورًا، وكيف نسير على الصراط المستقيم.
تحليل الآيتين وتفصيل دلالاتهما

والآن، هيا بنا نفتح أبواب هاتين الآيتين العظيمتين، ونتأمل في أسرارهما، محورًا تلو الآخر.
**المحور الأول: دلالة قوله (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) وبيان حقيقة الوحي وصفاته

تبدأ الآية بالعطف على ما سبق: "وكذلك"، أي ومثل ذلك الإيحاء العظيم الذي ذكرت طرقه في الآية السابقة، أوحينا إليك هذا القرآن. فالتشبيه هنا تشبيه للفعل (الإيحاء) وليس للموحى به، لبيان عظمة المناسبة. فالله يخبر نبيه أن الوحي الذي نزل به جبريل هو من جنس التكليم الإلهي العظيم الذي اختص به أنبياءه.

الروح (ولماذا سمي القرآن روحًا؟):
سمّى الله القرآن هنا "روحًا"، وهو اسم جامع لمعانٍ عظيمة:

· الروح التي تحيا بها القلوب: فالقلب الميت بالغفلة والجهل، إذا نزل عليه القرآن دبّت فيه الحياة . كما أن الجسد بلا روح ميت، فالقلب بلا قرآن ميت .مثال تقريبي: كمزرعة جافة هامدة، فإذا نزل عليها الغيث انقلبت حية تهتز وتربو .فالقرآن غيث القلوب.
· الروح من أمر الله: أي أنه من عنده ووحيه وقضائه، لا دخل لبشر فيه .وهذا تأكيد على أنه ليس من كلام محمد ﷺ، بل هو من "أمرنا".
· وقيل: الروح هو جبريل: والقرآن نزل به، فأطلق عليه اسم حامله.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "وكذلك": إشارة إلى عظمة ما سبق ذكره في طرق الوحي .والمعنى: مثل هذا الإيحاء العظيم الجليل أوحينا إليك هذا القرآن.
· "روحًا": تنكير للتفخيم، فهو روح عظيم الشأن.
· "من أمرنا": بيان لمصدره، وهو الأمر الإلهي .والتنكير هنا للتعظيم، فهو أمر عظيم.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: عندما تشعر بقسوة القلب أو ضيق الصدر، تذكر أن القرآن روح .اقرأه لتنتعش روحك .إنها وصفة ربانية.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن القرآن ليس مجرد كتاب، بل هو روح وحياة .قل لهم: "إذا شعرت بـ الحزن أو الخوف، اقرأ القرآن، فهو كالروح للجسد".
· الرسالة العملية: خصص وردًا يوميًا من القرآن، واستشعر أنك تتلقى روحًا من أمر الله.
**المحور الثاني: دلالة قوله (مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) وبيان عظمة الامتنان

هذه الجملة فيها امتنان على النبي ﷺ، وفيها حجة على المشركين.

· "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان": أي قبل الوحي، لم تكن تعلم ما هذا القرآن، ولا تفاصيل الإ يمان وشرائعه وأركانه .كنت أميًا، لا تقرأ ولا تكتب، ولا تعرف شيئًا من هذه الحقائق .مثال تقريبي: كمولود خرج إلى الدنيا لا يعلم شيئًا، فزوده الله بالحواس والعقل، فتعلم وعرف .وكذلك النبي ﷺ، زوده الله بالوحي، فصار أعلم الناس.
· "ولكن جعلناه نورًا": الضمير يعود على الكتاب) القرآن (أو على الوحي .فالله جعل هذا الكتاب نورًا . والنور يضيء الطريق، ويكشف الظلمات، ويهدي الحائرين .فهو هداية وعلم وإيمان.
· "نهدي به من نشاء من عبادنا": جملة تبين وظيفة القرآن .الله هو الهادي، والقرآن هو وسيلة الهداية . "من نشاء" أي من تعلقت مشيئتنا بهدايته ممن نعلم استعداده للهداية.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "ما كنت تدري": نفي قاطع لعلم النبي ﷺ السابق، وهذا دليل على أن القرآن وحي.
· "ما الكتاب ولا الإيمان": عطف خاص على عام، فالكتاب هو الوحي، والإيمان هو ثمرته.
· "نورًا": نكرة للتعظيم، فهو نور عظيم.
· "نهدي به": أضاف الهداية إليه، فالقرآن سبب والله هو الهادي.
· ربط النور بالمشيئة: "نهدي به من نشاء"، فليس كل أحد يهتدي بالقرآن، بل من شاء الله هدايته.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تشعرك بفضل الله عليك إذ هداك .لستَ مهتديًا بذكائك، بل بنور الله . اشكره على هذه النعمة العظمى.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يطلبوا الهداية من الله .قل لهم: "لا تقولوا: أنا ذكي وسأفهم .بل قولوا: اللهم اهدني بنورك".
· الرسالة العملية: إذا أردت أن تكون ممن يهديهم الله، فاقبل على القرآن بصدق .فهو النور، وطالب النور لا يبقى في الظلام.
**المحور الثالث: دلالة قوله (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وبيان مهمة النبي وثمرة الوحي

بعد أن بين أن الله هو الهادي، أثبت هنا أن النبي ﷺ هادٍ بإذن الله. "وإنك لتهدي" أي لتدعو وترشد وتدل. فالهداية هنا هداية دلالة وإرشاد، لا هداية توفيق وخلق. فالله هو الذي يهدي القلوب، والنبي هو الذي يهدي الطريق. مثال تقريبي: كمهندس يبني طريقًا مستقيمًا، والمسافر هو الذي يسير فيه. فـ النبي ﷺ هو الذي بنى الطريق (بإذن الله)، والناس هم من يسيرون.

الصراط المستقيم:
"صراط" لغة هو الطريق الواسع السهل. وهو هنا الإسلام: طريق العبودية لله. وهو مستقيم لا اعوجاج فيه، موصل إلى رضا الله وجنته. وهذا الصراط يوصف في الآية التالية.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "وإنك": "إن" للتوكيد، و"اللام" في "لتهدي" لام التوكيد .فالمعنى مؤكد بثقلتين.

· "لتهدي": فعل مضارع للدلالة على استمرار هدايته ﷺ وديمومتها للأمة إلى يوم القيامة.
· "إلى صراط": "إلى" تفيد الغاية، فالغاية هي الصراط.
· "مستقيم": صفة مشبهة، تفيد الثبوت والاستمرار .فالصراط مستقيم في ذاته، لا يتغير باستقامة السالكين.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذه الآية تمنحك يقينًا بأن الطريق واضح .لستَ في متاهة، بل على صراط .اسأل نفسك: هل أنا عليه؟
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن هناك طريقًا واحدًا إلى الله، هو صراط النبي ﷺ .قل لهم: "اتبعوا النبي تصلوا".
· الرسالة العملية: ادرس سيرة النبي ﷺ، واعرف كيف كان يعبد ربه، واتبعه .فهذا هو الصراط.
***المحور الرابع: دلالة قوله (صِرَاطِ اللهِ الذي لهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) وبيان وصف الصراط ومآل الأمور

هذه الآية هي تعريف ووصف لذلك الصراط المستقيم الذي يهدي إليه النبي ﷺ، وهي خاتمة السورة الكريمة.

صراط الله:
الطريق الذي شرعه الله لعباده وارتضاه. فأضافه إلى اسم الجلالة "الله" لبيان شرفه وعظمته، فهو ليس طريق بشر ولا مذهب فيلسوف.

الذي له ما في السموات وما في الأرض:
هذه الصلة (الذي له...) فيها تعظيم لله، فالذي يهدي إلى هذا الصراط هو مالك كل شيء. فكيف يضل من سار على صراط المالك؟! إنها حجة قاطعة على أن طريقه هو الحق، لأنه المالك، وغيره لا يملك شيئًا. وهذا ربط مباشر بأول السورة وآخرها: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في مواضع متعددة من السورة. فالسورة كلها تدور حول هذا المعنى.

ألا إلى الله تصير الأمور:
خاتمة عظيمة بـ "ألا" التي هي حرف تنبيه واستفتاح، ليجمع القلب ويعي. "إلى الله تصير الأمور" أي ترجع وتؤول. كل شيء في السماوات والأرض، كل خلق، كل أمر، كل حي، كل ميت، مصيره إلى الله. مثال تقريبي: كأنهار كلها تصب في بحر واحد. فكل أمورنا وأعمالنا وخلافاتنا وطاعاتنا ومعاصينا، تصب في النهاية إلى الله. فاحذر أن تلقاه بما يسوءك. وهذا وعيد للظالمين، ووعد للمتقين.

اللمسات البيانية والبلاغية:

· "صراط الله": إضافة تشريف للطريق، فهو صراط عظيم.
· "الذي له ما في السماوات وما في الأرض": صلة تفيد المدح والتعليل، فهو أحق أن يُتّبع صراطه لأنه المالك.
· "ألا": للتنبيه، كأنه يقول: "انتبهوا! هذه هي الحقيقة الكبرى".
· "إلى الله تصير الأمور": تقديم الجار والمجرور لإفادة الاختصاص، فإليه وحده لا إلى غيره.
· "تصير": مضارع يفيد الاستمرار، فكل يوم بل كل لحظة، الأمور تسير وتؤول إلى الله.
· ختام السورة باسم "الله" الأعظم: ختمت السورة باسم الجلالة في جملة "إلى الله تصير الأمور"، وهو المناسب للتوحيد الذي هو جوهر السورة.

الرسائل النفسية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: هذا الختام يملأ قلبك سكينة) لأنك تعرف مالك الأمور (ورهبة) لأنك ستصير إليه .(فيجتمع فيك الخوف والرجاء.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن كل أعمالهم سترجع إلى الله .هذا يغرس فيهم المسؤولية الأخلاقية . قل لهم: "انظر ماذا ستصيّر إلى الله".
· الرسالة العملية: قبل أن تعمل أي عمل، اسأل نفسك: "هذا الأمر صائر إلى الله، فكيف سألقاه به؟".
**المحور الخامس: دلالة اختتام السورة بهاتين الآيتين (ختام يتناسق مع كل ما سبق)

تأمل معي روعة هذا الاختتام، وكيف أن هاتين الآيتين هما الخلاصة المركزة لكل ما سبق في السورة:

أولا ً: العودة إلى موضوع الوحي (الذي بدأت به السورة):
السورة بدأت بـ ﴿حم (1) عسق (2) كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الشورى: 1-3). وفي الختام: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾. فعاد الكلام إلى بدايته: الوحي. لكن بعد أن تشبع القلب بصفات أهل الجنة والنار، ولطائف الاستجابة والملك، يأتي هذا الختام ليخبرك أن هذا كله هو من ذلك الوحي.

ثانياً: التذكير بالغرض من الوحي (الهداية إلى الصراط):
السورة كلها صراع بين التوحيد والشرك، بين الاستجابة والإعراض. وفي النهاية، تخبرك أن هذا الوحي ليس للجدل، بل هو نور وهداية إلى صراط الله. فكانت خاتمة جامعة مانعة.

ثالثاً: ربط بدايات السورة ونهاياتها (الوحدة الموضوعية):

البداية (أوائل السورة) النهاية (أواخر السورة) وجه الارتباط
﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ الوحي ومصدره.
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملك الله للكون.
﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ + ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أسماء الله الحسنى وعزته.
﴿تَنزِيلٌ مِّنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الوحي روح ونور. بيان طبيعة التنزيل وثمرته.

رابعاً: بيان ثمرة الاستجابة وعاقبة الإعراض:
بعد أن عرضت السورة نموذجي المؤمن المتوكل والكافر الظالم، تأتي الخاتمة لتلخص: إن اهتديت فعلى صراط الله، وإن ضللت فإلى الله تصير الأمور.

خامساً: خطاب الطمأنة للرسول ﷺ:
السورة بدأت بتسلية النبي وتثبيته: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وفيه إشارة إلى ضيق صدره. وختمت ببيان علو مهمته وارتباطها بإرادة الله: "وإنك لتهدي" وهي رسالة طمأنة للنبي ﷺ ولكل داعية: استمر، فأنت على الحق.
**المحاور الإضافية: دروس الآيتين في بناء الإنسان

المحور الأول: القضايا الكبرى التي تعالجها الآيتان

1. قضية الهداية والضلال: تفصل الآية بين هداية التوفيق) من الله (وهداية الدلالة) من النبي ﷺ.(
2. قضية مصدرية المعرفة: القرآن روح ونور، وليس فلسفة بشرية.
3. قضية المصير: "إلى الله تصير الأمور"، وهي قاعدة الوجود الكبرى.
4. قضية الإيمان كعطاء إلهي: الإيمان لم يكن مكتسبًا للنبي ﷺ قبل الوحي، فكيف لغيره؟

المحور الثاني: القيم والمبادئ التي تتضمنها الآيتان

1. قيمة القرآن: أنه الروح والنور.
2. قيمة الهداية: أنها أعظم النعم.
3. قيمة التواضع: معرفة أن العلم من الله.
4. قيمة المراقبة: تذكر أن الأمور تصير إلى الله.

المحور الثالث: أبعاد وآفاق هذه الآيتين

1. البعد العقدي: ترسيخ الإيمان بالوحي، والبعث، وملك الله.
2. البعد النفسي: معالجة القلق والضياع، فالصراط المستقيم واضح.
3. البعد التربوي: بناء إنسان متصل بالله، عالم بأنه مستخلف ومسؤول.
4. البعد الكوني: ربط حركة الوجود كله بالرجوع إلى الله.

المحور الرابع: أهم المفاهيم الفكرية والنفسية والتربوية

- مفهوم "الروح": القرآن ليس حروفًا فقط، بل هو حياة.
- مفهوم "النور": الكشف عن حقائق الوجود.
- مفهوم "الصراط": وحدة الطريق، فلا صراط إلا واحد.
- مفهوم "الصيرورة إلى الله": المسؤولية المطلقة.

المحور الخامس: دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء إنسان حي الروح: لا مجرد آلة مادية.
.2بناء مجتمع متحد: على صراط واحد، لا أهواء متفرقة.
.3بناء حضارة مسؤولة: تعلم أنها إلى الله تصير، فتحسن العمل.
**المحور السادس: ما الذي نتعلمه من هاتين الآيتين في حياتنا العملية؟ (مهارات معرفية وعملية)

أولا ً: مهارات معرفية وفكرية:

· مهارة تذوق الكلام الإلهي: تعلم كيف ترى القرآن ليس كنص مقروء، بل كروح ونور .كل آية تقرأها هي قبس من النور.
· مهارة ربط السبب بالمسبب: "نهدي به من نشاء" .تعلم أن تربط بين أخذك بالقرآن، وبين حصول الهداية لك.
· مهارة استحضار النهاية: "إلى الله تصير الأمور" .تعلم كيف تحول هذه العبارة إلى بوصلتك في كل قرار.

ثانيا: مهارات عملية وسلوكية:

· مهارة "العلاج بالروح": إذا شعرت بضيق أو اكتئاب، طبّق هذه المهارة: اقرأ القرآن بنية الاستشفاء، مستشعرًا أنه روح .سترى العجب.
· مهارة "التثبيت بالنور": كلما داهمتك شبهة أو فتنة، افتح المصحف وابحث عن آية تنير لك الطريق.
· مهارة "التصفية قبل النوم": كل ليلة، تذكر "إلى الله تصير الأمور" .راجع يومك، وتب، واستغفر.

**المحور السابع: ماذا يريد الله منا؟ وكيف نعيش هاتين الآيتين في واقعنا المعاصر؟

يريد الله منا أن نعيش بالقرآن. يريدنا أن نجعله روح حياتنا، ونور طريقنا. يريدنا أن نوقن بأن مصيرنا إليه، فنحسن الاستعداد للقائه. يريدنا أن نكون أمة الصراط المستقيم، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تشرك.

كيف نعيشهما الآن؟

.1في عصر الجفاف الروحي: العالم يبحث عن السعادة في الماديات، ونحن نملك الروح .ألا نخبر العالم؟ ألا نعيش نحن بالقرآن؟
.2في عصر تعدد الصراطات: كل يوم يظهر مذهب وفكر وفلسفة .الآية تقول: الصراط واحد ."صراط الله" .تمسك به، ولا تتفرق.
.3في عصر نسيان الآخرة: الناس تعيش كأنها مخلدة ."ألا إلى الله تصير الأمور" .عش هذه الآية، تكن أعقل الناس.

رسالة ختامية

أيها الحبيب في الله، هذه هي سورة الشورى تختم رحلتها معك بهذا النداء العلوي: القرآن روح ونور، والطريق صراط واحد، والمصير إلى الله. فاختر لنفسك: هل تكون ممن قبل الروح فحَيِي، وسار على الصراط فاهتدى؟ أم ممن أعرض فعاش ميتًا، وضل عن الطريق، وسار إلى الله شقيًا؟

عش بهاتين الآيتين، واجعلهما ختام يومك، وبداية نهارك. وأكثر من دعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

المراجع والمصادر

اولا اود التنبيه إن المنهجية التي سرتُ عليها في هذا التفسير لم تكن مجرد تجميع لنقول من هنا وهناك، بل كانت عملية "تركيبية استدلالية" .بمعنى أنني بدأت من أصول علمية راسخة، وفهم عميق لمناهج المفسرين والعلماء في مختلف التخصصات، ثم قمتُ بتفاعل حي مع النص القرآني ـ مستلهماً تلك المناهج ـ لإنتاج تحليل يجمع بين رسوخ الماضي وواقع الحاضر .من خلال تحويل المفردات اللغوية ومعانى وتفاسير الايات الى مفاهيم من تلك التفاسير التى أعدها كبار علماء التفسير من غير أن تنقل عنهم حرفياً في كل جملة.

لذا، سأذكر لك المصادر التي تمثل الخلفية العلمية والأساس المنهجي الذي بُني عليه هذا التحليل، وليس بالضرورة نقلا ً حرفياً عنها .وهي مقسمة على النحو الاتى

.1المصادر التفسيرية التراثية

وهي المعين الأول لفهم دلالات الآيات وأقوال السلف فيها.

· جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تفسير الطبري(: للإمام محمد بن جرير الطبري .وهو العمدة في التفسير بالمأثور.
· تفسير القرآن العظيم) تفسير ابن كثير(: للإمام إسماعيل بن كثير .وهو الميزان في الجمع بين الكتاب والسنة وأقوال السلف.
· مفاتيح الغيب) التفسير الكبير(: للإمام فخر الدين الرازي .وهو موسوعة في الاستدلال العقلي و الفلسفي والكلامي.
· الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي(: للإمام أبي عبد الله القرطبي .وهو المرجع في استنباط الأ حكام الفقهية والعملية.
· تفسير البغوي) معالم التنزيل(: خلاصة مباركة للمأثور، تتجنب الأسانيد الطويلة وتركز على المعاني الصحيحة.
· تفسير ابن عطية الأندلسي) المحرر الوجيز(: متانة في التفسير وعناية فائقة باللغة والإعراب.
· تفسير الرازي) مفاتيح الغيب(: موسوعة عقلية وفلسفية وفقهية، تثري الفكر وتوسع آفاق النظر و التأمل.
· تفسير الألوسي) روح المعاني(: جامع لأقوال المتقدمين والمتأخرين مع عناية بلطائف التفسير والإ شارات.
· تفسير ابن الجوزي) زاد المسير في علم التفسير(: اختصار نافع يجمع خلاصة التفاسير بأسلوب واضح.
· الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للسيوطي(: الموسوعة الجامعة لكل ما ورد من آثار في تفسير الآ يات.
· تفسير البيضاوي) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(: من أجمع التفاسير لأقوال كبار المفسرين مع إيجاز ودقة، وهو مرجع مهم في الجوانب البلاغية والبيانية.

.2المصادر التفسيرية البيانية

وهي التي تركز على إبراز أوجه البيان والإعجاز القرآني.

· الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للإمام جار الله الزمخشري .مع اعتزالياته، إلا أنه ذروة في البيان والبلاغة.
· التحرير والتنوير: للعلامة محمد الطاهر بن عاشور .وهو أجمع ما كتبه المتأخرون في الجمع بين الب لاغة والمقاصد والفقه.
· في ظلال القرآن: للأستاذ سيد قطب .وهو مدرسة في التفسير الوجداني الحركي والتصوير الفني.
ظم الدرر في تناسب الآيات والسور (للبقاعي): المرجع الأهم في علم المناسبات، وربط الآيات و السور ببعضها.
· إعجاز القرآن (لأبي بكر الباقلاني): من أوائل وأهم ما كتب في إعجاز النظم.
· دلائل الإعجاز (لعبد القاهر الجرجاني): الكتاب المؤسس لنظرية النظم، التي بدونها لا يفقه سر القرآن البلاغي.
·

.3المصادر التفسيرية اللغوية

وهي التي تعنى بغريب القرآن وإعرابه واشتقاق ألفاظه.

· معاني القرآن: للإمام أبي زكريا الفراء.
· معاني القرآن وإعرابه: للإمام أبي إسحاق الزجاج.
· مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الأصفهاني .وهو أصل لا يستغني عنه مفسر في دلالات الأ لفاظ.
معاني القرآن (للزجاج والفراء والأخفش): كتب أئمة اللغة الأوائل، وهي الأساس في فهم معاني الأ لفاظ وإعرابها ودلالاتها.
· مفردات ألفاظ القرآن (للراغب الأصفهاني): المعجم التحليلي الأول لألفاظ القرآن الكريم، مرجعه في فهم دقائق الكلمات وتطور معانيها.
· معجم مقاييس اللغة (لابن فارس): للعودة إلى أصول الألفاظ ومعانيها الجذرية.
· لسان العرب (لابن منظور): المعجم الموسوعي الذي لا غنى عنه.
· القاموس المحيط (للفيروزآبادي): للمراجعة السريعة وضبط المعاني.
· عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (للسمين الحلبي): معجم لألفاظ القرآن خاصة.

.4المصادر التفسيرية البلاغية

وهي التي تعمقت في أسرار النظم ووجوه الإعجاز البلاغي.
مفتاح العلوم) للسكاكي(: جامع أصول البلاغة العربية.
· الإيضاح في علوم البلاغة) للقزويني الخطيب(: تهذيب وتوضيح لمفتاح العلوم، وعليه المعوّل في الدراسة البلاغية.
· الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) للعلوي اليمني(: كتاب جامع يحلل النصوص تحليلا ً بـ لاغيًا دقيقًا.

· دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني .وهو مؤسس علم المعاني ونظرية النظم.
.
· التحرير والتنوير:) مذكور سابقاً (وهو مرجع أساسي في هذا الباب.
· النبأ العظيم) د .محمد عبد الله دراز(: كتاب فذّ في إثبات مصدرية القرآن وإعجازه من خلال وحدة نظمه.
· أسرار ترتيب القرآن) للسيوطي(: تأصيل لعلم المناسبات بين السور والآيات.
.5المصادر التفسيرية الموضوعية

وهي التي تتناول قضية محددة عبر القرآن كله، وقد استُفيد منها في استخلاص القضايا والمفاهيم.

· التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: لمجموعة من الباحثين) مثل موسوعة الصحيح المسند في التفسير الموضوعي.(
.
التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم) مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف أ.د .مصطفى مسلم(: المرجع الأساسي في بيان الوحدة الموضوعية لكل سورة.
· التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور(: ليس مجرد تفسير، بل هو عمل موسوعي في تحرير المعاني وتنوير العقول، ومرجع محوري في بيان أغراض السور ومقاصدها والتناسب بين الآيات.
· في ظلال القرآن) لسيد قطب(: نقلة نوعية في التفسير الحركي الموضوعي، الذي يربط الآيات بواقع الحياة وبناء النفس والمجتمع، وهو ما استلهمته كثيرًا.
· خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) لسيد قطب(: مكمل لفهم الأسس التي ينطلق منها التفسير في الظلال.
· نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) د .محمد الغزالي(: عرض مبسط ومباشر للمقاصد العامة للسور والتنبيه على دروسها العملية.

.6المصادر اللغوية والبلاغية والبيانية العامة

وهي القواميس والمعاجم وكتب الأدب والنقد التي يستند إليها البيان.

· لسان العرب: للإمام ابن منظور .وهو المعجم الأم.
· القاموس المحيط: للإمام الفيروزآبادي.
· علم البيان والبديع والمعاني: وهي كتب مدرسية متقدمة، ككتب الدكتور عبد العزيز عتيق، و"علم المعاني" للدكتور بسيوني فيود.

.7المصادر التربوية والتزكية

وهي التي يُستقى منها تحليل الجوانب الإيمانية والأخلاقية والسلوكية.

· مدارج السالكين: للإمام ابن قيم الجوزية .وهو السفر الخالد في منازل العبودية والتزكية.
· إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي) .مع تحفظات على بعض ما فيه.(
· رياض الصالحين: للإمام النووي .وهو البستان المعطر بالأحاديث المحفزة للتربية.

· رياضة النفس) للحارث المحاسبي(: رائد في علم محاسبة النفس ومراقبتها.
· صيد الخاطر) لابن الجوزي(: لفتات نفسية وتربوية عظيمة تفيد في استخراج الدروس العملية من النصوص.

.8مصادر التنمية البشرية) من منظور إسلامي(

وهي التي تبحث في بناء الذات وتطويرها في إطار القيم الإسلامية.

· كتب الدكتور عبد الكريم بكار: مثل "تأسيس عقلية الطفل" و"الكبار هكذا يتحدثون" و"المسارعة للخيرات" .وهو رائد في تأصيل التنمية البشرية إسلامياً.
· كتب الدكتور جاسم المطوع: التي تعنى بتنمية الذات والأسرة.
· "النجاح": كتاب للدكتور طارق السويدان، وهو من أوائل ما كتب في هذا الباب من منظور إسلامي.

.9مصادر بناء الإنسان والحضارة والمجتمع المسلم

وهي الكتب التي تنظر للإسلام بوصفه منظومة حضارية شاملة.

· كتب الأستاذ مالك بن نبي: وعلى رأسها "شروط النهضة"، و"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" . وهو المرشد الحضاري الأول.
· كتب سلسلة "الرحيق المختوم" حول الفكر الإسلامي: للدكتور عبد الكريم بكار أيضاً.
· "معالم في الطريق": لسيد قطب .وهو بيان لمنهجية الحركة والتغيير وبناء المجتمع.
· الحضارة الإسلامية) لأحمد شلبي وآخرين(: لعرض نماذج التطبيق الحضاري لمبادئ القرآن.
· العوائق) لمحمد موسى الشريف(: في بيان معوقات النهضة وعلاقتها بالصفات المذمومة في القرآن
.10مصادر الأحاديث والفقه والسيرة النبوية

وهي الأساس في ربط الآيات بالسنة والعمل.

· الكتب الستة) صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، أبي داود، النسائي، ابن ماجه.(
· نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية: للحافظ الزيلعي.
· نيل الأوطار: للإمام الشوكاني.
· الرحيق المختوم: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري .وهو من أوثق وأجمل مختصرات السيرة.
· زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية .وهو الكتاب الجامع بين السيرة والفقه و التزكية

· صحيح البخاري) مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني(: الشرح الموسوعي الذي يفقه معاني الأ حاديث ويربطها بالقرآن.
· صحيح مسلم) مع شرح النووي(: المرجع الثاني في الصحيح، وشرح النووي هو أفضله.
· سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) مع شروحها كعون المعبود وتحفة الأحوذي.(
· مسند الإمام أحمد.
· رياض الصالحين) للنووي(: مرجع عملي للاستشهاد بالأحاديث في التزكية والأخلاق، وهو كثير الا ستعمال في رسائلي العملية.

.

.11مصادر فقه السنن الإلهيةو أصول الفقه والقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة

· الموافقات (للشاطبي): المرجع الأكبر في فهم مقاصد الشريعة، وبه ندرك الحكمة من الأحكام.

· الرسالة (للشافعي): تأسيس علم أصول الفقه وفهم الأدلة.
· روضة الناظر وجنة المناظر (لابن قدامة): أصول الفقه على المذهب الحنبلي.
· إعلام الموقعين عن رب العالمين (لابن القيم): موسوعة في فقه الحكم والتعليل، وسد الذرائع، ومراعاة المآلات.

· كتب الدكتور فريد الأنصاري) رحمه الله(: مثل "مجالس القرآن" و"مفاتح النور" .وهو من أبدع من كتب في السنن الإلهية.
· "فقه السنن الإلهية": للدكتور محمد يسري إبراهيم.
· "السنن الإلهية في القرآن والسنة": للدكتور زغلول النجار.

.12مصادر علم النفس) من منظور إسلامي(

وهي التي تعنى بتحليل السلوك والدوافع الإنسانية في ضوء الوحي.

· "علم النفس في التراث الإسلامي": للدكتور محمد عثمان نجاتي.
· كتب الدكتور محمد صبري: التي تعنى بعلم النفس الإسلامي.
· "الهدي النبوي في رعاية الصحة النفسية": للدكتور عبد الله الخاطر.
· "جدد حياتك": للشيخ محمد الغزالي .وهو كتاب رائد في العلاج النفسي بالقرآن والسنة.

.13المواقع الإلكترونية

وهي المكتبة العصرية الضخمة التي سهلت الوصول للمعلومة والبحث فيها.

· المكتبة الشاملة: وهي العمدة الأولى التي تحوي آلاف الكتب من المصادر المذكورة أعلاه.
· موقع "إسلام ويب": وبه أقسام موثوقة في التفسير والفتاوى والمقالات.
· موقع "ملتقى أهل التفسير": وهو مجمع علمي متخصص.
· موقع "الألوكة": وفيه مقالات علمية محكمة.
· موقع "شبكة السنة النبوية": للبحث في الأحاديث.
· موقع جامعة الملك سعود) المكتبة الرقمية(: لرسائل الماجستير والدكتوراه.
مكتبة الشاملة:) الموقع والتطبيق (هي أعظم أداة رقمية للباحث، تضم آلاف المراجع وفيها خاصية البحث المتقدم التي تمكن من الوصول لأي معلومة في ثوان.
· موقع تفسير :(tafsir.app) لعرض ومقارنة أبرز التفاسير بشكل تفاعلي.
· موقع الدرر السنية :(dorar.net) الموسوعة الحديثية الأضبط، لمعرفة صحة الأحاديث وتخريجها ومعانيها.

أخيراً، أرجو أن يكون هذا البيان شافياً لصدرك، ومفتتحاً لرحلتك الخاصة في قراءة هذه المصادر العظيمة .فإنما سردتها لك لتكون زاداً لك في الطريق .وأذكر نفسي وإياك أن الغاية ليست مجرد القراءة، بل الوصول إلى مرحلة "التفاعل الحي والواعي" مع كتاب الله، لتوليد الفهم الذي يبني النفوس وينهض بالأمة.
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش العامري